الوقوف على عتبات الأمس

أحمد طايل

الإهداء

إلى أسرتي الصغيرة،إلى الزوجة،الأبناء،الأحفاد،

إلى الأب الذي منحني وصايا أحيا بها،إلى أم ضحت ومنحت حتي صرنا كما حلمت،إلى قريتي،التي مازالت تحمل بكارة الريف،إلى أ صدقائي الكـ ُتاب والكاتبات،مؤكد لهم بصمة بذاكرتي.

أحمد طايل

Edit with WPS Office

مـــيراث

لم ْ يور ِثْ ني أبي مالا ً وسُلطة ً،

ور ّثني الأغلى والأثمن َ،

ور ّثني العطاء َ بلا حدود ٍ وبلا انتظار ِ مقابل ٍ،

والأجمل ُ، ور ّثنى محبـ ّة َ الناس،

وهذا يقين ٌ هو الثراء ُ الحقيقى ٌ،

أحمد طايل

Edit with WPS Office

مفتتح

ثلاث ليال متتالية، وأجد نفسي أثناء نومي اليقظ، أعود لمشاهدة أيامي الماضية منذ بدايات حياتي،كنت أتخيل أنها سوف تكون ليوم أو يوم آخر، ولكنها تكررت لمرة ثالثة، ومن هنا إندفع القلق ينتابني،وتساؤلات تحتل رأسي، هل هو نوع من الحنين للماضي،أم دعوة لمن ذهبوا من الأحبة وغادروا حياتي لألحق بهم والغريب أني أشاهد هذه الرؤى وكأنني أشاهد عرض ًا سينمائيً ا،ولكني أخذت قرار ًا أراه كان لابد أن يً تخذ من سنوات طويلة، أن أذهب إلى قريتي التى غادرتها وغادرتني منذ ما يقرب من عقدين من الزمن، كنت لا أذهب إلا إلى حالات العزاء لأقرب الأقربين، أو بعض أفراح كبار رجالات العائلة، وجدت نفسي أقفز وكأنني بعمر العشرين برغم أنى أحمل على كاهلي أكثر من ستين عام ًا من العمر، أخذت أرتدي ملابسي على عجل، ومثلما تعودت وإعتادها أهل قريتي، بدلة كاملة بكرافت وحذاء مناسب شديد اللمعان، جلست بالسيارة، شرد ذهني للحظات، نزعت نظارتي،فركت عينيّ،ضغطت على جبيني بأصبعي،تساءلت، وماذا بعد وهل وهل وألف هل، هل يتذكروننى،هل يرحبون برغم إنى لم أتوان لحظة عن قضاء أ ى أمر لهم، ولكن القلق يأتى ومن زاوية التغير المجتمعي الذى أوجد فجوات كبيرة بكل شيء، فهذا زمن تغلبت به لغة المصالح والمنافع، صار لها الأولوية ثم تأتى أى أمور آخرى ، لبست نظارتي، قرأت بعضا ً من آيات القرآن كعادتي، قدت سيارتي ولدي شعور طاغ أنى أطير بكل محتواى متلهفا للماضى، شريط يمر أمام عينيّ، أتذكر لعبي بالجرن المتسع أمام منزلنا، الإستغمايةاولإختباء بين أكوام البرسيم الجاف المعد للحصاد، إ صطياد أبى الرعاش الذى يتخذ من أكوام السياخ المتناثرة هنا وهناك موطنا ومرتعا له، القفز فرح ًا وتألم ًا بلسعات النحل حينما نمسك به، وهواية البعض بالتنصت على الدور للاستماع للمضاجعات الزوجية وما ينتج عنها من موسيقى نشوة مصاحبة، ثم الإ سراع إلى الخلاء لإفراغ شهواتهم ومرور البعض بالأزقة والحواري الضيقة المظلمة إلى حد كبير والتلصص على بعض نزاقات شباب وفتيات القرية من ضمات وقبلات وفي بعض الأحيان وصول الأمر لمنتهاه، والهرولات والصرخات بأصوات صاخبة، أرى نداءات الأصدقاء لمشاركتهم ألعابهم، أذكر طرقاتهم على نافذتي باكر ًا لأشاركهم الإستذكار بين الحقول قبل الذهاب للمدرسة، آه وآه وآه، لو نعود أطفالا ًا من جديد.

ن ـــداء

السيارة تنهب الطريق، أشعر بأنها تسير على غير عادتي بالقيادة فأنا هادئ تمام ًا أثناء القيادة، أعترف أنى طوال الطريق شارد الذهن، أفكر وأفكر ما القادم،كنت أتابع الطريق، تغير تمام ًا،الطريق غطت المباني والمشاريع التجارية والورش المتعددة النشاط كل جنباته، أكثر من ساعة حتى وصلت إلى بدايات طريق قريتي، وقفت على جانب الطريق

Edit with WPS Office

، نزلت أتأمل إعترانى الخوف أن أكون قد أخطأت الطريق، كل شيء تغير معاصر ًا تمام ًا لمتغيرات العصر، حتى بعض الفلاحين تغيرت بعض أمورهم، الكثيرمنهم بـ الحقول صار يرتدي البنطلون، وبين أيديهم أجهزة المحمول على تنوع ماركاته، حتى الفتيات تغير تام حدث لهن، ثياب على أحدث الموضات، ورأيت شابات يحتضن ً أياد الشباب، ذهب الخجل العفوي الذى كان مصاحب ًا لهن، فقد كن يسرن دوم ًا على مسافات متباعدة عن الشباب، حق ًا العولمة تزحف سريع ًا، أخذت نفس ًا عميق ًا، تنهدت هامس ًا للأسف نحن نأخذ من أيّ متغير القشرة الخارجية لا يهمنا المحتوى، ثم عاودت القيادة، ولكن بهدوء تام أتأمل أحاول إستيعاب كم التغيير، يا الله! هذا الطريق الذي كنت أسير به ذهاب ًا وعودة لسنوات طويلة، كان مجرد حقول على الجانبين، الآن لا وجود لأى نوع من الزراعات، وصلت بي السيارة إلى أول طريق مقابر عائلتي، شعرت بنداء قوي يأخذني إلى أخذ هذا الطريق كلما إقتربت من المقابر أجد اضطراب ًا داخلي ًا يمسك بتلابيبي، سؤال وأكثر يلف ويدور داخلي، كم من الأقارب والأصدقاء و الأهل، كم منهم غادر دون معرفتي، عرق غزير يكسو وجهي، إرتعاشات تنتاب أطرافي، تمالكت نفسي وقفت بجانب أحد البيوتات بعيد ًا لحد ما عن المقابر، سرت حثيث ًا أ تامل ما تغير من المكان، زاد عدد المقابر إلتصقت بالمنازل كأن الطرفين أحياءا أو أمواتا يبحثون عن الونس، في ظل سيري أجد صغار ً أوشباب ًا من الجنسين تتسع حدقاتهم ناظرة نحوي وسؤال واضح على كل القسمات من يكون هذا الزائر؟ دخلت أ رض المقابر، أخذت أقرأ الشواهد، ياالله هذا صديق دراسة، هذا من أهلي، وهذا من أ عمامي وهذا من أخوالي ، طالت جولتي بين الشواهد، أجد البعض يقف أمام مقابرهم يقرأون فاتحة الأمر الذي يشي أنه ميت من أيام أو من ساعات، توجهت بلا دليل إلى مقابرعائلتي، قرأت شواهدهم وجدت أسماء عدة أضيفت، وقفت أخير ًا أمام مقبرة أبـ ي وإخوتي، مررت بيدي على الجدران وكأنني أطلب منهم السلام علي، وجدت نفسي لا إراديـ ًا أجثو على قدمي أرفع يدي أقرأ الفاتحة بصوت عال بعض الشيء ولساني يلهج بالدعوات، الدموع إنهالت غطت وجهي، طال جثوي لا أدري كم من الوقت مرنسيت كل شيء حولي ، بين اللحظة واللحظة أجد نفسي أحتضن جدران المقبرة، أفقت على العديد من العيون الناظرة إلي مستغربة ومندهشة، طال نظرهم إليّ وأنا أحاول عدم الإ لتفات لهذا، فجأة وجدت رجل ًا مقارب ًا لى عمر ًا يقترب مني، يمد يده يجذبنى و يحتضنني بشدة، أقول الحق لم أجزع أو أشعر بدهشة، على غير المتوقع وجدتني أ حتضنه وأشده إليّ بقوة، شعرت كأني وجدت الونس وجدت نفسي مع نفسي، طفرت الدموع المتبادلة بيننا نطلق سراح أنفسنا من الإحتضان يتأمل كل منا الآخر ثم نعاود طقوس الاحتضان الحميمي المفعم بمشاعر نداء متبادل أن بيننا علاقة دم، أطلقني ثم نظر إلي بعمق أخذ يفرك عينيه كأنه يتحقق ويتأكد من شخصي، الكثير من أهل القرية التف حولنا، مؤكد عشرات التساؤلات تدور بأذهانهم، أخير ًا أطلق صوت ًا صارخ ًا بفرح، مؤكد ًا معرفته بي فالسنوات التي مرت لاتعد قد مضت دون لقاءات أو حتى حديث، يااه يا رشدي بيه توقف أكمل بيه إيه نحن ولاد عم ليس بينهما بيه أو حواجز من أي نوع مؤكد لا تتذكرني!

رفعت يدي همست:

=أنا فعل ًا آسف، بجد آسف لا أتذكر ولكن الملامح بينا مشتركة وإحتضانك لي أخبرني عنك إبن العم، أكرر أسفي، نظر لي نظرة بها الكثير والكثير من الدفء، بريق عينيه أ شعرني بأني كنت أنتظره وأنتظر الأهل وأني بابتعادي قد خسرت الكثير والكثير مددت

Edit with WPS Office

يدي وأمسكت بكفه، ياللّه إحساس لا يوصف وصلني من دفء يده ومن إنتفاض عروقه ضغطت بشدة على كفه خشية أن أفقد هذا الإحساس، مد ذراعه واحتوى كتفي قال.

=كنا ننتظر هذا اليوم من سنوات وكنا جميع ًا على ثقة أنك عائد عائد فالأيام لا تمحو ما فعلت حتى إن بعدت لعقود حزن ًا على تغييرات حدثت ما كنت تتوقعها،

عاود ضمي إلى صدره وجدتني أندفع إليه نحتضن زمن ًا تسرب من بين أيدينا، نظرت إليه ، خاطبته..

= اعذرني إن كنت نسيت الاسم، بجد آسف، ربت على كتفى لا تهتم الزمن الذي مر بنا ليس قليل ًا عامة أنا.شاكر إبن عمك عبد اللّه، تراجعت خطوة، هتفت..

=شاكر إبن عمي صاحب الحكايات رحمه اللّه

أخذ ذراعي أراد السير بي خارج المدافن تشبثت خطواتي بالمكان، طلبت منه التريث فأن ا أريد أن أمر على كل أهلي الأموات لأقرأ لهم الفاتحة وأعتذر لهم عن غيابي الطويل وأ دعوهم لأن يسامحوني، مررنا على غالبية مقابر أهلنا، قرأنا الفاتحة وبعض ًا من السور القصار ثم تأبطت ذراعه وسرت به نحو السيارة يسير خلفنا على بعد ليس بكثير بعضاً من أهل القرية ركب به مختلف ألوان البشر كبار،صغار، رجال ونساء ركبنا السيارة قدتها طلبت منه أن يتركني أسير دون إرشاد منه أحاول أن أثبت لنفسي أني مازلت أتذكر طرقات وشوارع قريتي وأنني حتى بسنوات غيابي الطويل لم أنسلخ عن قريتي أو أهلي، مازالت الشوارع متعرجة كالحلزون كنت دوم ًا أردد لأقربائي من يريد تعلم القيادة يأتي لشوارع قريتنا والتي أظن أن كل القرى تتشابه في هذا، مجرد ربع ساعة ووصلت إلى باب المنزل هو البيت الوحيد بالقرية الذي كان يطلق عليه هذا المسمى، نزلت أخذت أسير بهدوء تام أمامه أتحسس جدرانه أستنشق الزمن لولا خوفي من أن يقال عني أنى مجنون لإحتضنته طوبة طوبة، وقفت أمام البوابة شاخص ًا أتذكر أبي بجلبابه الكشميري المكوي بعناية تامة وطربوشه الأحمر القاني والذي يذهب هو ومجموعة الطرابيش الآخرى إلى المركز صحبة عم أحمد السائق الذي يتصل به أبي كلما أراد السفر أو قضاء أمر من أموره.

أتذكر أبي بجلسته المعتادة عصر كل يوم وكرسيه المصمم بطراز مميز تجاوره عصاته اللامعة دوم ًا، يجلس واضعا ساقا فوق ساق هذه حركة معتادة له يقولون أنه من صغره وه ويفعل ذلك حوله يتجمع عدد من أبناء القرية بعض شخصيات القرية، بعض الأهالي لهم بعض المطالب أوالمشاكل، الغريب أيض ًا أن بجلسته إن ٌ حدث ولمحه أحد الآتين من الشوارع المارة بجلسته لابد له أن يترجل، يبدأ بقراءة صحيفته المفضلة الأهرام يأتيه بها عم مراد، أخبروني فيما بعد أن أبي كان أول من أتى بالصحف وهذا لم أتعجب له فيما بعد فكانت لديه مكتبة صغيرة لأساطين الكتابة مصريًا وعربي ًا وبعض الكتابات الغربية، حين يبدأ بالقراءة لا تسمع أى صوت، يأخذ الوقت منه حوالي نصف ساعة يرتشف خلالها فنجان ًا من القهوة، ينتهي يلتفت للمحيطين يطلب الاستماع لهم بعضهم يشكو من تعنت موظفي الجمعية الزراعية في صرف الأسمدة والمبيدات وآخر يشكو من جار له يتعدى على حدود أرضه بالإضافة للخلافات الزوجية، يحل ما يمكن حله على الفور أما ما يستحق الذهاب للمركز أو حتى القاهرة فيعد بفعل هذا صباح ًا يـ

Edit with WPS Office

دون ما ينتظره بالغد بمفكرته تنتهي المطالب يكون بعدها مهيأ للنقاش مع وجهاء القرية حول شؤونها وربما يتطرق النقاش لبعض أمور مصر كشأن عام وربما يقرأ عليهم بعض ًا من مقتطفات الصحيفة أو يدلل على بعض الأخبار بسماعه هذا من فلان باشا، أ ومسئول بجهة سيادية خلال إتصالات هاتفية، بتوقيت معين تجدعثمان المتولى آتيا ب الكارتة يتوقف أمامه تمام ً ،ينهض طالبً ا الإذن من المتواجدين يركب بلا أي نقاش عثمان يعرف تمام ً ا المسار الاعتيادي للحاج طقس يومي إعتاده يمر على أراضيه وزراعاته يتأمل كل شيء يملأ صدره من هوائها ويعود سعيد ً ا غاية السعادة فاليوم صار كما تمناه،ثم يعود.

أفقت على ربته على كتفي أفقت من شرودي الطويل معتذر ً ا بقولي.

=آسف تداعيات الذكريات أخذتني قليلا ً ا هيا بنا، دخلنا إلى المنزل هالني أنه كأنه كما تركته من زمن بعيد نظيف مرتب وأدرك هو دهشتي بادرني.

=لاتندهش،فلم نهمله لحظة لست أنا وحدي بل كل العائلة المنزل لدينا رمزا لا يمكن تجاهله، بالحقيقة الكثير منا تنتعش ذاكرته بالمرور أمامه لا أبالغ إن قلت إننا نرى المشهد تمام ً ا كأنه واقع وكل أسبوع أو أقل تأتي نعمات إبنة الحاجة بهية التي كانت تقوم على خدمتكم سنوات طويلة تأتي هي وبناتها لتنظيفه كلنا كان لدينا الإحساس أ نك عائد أنت دون كل إخوتك الله يرحمهم كل منهم أخذته الحياة وإبتعد أنت رغم غيابك كنت تشاركنا مناسباتنا صحيح كانت زياراتك خاطفة سويعات وترجع لم تنم ليلة هنا نورت أهلك وناسك.

=لتسترح قليلا ً ا حتى يتم إعداد الإفطار سوف أأمر ببعض العصير ماذا تطلب، أومأت برأسي ورددت: أي عصير تختاره أنت ثم لي مطلب أتمنى أن أجد فطير ً ا مشلتتا مثل فطير عمتي ميزة رحمها الله، أو إحدى بناتها عطيات وزينب رحمهم الله

=سوف تجده بأمر الله ،إعترتنى علامات الدهشة تساءلت كيف والكل قد رحل،أصبر ثم أخبرك ضغطت على يده بقوة كرسائل تحمل الكثير من المشاعر والود طلبت منه أن يتركني للنوم لأنى فعلا ً ا بحاجة له أدخلني حجرة النوم هي مألوفة لي أخذت أتامل كل ما بها من الصور المعلقة على الجدران، جدي وجدتي، أبي وأمي وصور جماعية لنا كأ بناء معهم دون إرادة طفرت دمعات من عينيّ مسحتها بكفي، أحسست أنهم يعاتبونني على طول غيابي مررت براحة يدي على الصور أتلمس بعض ًا من أرواحهم، أشرت له أ ن يأتيني بجلباب، أشار إلى الدولاب إفتحه سوف تجد منها الكثير كنا حريصين على وجود عدد منها وكل عام نحضر جديد ً ا منها ضحك ضحكة قصيرة ومنخفضة وقال حتى نواكب الزمن، كل شيء يا أخي أصابه مرض وداء التغيير حتى الملابس نحمد الله أن التغيير لم ينل منا كسلوكيات وقيم وأخلاق وإلا قل على الدنيا السلام رغم أنها نالت من بعض شبابنا بفعل ما تم تصديره لنا تحت مسمى تكنولوجيات وعولمة هي مرض عضال صعب وجود علاج له أومأت برأسي مؤ ّ ً ا على كلامه.

Edit with WPS Office

مددت يدي وأخرجت جلباب ًا رأيته مريح ًا إرتديته، أحسست كأني أعاود إرتداء حياتي الماضية شكرته،خرج ملقي ًا السلام مؤكد ًا على حضوره بعد ساعات لتناول الطعام سوي ًا، ألقيت بنفسي على الفراش مؤكد ذهبت بنوم عميق، بالحقيقة لم أنم كما توهمت الأرق وأحداث اليوم كانت شريكة لحظاتي.

صحوت على ربتات حانية توقظني منبها لي أني نمت لساعات إغتلست تناول يدى بيده أخذنا طريقنا نحو غرفة الطعام المائدة عليها فطائر وأطباق قشدة وجبن قريش وعسل أبيض وعسل أسود، تحدثت إليه ممكن طلب بس لا تضحك منه على ً رد تفضل!

=أرغب بالأكل ونحن جلوس أرضا ً علت البشاشة أساريره وندت عنه بسمه خفيفة

=أمرك توقعت هذا فدوما ً بداخلنا حنين للماضى ولا نستطيع التملص من هذا مهما حاولنا فلا داعى للمحاولة، فرش الأرض بقماش ونقل الأطعمه وأنا أشاركه إلى الأرض، تربعت على الأرض أخذت أتناول الطعام بشهية مؤكد لم أعرفها من قبل ناوشته

=هل أنت متأكد أن هذا الفطير ليس واردا من البندر، أشار بيده إلي بالصمت صفق مرتين فتح الباب ودخلت صبيه قالت أمرك أستاذ شاكر أشار إلي هل تعرف من هي؟ أ ومات برأسى نافيًا

= هذه حفيدة عمتك الحاجة ميزة،رحمها الله اسمها نعيمة وهي من عملت ما تأكله، تفحصتها فعلا تحمل الكثير من ملامح جدتها نفس الوجه المستدير الشاهق البياض، نفس الطول نفس القوام،

=إزيك يا نعيمة أخباركم تسلم إيديك.

=يسلم عمرك يا بيه الحمد لله

قاطعها

=هذا خالك رشدي أمك زينب رحمها الله إبنة عمه

=أهلا وسهلا منور ياخال فقط أول مرة أراك

=لا كنت صغيرة ورأيتك وأنت طفلة سلمي على إخواتك

=يسلم عمرك

أشار لها بالإنصراف، ضحك بصوت عال،

=صدقت إن فطيرنا ماركة مسجلة باسم الحاجة ميزة؟

= أكيد ممكن أطلب منك طلب؟

=تؤمر

Edit with WPS Office

=محتاج أمر على كل شيء بالبلد،كلها

=حاضر ياسيدي تأمر.

إنتهينا من تناول الطعام وشرب الشاي سألته:

= ممكن ننطلق الآن إلى شوارع وحواري وأزقة بلدتنا أود أن أتأمل التغيرات وأتأمل الناس لأرى مدى إصابتهم بعدوى التغير ثم لنذهب إلى بيوت بعض الأهل أعود معهم للأ عوام التي عشتها بينهم وأيض ًا التي غبت فيها عنهم، وهوماحدث،كل بيت ندخله، الترحاب،الحرارة الحميمية نتذكر بعض الأمس من حكايات الأباء والأجداد كلما دخلنا بيتا خرجنا منتفخى الأوداج نحمل بين جوانحنا إضاءات كثيرة،خاطبته

= بعد هذه الجلسة مع الأهل وسرد الماضي والقفشات والنكات والمشاكسات، أرغب بجد أن أكون وحدي وأن أستعيد الأمس بكل ما فيه أريد أن أشبع روحي أنا يا أخي ظم آن لأمسى نهض واقف ًا،

=حاضر أظنك تعرف كل مكان بالمنزل وأنا لست بعيدا عنك هل مازلت تتذكر منزلنا؟

داعبته.

= أحاول دعني أحاول تصبح على خير= وأنت بكل الخير، صاح لحظة سوف أدخل معك إلى حجرة النوم حتى أرشدك إلى بعض الأشياء حتى لا ترهق نفسك، لم يأتنى النوم كما توهمت وتمنيت نهضت أخذتني قدماي للصعود إلى السطح، كنت بحاجة ماسة للخلود لنفسي تمنيت لو وجدت كومة القش التي كنت أتشقلب عليها وأنا صغير وكثير ًا ما تباريت مع أولاد أعمامى على من يستطيع الشلقبة لفترة طويلة وبشكل سريع، تبسمت تذكرت أحد زملاء الدراسة شاركنا يوما الشقلبات ومن حظه غير الجيد لم ينتبه لإحدى الفتحات بالسطح كنافذة تهوية علوية لحظيرة الماشية، فوجئنا به يسقط من الفتحة إلى داخل حظيرة الماشية ومن حسن الحظ أنه سقط بعيدا بقليل عن إحدى الفئوس وإلا كان صريع ًا والغريب أنه نهض لايشكو إلا من بعض الرضوض و الخدوش وعرج حفيف بإحدى قدميه استمر معه لأيام، الليلة صيفية الهواء النقي يرطب المكان داعب وجهي كأنه يرحب بي وينادينى، بالفعل وجدت كومة قش جلست عليها وغصت داخلها لامس القش وجنتي كأنه يداعبني أولنقل بالحقيقة كأنه أب يعاتب ابنه على غيابه فالحقيقة أن الأماكن كثيرا ما تفتقد ناسها وأهلها، أخذت أتأمل السماء بنجومها وقمرها وأضوائها المنتشرة بشكل فني رباني،سبحان الله أخذت أتنقل ببصري بين البيوتات المجاورة، معظم بيوتات الحي كلها لأبناء العائلة اللهم إلا قلة قليلة من خارج العائلة منزلنا كان على مساحة اثنى عشر قيراطا كان يضم عنابر للطيور على اخت لاف أشكالها وإسطبل خيول وحديقة بها أشجار البرتقال والليمون، الجوافة والمانجو و الرمان وتكعيبة عنب تحتها أرائك للجلوس كان الأب يستضيف المقربين منه من كل القرى والمراكز إليها، ويتناولون الأحاديث المتعددة بحميمية وللأسف تم تقسيم كل هذا بين الأبناء ومابقي هو المنزل الحالي الملحق به حديقة صغيرة، نحن كثير ًا ما نفرط بـ أجزاء منا دون وعي ولكن هذه هي الحياة وتقلباتها ودوام الحال من المحال ، دون إرادة وجدت بصري يذهب إلى بيت على مسافة ليست قصيرة، بيت رغم مرور عشرات السنوات مازال على حاله الطوب اللبن المعروش بالأخشاب يعلوها القش وحطب القطن

Edit with WPS Office

والأذرة وقش الأرز والمثبتة من الحواف بروث الماشية والطين، ومازال الحدث الذي كان به راسخ ًا داخلي وأنا بعمر يقارب التاسعة صحوت على صراخ وعويل وهرولات رجال ونساء وربما شاركهم بالعدو كل أنواع الحيوانات وصفقات أبواب البيوت بشكل عنيف، إنتفضت خائف ًا أبكي جاءتني أمي وأخذتني لحظات بحضنها طبطبت علي بكل ألوان الحنان أخذتني من يدي غسلت لي وجهي ولأن الفضول كان ممسك بها، أسرعت بي إلى السور رفعتني وأجلستني على حافة السور كنا ببدايات النهار رأينا جنود ا بأسلحتهم بعض سيارات حشد هائل يقف على البعد من بيت، نزاهة المنوفي الرعشات تعترينى أسناني تصطك أبكي أمي تحاول بث الطمانينة داخلي، لمحت أبي يقف مع بعض الظباط تختلف أرديتهم عن الباقين، وعرفت فيما بعد أنهم من قيادات الشرطة، أبي يروح ويجيئ أتاه أحد كبار الشرطة أخذه من يده سارا سوي ًا إلى البيت لحظات ورأيتهم يعتلون السطح دخل أبي وللآن أتساءل لماذا فعل هذا دخل إلى عشة موجودة بـ السطح لم يستمر الأمر طويلا خرج ممسك شيئا بيده لم أستطع تبينه لبعد المسافة نزل الجمع وأتى مجموعة من الضباط بصحبة أبي إلى منزلنا كانت مائدة الإفطار جاهزة فطائر وجبن أبيض وقديم، قشدةوعسل، بيض مسلوق ومقليجلسوا للإفطار، قبعت أنا ووالدتي بحجرة النوم فالخدم يقومون بكل شيئ، سمعنا بعضا من أطراف الحديث صوتهم كان عاليا بعض الشيء فهمنا منه أن عبدالرازق دويدار قتل، ووجدوا جثته ملقاة بحوض المياه الخاص بالطلمبة التى تقوم رابعة الكفيفة ذات الخمسين عام ًا بإدارتها من الصباح حتى مغيب الشمس لسقي الماشية الذاهبة والعائدة من وإلى الحقول مقابل حصص من المحاصيل وبعض الهبات المالية وبعض الوجبات الغذائية وأنهم توصلوا للقتلة إخوة نزاهة الأرملة الحديث المتناثر لم يشبع فضول والدتي فمن طبيعتها أن تلم بالحدث كاملا، ما أن إنتهى الحضور من الطعام وتناول المشروبات. والإنصراف بصحبة أبي، حتى أرسلت بطلب البنت.فاطمة ذات الستة عشر عاما لأنها ممن يعشق معرفه كل شيء، فاطمة هذه هى من حملتني منذ ميلادي وظلت تنبهني و تذكرنى بهذاحتى وقت قريب قبل مغادرتي إلى هذا، وجودوها وسط الجمع المتواجد أمام بيت نزاهة يجعلها سمعت ما يقال أتت مهرولة، مجرد أن دخلت باب المنزل هتفت:

=ـتحت أمرك ياهانم

تناولت والدتي قطعة حلوى قدمتها لها تحفيزا ً لفتح شهية الحديث أجلستها قريبة منها قائلة:

ـ إحكى

مدت يدها وتناولت كوبا من الماء شربته كامل ًا كأنها تستدعي الحديث ثم بدأت الحكـ ي:

ـ يقولون أن نزاهة بعد وفاة زوجها وهي تبحث عن الرجال دوما فهي معروفة بالقرية أ نها دوما تتزين وترتدي ملابس زاهية الألوان تكشف بعض ًا من جسدها بتعمد، وأن عبد الرازق كان آخر من عرفت ومن إستمر معها طويلا ورغم إن له زوجتين إلا أنه كان يعشق النساء وله بهذا الكثير، المهم يا هانم الكلام الدائر أنه تعرف عليها أول مرة، أثناء ر ي أرضها المجاورة لأرضه، كلمة منه مع كلمة منها، مع مساعدته لها بالري مع إفطار مع ً ا حدث التقارب ويقال أنه ضاجعها بنفس اليوم بين الزراعات(أعترف أنى

Edit with WPS Office

لم افهم معنى كامة مضاجعة حينها)

وتم الاتفاق بينهما أن يأتيها دوما ليلا ً بعد منتصف الليل وكان يعاشرها بالسطح بعيد ً عن أولادها لديها ولد وبنت، فتوح الشافعي جارها بيته ملاصق تماما لبيتها رأى عبد الرزاق مرات وكان متردد ً بإخبار إخوتها فهو متزوج إحدى أخواتهم تردد كثير ً ولكنه بالنهاية سارع بإخبارهم، ليلة الحادث صعدوا سطوح فتوح تناولوا الشاي حتى ر أوه ومن ثم قفزوا إلى منزل أختهم باغتوا عبدالرازق وهو فوقها أمسكوا به ولكنه إ ستطاع التملص منهم والقفز من أعلى المنزل، قفزوا وراءه الهرولة إستمرت وقتا حتى تعثروووقع داخل حوض المياه الخاص برابعة الكفيفة وهنا إنهالوا عليه بالسكاكين لم يتركوا جزء ً منه دون طعنات أما الشيء الذي أتى به أبي من العشه فكان طاقية عبد الرازق والتي كانت سبب ً أساسي ً فى تحويل القضية إلى قضية دفاع عن الشرف مما خفف من عقوبتهم، إستمرت حكاية نزاهةعلى ألسنة أهل القرية لفترة ثم تاهت وسط حكايات آخرى كثيرة تتوالد بإستمرار بشكل يكاد يكون شبه يومي، ولكن بعد شهور من الحادث زوجها إخوتها دون إرادتها من أحد أبناء القرية يعمل بزراعاتهم ولكنه لم يستطع كبح جماحها لأن الجيران كانوا يستمعون لصراخ وضرب بشكل دائم وعندما أردوا السؤال من المقربين قالوا إنها كانت ترفض معاشرته لأنه حسب قولها كان ضعيفا بشكل لا يوصف هذا ماقالته بعد الإنفصال عنه ولم تخجل مطلقا بالتصريح بهذا أصرت وبإلحاح على إخواتها بالطلاق منه، وهم لبوا طلبها مع قرار بإحكام الرقابة عليها، بعد عام تقريبا لفت نظرها ضبش سالم أحد أبناء عزبة مجاورة عندما أتى يخطب ابنتها ذات الجمال الأخاذ لأحد إخوته لفت نظرها إهتمت به كانت تعزمه هو وأخاه بشكل دائم وتزوجها ومما يحكونه بالقرية أيضا أنه ضاجعها قبل الزواج يقولون عن هذا إنها كانت تختبر فحولة من تعرفه قبل أن تكون له زوجة أوعشيقة، وعرف هو أنها غير زوجاته كان متزوجا من ثلاث نساء وكان يأتيها ببيتها وكان هو الرجل الأخير لهاعاشت حتى عمر التسعين عاما ، ومازال البعض يحكي عنها رغم عشرات السنين التي مضت، تساقطت بعض قطرات الندى التي نبهتني أن الفجر قد أوشك، فنزلت، توضات أخذت أ قرأ بعض القران، أذن الفجر صلي ثم إستلقيت على الفراش وذهبت بنوم عميق لا أعرف كم مر من الوقت وأنا نائم.

صحوت نشط ً تناولت كوب ً من الشاي وبعض ً من البتاو، أتاني شاكر طلبت منه أن نعاود التجول بالقرية وافقني ، إرتديت جلبابا وانتعلت حذاء ً رياضي ً ، أخذنا ب السير دون تخطيط مسبق، إستمر سيرنا طويلا ً كنت أتوقف بين الحين والحين أمام أحد البيوت أتأمله أقدح زناد ذاكرتي أنظر إليه

=أليس هذا منزل خالتك هلالية بائعة الزبد والجبن والبيض

=الله يرحمها

تذكرت ذهابي اليومي إليها صباحا ً لأحضر البيض الطازج.

تمتمت: رحم الله الجميع.

منزل آخر أشرت له متسائلا ً: أليس هذا بيت الشيخ محمد؟

Edit with WPS Office

وإبتسمت.

لكزنى وهو يضحك

ـ أفهم ما برأسك نعم هو بيته مات من سنوات هو وزوجته أثناء الحج بدعوة من ولديهما أستاذيْ الجامعة اللذين يعملان بكبرى الجامعات السعودية بالإضافة إلى أنهما أ يض ًا أستاذان زائران بكبرى الجامعات الإسلامية ببلاد شتى ربنا فتح عليهما من وسع وللحقيقة يستحقان.

نظرت له بدهشة

ـ هل حق ًا ما تقول؟

ـ بالتأكيد رغم أن الشيخ محمد كان به بعض المرض العقلى إلا أن زوجته كانت لها إرادة وكانت تنظر لأولاد إخوتها النابهين والمتميزين علميا وتدفع أولادها للنجاح والتميز وقد نجحت، سبب ضحكتك الشائعة التى تناولها أبناء القرية بالتندر والفكاهة لسنوات حول ليلة زفافة عندما إنتظرت زوجته أن يدخل بها مر يوم ويوم آخر وكلما قدمت نفسها وإ قتربت منه كان يبعد عنها بهروب ويصرخ بها

ـ لا لا أمى قالت لي لا أقترب منك إلا يومي الإثنين والخميس واليوم ليس أيهما.

شاركته الضحك.

=ولكنه قدم لنا أساتذة كما قلت يشار لهم بالبنان بارك الله بهم

أضف لهذا أنهم بارين بأهلهم وأهل القرية دوما يرسلون لأحد أقربائهم أموالا ً شهرية لمساعدة أرامل ومطلقات ومرضى القرية ودائما قائمون على المسابقة القرآنية الكبرى بشهر رمضانهم وإخوانهم من باقى الأساتذة، رشدي، قريتنا تثير غيرة القرى المجاورة بها عدد قد يدهشك إن صرحت به من أساتذة الجامعة فى كل مجالات العلم ، ولكن عليك أن تتذكر أن أخاك الراحل راشد هو أول أبناء القرية حصولا على الدكتوراة وكان القدوة، لدينا أكثر من خمسين أستاذ ًا وأستاذة جامعية، هناك أمر شائع متداول بين أ هل القرية يحفزون به أولادهم هو (ألا ترى إبن فلان وإبن فلان؟ لـ ِم َ لا تكون مثلهم ؟) والأمر المثير للدهشة أن أغلبهم من بيوت تعانى شظف العيش كما يقال النجاحات تولد من كبد المعاناة، وليس من المستغرب أو المذهل أن أحد ًا منهم لا ينسى أصله يعود من الجامعة التى يحاضر بها يسرع بتناول لقيمات سريعة ويهرول إلى حيث حقل أبيه، يساعد بالأعمال دون كلل ودون أى تذمرعلقت على حديثه:

ـ بسم الله ماشاء الله أمر يملأنى فخر ًا.

طلبت منه أن نتجه ناحية الحقول، وافق طلبت منه أن نذهب أولا ً إلى حوض العرب الذى سمى بإسم عائلتى لأن أهل القرية أطلقوا على أهلي حين قدومهم العرب حوض كامل بمساحة مائتى فدان تملكته عائلتى، سار بي أو سرت أنا به إلى الطريق المؤدي إليه بمنتصف الطريق لفت نظري هذا الجذع الشجري المنحني والذي يربط بين ضفتي الترعة أصابتني الدهشة توقفت بل تسمرت قدماي جذبته من يده ببعض العنف

Edit with WPS Office

ـ هل هذا الجذع على حاله طوال هذه السنوات؟ غريبة عجيبة!

ـ لا ليس هو نفس الجذع فقط هناك أمر مثير للدهشة أن الجذع كلما شاخ نجد جذعا آخر ينبت من الجذع الأصل ويأخذ نفس الانحناءة، تبسمت نظر إلي وعلى قسمات وجهه تساؤل:

ـ هل هناك أمر ما لا أعرفه يختص به هذا الجذع؟

ضحكت بصوت عال:

ـ أكيد وأنا بعمر حوالي الرابعة عشرة كنت عائد ًا من حقلنا إلى المنزل لفت نظري هذا الجذع المنحني رغم مروري به مئات المرات ولكن بهذا اليوم كان كأنه يناديني ويقول إ ختصر طريق عودتك واعبر حاولت العبور كنت أسير بحذر وخوف عند المنتصف إ نزلقت قدمي وهويت بالترعة كدت أغرق أسرعت بالإمساك بالجذع أخذت أسير معلقا به محاولا الوصول للبر الثاني عبرت وأنا مبتل تماما دخلت حقلا من حقول الذرة المجاورة، زعت ثيابي نشرتها على بعض الحشائش واختبأت عاري ًا تماما لساعات داخل هذا الحقل قمة الخوف وقمه الخجل أن يراني أحد بهذا المنظرولكن الله سلم علت ضحكاته.

ـ بجد تخيلتك الآن وأنت بهذا المنظر

عاودنا السير، يا الله! أحاطت البيوت والحظائر بالزراعات أحسست كأن خضرة الزراعات ليست كاملة الراحة مؤكد هذا الخناق العمراني سبب ضيقا لها فالزراعات تحب أن تكون حرة بكل أطواراها، التغيير رغم أهميته ولكنه يفقدنا الكثير من جمآليات الحياة همست لنفسي متى نبتت كل هذه البيوت والحظائر؟

إقتربنا من بداية حقولنا أو قل التي كانت حقولنا فأنا وإخوتي للأسف بعنا ما ورثناه وللحقيقة منذ هذا البيع وأنا أشعر كأنني بعت هويتي وإنتمائي وقفت أين مدار الساقية وأين الساقية ذاتها، أين شجرة الجميز العملاقة التي كنت أصعدها وآخذ من ثمارها، أين شجرة التوت الذي كنت أجعل أحد الأجراء يهزها أجمع ثمارها لم يبق من أملاكنا إلا بعض القطع تخص أبناء إخوتي وأحفادهم.

نزلت دمعتان حارتان على وجنتي أسرعت بمسحهما قبل أن يلمحهما، سرنا حول الكثير من الأرض كان يشير لي بين اللحظة والآخرى، هذه أرض أولاد عمك سليم، عامر، كامل وغيرهم من العائلة ، كان بعض المتواجدين بالعمل داخل حقولهم يخرجون مرحبين بنا، طلبت منه الاكتفاء بأحداث اليوم تأبط ذراعي، وأخذنا طريقنا للعودة عند مدخل المنزل طلبت منه أن ينصرف لشئون بيته ويتركني أختلي بنفسي قليلا وإستاذنت منه أن يرسل إبنا من أبنائه أو أحفاده يمر على أبناء إخوتي ويخبرهم أني أنتظرهم بالغد أوما برأسه موافق ًا، كنت أود أن أجلس إليهم أستمع إليهم عن قرب أعرف كل شيء عنهم، لم أنقطع عنهم كنت دائم الاتصال بهم على فترات متقاربة أنا قريب جد ًا منهم صحيح أغلبهم هم أبناء إخوتي غير الأشقاء ولكني أعتبرهم أولادى وهم أيضا يعتبرونن ي أباهم وليس مجرد عم، دخلت المنزل بالصالة وجدت صينية مغطاة بمفرش يؤكد أنه لعروس جديدة كشفت الغطاء وجدت صينية من الأرز المعمر مازال ساخن ًا من صنعه

Edit with WPS Office

حسب زمن ذهابي وعودتي يجاورها طبق من شرائح اللحم المشوى وسلطة خضراء سارعت بالاغتسال والإسراع للصلاة ثم هرولت إلى الصينية ما أطعم الطعام الريفي الأ رز بالفرن البلدى شيء لا يضاهي،شبعت أعددت كوبا من الشاى تناولته على عجل ثم دلفت إلى الفراش وألقيت بنفسي ونمت محتضنا سعادة إفتقدتها من سنوات قبل أن أ دخل إلى الاستغراق بالنوم همست: سوف أطلب منهم أن أستلقي نوما على ظهر فرن سبق إشتعاله أريد استعادة الأمس البعيد بكل ما به.

Edit with WPS Office

الأهل

استيقظت على أصوات متعددة رفعت رأسي عن الوسادة وجلست على الفراش أخذت بعضا من الوقت للخروج نهضت، إغتسلت بالحمام الملحق بالحجرة فتحت باب الحجرة قدماى تسيران ثم تتوقفان ثم تتراجعان تساؤلا : ما القادم؟ إقتربت من ساحة المنزل إ عترتنى الدهشةما كل هولاء؟ ما أن وصلت إلى مجلسهم حتى وجدت نفسي أتنقل بين حضن وحضن هذا يحتضنبن ويهمس لى أنا إبن عمك وآخر يقول

، أنا إبن أخيك، أنا صديقك كل حضن لى كان يشعرني بالدفء بالحياة، بأننى عدت لنفس ي أجلسونى بينهم كلمات الترحيب والمحبة تهدر من صدورهم قبل أفواهم، شعرت ب الصدق الذي ضاع مني سنوات جلس بجواري شاكر كل لحظة يربت على كتفي قطع الأ صوات قدوم أحد الرجال الذي إندفع بلا مقدمات إلى إحتضاني بقوة،وهو يقول:

=يااااه يا رشدي عمر طويل مر أتمنى ألا تكون نسيتني تأملته متفحصًا له أقدح زناد فكري لأتذكره أخير ًا تذكرته رغم كم كبير من التغير الجسمانى والملامحى الذى أخفى الكثير من هيئته السابقة إندفعت إليه هاتف ًا:

ـ يا الله، فوزي البحيري يا الله هل من الممكن أن أنساك وأنت شريك كل شقاوتي وعبث ي ونزواتي،

ضحك ومال علي هامسا

ـ لا يصح الكلام في هذا هنا لنا جلسات مطولة يا حبيبى

ـ إن شاء الله

إمتدت السهرة طويلا بين ضحكات ونكات ومشاكسات وإستعراض لأمور مضت الضحكات الصافية كانت تزين المكان تملؤه سعادة تضاهي العمر، النعاس والتثاؤب أ مسكا بى،

نظرت إلى شاكر نظرة فهم منها ما أريد

أشار إليهم

ـ عفو ًا رشدي بحاجة للراحة قليلا لو سمحتم،

سارعوا بالنهوض ألقوا التحية وغادروا.

Edit with WPS Office

الأب

صحوت من نومي العميق المصحوب بسعادة وتفاؤل فعلا ً الإنسان عجيب تكون السعادة والراحة والهدوء والسكينة على مرمى بصره وبين يديه تناديه وتداعبه، تشاكسه وهو لا ينتبه لها أو بالأدق لا يبصرها، أنا من هولاء كل سبل الارتياح كانت شاخصة بكل صورها أمامي وبمتناولي وتركتها وإبتعدت، عانيت كثيرا بالبعد عنها، اغتسلت و صليت وجدت إفطاري كالمعتاد بمعظم الريف تناولته سريعا أود الخروج لوحدي أتجول بشوارع قريتي أن أقف على الشوارع والحارات وأن أقف أمام بيوتها أستعيد الأمس، أستعيد ملامح ساكنيها الأوائل من وجوه أبنائهم وأحفادهم، أسرعت بارتداء جلباباً أ سكنته داخل عباءة وانتعلت حذاء ً خفيفا، إتجهت للخروج قبل خروجي جاءت نظرة ي إلى صورة أبي رأيت نظرته العميقة. أشعرتني بأنه يريد ويرغب بحديث إلي، توقفت بل تسمرت قدماي مررت يدي على الصورة إقتربت منها رفعتها أخذتها بصدري قبلتهاأ عدت وضعها تأملتها كثير ً ا ند ّت ُ عني آهة عميقة تحدثت:

"=أبي سامحني على غيابي عنك رغم أنك لم تغب عني مطلقا بصدق رغم غيابك عني من أكثر من نصف قرن إلا أني أراك رفيق ً ا دائم ً ا حين صحوى وحين منامي، حين أ كلي وشربيكل أوقاتي مازلت أتذكرك عندما كنت تأخذني أمامك على حصانك المفضل وتسرع بي نتجول بين أراضينا وأنا أحيانا أضحك وكثير ً ا أبكي خوف ً ا من السقوط ولكن للحق أنت فارس بارع الكل شهد بهذا أتذكر حينما كنت تعود من المدينة ليلا ً متآخرا أكون أنا مستغرق ً ا بالنوم توقظني تأخذني بين أحضانك تمسح نومي من وجه ي تضع لفائف الكباب والعجوة خالية النوي المعجونة بالسمسم تتأملني وأنا آكل تطلب مني إنهاء كل الطعام وكان بالتأكيد هذا أمر ً ا صعب ً ا بعدها تأخذني لغسل يدي وفم ي تجلسني أمامك تبدأ بالحكي دوما قصص الأنبياء من خلال حكاياتك سكنني نور الله ونور الدين، بعدها تدخلني إلى الفراش تغطيني بما يضمن توفير الدفء لي أتذكر أول مرة ضربتني بشدة حين كنا نلعب الكرة بالجرن المجاور عاداتنا اليومية مر بالملعب أحد رجال القرية حقيقة لا أتذكره الآن كان يجر ماشيته وراءه أعاقه عن المرور لعبنا رغم أنه هو من إخترق الملعب وكان بإمكانه الذهاب من الأطراف فسبنا جميعا لم يحدد شخوصا بأعينهم لا أعرف كيف علمت يا أبي بما حدث وجدتك تأتي بخطوات سريعة وتشدني من بين رفقاء اللعب وتنهال علي صفعا بعنف حتى وصلنا للمنزل أخذت ترفعني من ياقة البيجاما إلى أعلى ثم تلقي بي أرضا مرات متتالية حتى شعرت بأني قد تفككت إلى أجزاء وأظن أن فوزي البحيري نال نفس ما نالني فقد كان توأما لي بكل شيء، أتذكر حينما يتحول المنزل إلى خلية نحل الكل يعمل على إنهاء أنواع شتى من الطعام أفهم أ ن هناك زائرين على قدر من الحيثية والوجاهة الإجتماعية كبير أتذكر عندما يقوم المشع لاتي بالحضور بسلمه المرتفع ينظف المصابيح المتعددة الموزعة على سور المنزل وتزويدها بالجاز وإضاءتها بل كنت تأمره أن يفعل هذا مع كل فوانيس الشارع أجد رجا لا ينظفون الشارع بكامله ورشه وإضافة طبقة رمل إليه أتاملك وأنت جالس بين الكثيرين تتكلم الكل ينصت وتستمع لهم تتناقش معهم بنفس لغتهم أنت كنت متوازن ً ا وند ً ا لهم ولفكرهم ولك تمايز شخصي لذ اكنت محببا منهم بعد وفاتك بشهورفتحت مكتبك الخاص وجدت مفكرات صغيرة لكل عام مفكرته، مدون بها يومياتك وتحركاتك

Edit with WPS Office

ومواعيدك، نفقاتك كنت شديد النظام، ووجدت ما هالنى يومها كروتا شخصية من الزعيم جمال عبد الناصر بها عبارات تنم على علاقة وثيقه به كان كل كارت يحمل عبارة عزيزى أيوب سألت أخي الأكبر حينها أقسم لي أنه رأى الزعيم هنا بمنزلنا وتناول الطعام أكثر من مرة مع أبي مؤكد كان هذا قبل رئاسته للدولة، فيما بعد تحققت من هذا عندما عرفت أن شقيق زوجة أبي كان على صلة نسب بالسيد يوسف وزير التربية و التعليم بإحدى وزارات الزعيمبالإضافة لعديد من الكروت التي تحمل أسماء ذوي وضع ا جتماعي كبير ومسئولية أتذكر كيف كان يستقبلك أهل القرية أتذكر مدى الاحترام، أبي ل لأن ما زلت أتعجب كانت لعائلتنا عداوة مع عائلة المنوفي رغم أنك جعلت أحد إخوتي يتزوج من إحدى بناتهم خلاف على أرض كانت مشاجرات تندلع بين الجانبين يسقط جرحى وباليوم التالي إن قابلك أحد من عائلتهم له مصلحة بالمدينة تقوم لمساعدته وتسهيل ما جاء من أجله،وكأن شيئا لم يكن وتعود إلى القرية مصاحبـ ًا له بالسيارة الت ي تستاجرها ورغم ذلك يعود النزاع من جديد وهكذا تكرر الأمر مرات لا تعد ولا تحصى حقا كنت تفصل بين الأمور الخاصة والواجبات الإجتماعية وهو أمر أسير على منهاجه ما يوجعني ويجعل نزيفا دائما بداخلي للآن أني لم أحضر جنازتك كنت أقيم حينها عند خالة لي تعمل بالتربية والتعليم بالقاهرة وكنت بنهاية شهادتي الإبتدائية وأنت أثناءها كنت مريضا المرة الأخيرة التي رأيتك بها زرتك أنا وخالتي بالمستشفى كنت شديد النحول فقد نال منك المرض تحدثنا معك قليلا إحتضنتنى، قمنا للإنصراف أشرت لي بـ العودة إليك ذهبت إليك تناولت يدي قبلتهاقلت لي جملة مازالت بأذني حتى الان، اصنع المعروف ولا تنتظر مقابلا من أى نوع العطاء فضيلةلا يبلغها الإ إنسان سليم النفس طيب الأصل وعظيم الخلق ثم إحتضنتني بشدة وسقطت دموعك على وجهي وكانت المرة الأخيرة التي رأيتك بها، عدنا للقاهرة وبعدها بأربع أيام أتت خالتي وقالت إنها مسافرة هي وزوجها لحضور فرح، كانت بلا أولاد تركتني عند إحدى المدرسات وغابت يومين وعادت، بعد الإنتهاء من إمتحان الشهادة الإبتدائية جاءت إلي جلست مجاورة ل ي على سريري مررت يدها بحنان على وجهي وجهت حديثها إلي:

ـ آيوب، لو ربنا أعطاك حاجة وأخدها منك ، تزعل؟

رغم عدم فهمي إلا أنني هززت رأسي مؤمنـ ًا على كلامها أجبتها بصوت واهن مرتديا ثوب الدهشة:

ـ لا

أخذتني بحضنها، قبلتني ثم ألقت بالخبر إلى صدري، إلى حجري، ألقت بالخبر مصحوبا ببكاء متصاعد منها، زادت مساحات الدهشة، ولم تجعلني أنتظر قالت:

ـ أبوك مات

لم أستوعب ما قالت، تلجم لساني، التصق بسقف حلقي، لم أستطع النطق، أخذت بالبكاء بشدة وهى ألقتني داخل أحضانها، تقبلني، تمسح دموعي، ثم أبعدت وجهها عن وجهي،

ـ غدا سوف تعود إلى القرية، كن قويـ ًا فأنت أكبر إخوتك، فهمت بعد ذلك سبب غيابها اليومين،كانت تحضر جنازة أبي،عدت بعد أربعين يومـ ًا من الوفاة، كل من بالقرية يراز ي، يأتي إلي ويعانقني ويعزيني، حكت لي أمي أن لحظة الوفاة، تاهت عن كل شيء، أ عمامي إندفعوا إلى دولاب ملابسك، كل منهم يخطف ما يمكنه من ملابس، ومن

Edit with WPS Office

كوفيات حتى الملابس الداخلية بداعي أنها تذكار من أخيهم، ما تبقى من ملابسك بالطو وطربوش كنت أرتدي البالطو والطربوش وأقف أمام المرآة أتخيل نفسي مثلك، حكوا لـ ي عن مشهد وداعك، قالوا لم يشاهدوا مثله من قبل وربما من بعد، الشوارع إكتظت بـ البشر من كل صوب وحدب، من القرية ومن القرى المجاورة ومن مدن، من مسئولين كبار، السيارات على اختلاف أنواعها بتلك الفترة، خيول، الكل كان يبكي، حتى النساء كن يلطمن ويمزقن الثياب، وصل الأمر بأن بعض الرجال من المقربين منك، من القرى الآ خرى، بعد إنتهاء مراسم الجنازة قالوا، تحرم علينا هذه القرية من بعدك يا حاج آيوب، حقا كما قال شوقى الشاعر العظيم:

=الناس صنفان ناس موتى بحياتهم وناس تحت الأرض أحياء، صدرت عني تنهيدة عميقة كم أشتاق لك، لكل ما بك رحمك الله"ياابى

خرجت دافئًا موجوء ًا بالذكريات الأبوية أخذت أتجول بشوارع وحواري قريتي أزيد من مساحات التذكر والذكريات، الكل يسارع لتحيتي، من هم من جيلي أو من أجيال سابقة أو لاحقة، أما الشباب فكان يتأمل المشهد يود الفهم، أخذتني قدماي إلى الترعة الرئيسية بالقرية والتي تقع أمام أراضينا الماضية، وقفت أمامها، لقد ضاقت بفعل الإ عتداءات على حرمها من أصحاب الأراضى المحيطة بها، أتذكر طقسا عشته سنوات، أ ثناء السير على شاطئها وبين الحقول المجاورة، بعد صلاة الفجر،عادة مارسها كل أبناء القرى بإعتقادي، حسب القول السائد حينها أن أي عمل بعد الفجر يكون أكثر رسوخ ًا وثباتً ا، كنت أرى الكثير من رجال القرية يلقون أنفسهم بمياه الترعة عرايا تماماً وكأنها ا محاولة ومباراة لإثبات فحولتهم وإثبات أنهم قد نالوا حقوقهم الشرعية بشكل مرض لهم!!،أظن والحمد لله أن كل هذا تغير،بعد لجوء الجميع إلى مغريات العصر، ومن تواجد حمامات تتيح لهم هذا بشيء من الخصوصية، يالله! العفوية أحيانا تكون فجة وعن غير وعي طال تجوالى حتى أعيانى بعض الارهاق عدت وجدت البعض من عائلتي ينتظرني، جلست بينهم نتناول أحاديث شتى طال الوقت معهم ثم إنصرفوا، أخذت طريقي إلى الطعام المعد دوما ولم أعد أسأل عمن يفعل.

Edit with WPS Office

أجيـــــال

صحوت على أصوات عديدة تأتيني من الصالة يبدو أن أبناء إخوتي وأخواتي قد أتوا، نهضت مرتديـ ًا ثوب الهدوء والكسل سارعت بالإغتسال، وصليت، ثم خرجت إليهم الجميع بلا إستثناء إندفعوا إلي كبار ًا وصغار ًا، يقبلوننى السيدات يسلمن بحرارة، يربتن على يدى بأيديهن أو على كتفى كلها رسائل شوق وحنان أمرت أحدهم أن ينهض ويعمل لنا الشاي كعادته إبن أخي سالم رحمه الله الذى يحمل اسم الجد الأكبر حسن شاكسني

ـ لك يومان وأنت هنا يا عمي ولم تفكر بنا، إلا بعد زيارة الكبار، نحن أيضا لسنا صغار ًا يا عمى، أقول لك حاجة ربما فكرت أن تجعلنا التحلية بعد الطعام العائلى المتخم، ولا أقصد الطعام الأكل أقصد فيض الحنين والمشاعر والله عندك حق فبعد الأكل الدسم الملـ يئ ذكريات ٍ وحنينا وشوقا ونكات ومشاكسات أنت مجتاجا لتناول جرعة مكثفة من عصائر وحب أبنائك نحن يا عمي ختم قوله بضحكة عميقة صافية شاركها معظم الحاضرين،

ـ والله كلامك حكم ياحسن فعلا عمك كان محتاجا لكل هذا، من سنين عمك فرط كتير فى أشياء ربما كانت تضيف إليه أوكسجينا نقيـ ًا ولكن لا نملك من أمورنا شيئا ً الله هو من خط لكل إنسان كتابه من ميلاده إلى مماته ولكن هذا لا يمنع أننا أيضا كثير ًا ما نخنع للحياة ونتركها تفعل بنا ماتشاء ونبحث عن مبررات لقبولنا هذه هي الحقيقة، دعونا من نوبة الفلسفة والحكمة وأخبروني عنكم أسمعوني كل شيء.

بدأوا بالحكايات الحياتية لكل منهم، منهم ما هو سعيد بحياته كاملة، ويرنو إلى المزيد، منهم ماهو على خلاف مع زوجته المتمردة غير الراضية عن كل شيء بلا مبرر غير النظر لما عند الآخرين وهذا مرض، يذهب البركة،ومنهم ماهو بخلاف مع أهل زوجته لميراث معلق، لم يبت فيه رغم سنوات كثيرة على وفاة صاحب الإرث، ومنهم من هو على خلا ف مع جيرإن له بسبب مشاحنات الأبناء أو خلاف على حدود أرض مشتركة، والأخوات مثل هذا الحال، زوج طيب لا يملك القرار وتارك كل المسئولية عليها، أكل وشرب ونوم وهذه هى كل حياته أو زوج عصبي يثور على الكبيرة والصغيرة، أو زوج بصباص له العديد من العلاقات، أو إبنة متمردة على حياتهم تطلعاتها أكبر من الممكن إتاحته كما تريد وتطلعاتها أكبر من الواقع المعاش، ومؤكد تعرج بنا الحديث إلى حكايات ونوادر ومشاكسات مرت بناغلف الجلسة جو من البهجة والصفاءلا يشبع منه أحد.

استمرت الجلسة طويلا، وعدت بالتدخل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه فى أقرب وقت، طلبت من أبناء إخوتى أن تأتى إحدى بناتهم أو زوجاتهم للقيام بشئون المنزل من كل شيء، فـ لا أرغب أن أظل على عاتق شاكر ابن عمي يكفيه مصاحبته لي وتفرغه التام وكذلك ما ألقي على أسرته من مسئوليات تجاهي.

وعدونى، إنصرفوا تاركين لي حالة إرتياح نفسي كبير أشعرني بأني قد أزحت الكثير من تراكمات العمر عن صدري، فعلا نحن بحاجة ماسة إلى الإندفاع إلى ذكرياتنا، إلى عمرنا فـ إدراك الماضي مؤكد وبلا أي جدل حافز للمستقبل، نحن دوم ًا بحاجة لجلسات متعددة مع كل أجيال وأعمار وعوائلنا ومحيطنا المجتمعى، حتى نكون على مقربة وعلـ

Edit with WPS Office

ى مسافة منطقية من الحدث لحظته ومتغيراته على المدى القريب والبعيد، وقراءة ما بين السطور، إن حدث هذا يكون عندنا رصيد كبير من السلام النفسي الذي يؤدي إلى سلاسة الحياة.

Edit with WPS Office

الرحلـــــة

الصحراء مترامية الأطراف،لا يستطيع بصر الوصول لنهايتها، أرض رملية، بها إرتفاعات بكل أنواع القياسات وأشجار تنتمى إلى طبيعة الصحراء نخلات متناثرة أشجار متعددة الأصناف كافور وبلوط، وسنط حشائش وصبار، الغريب أن هذه النباتات العشوائية تجد أنها متناثرة على مسافات تكاد تكون متساوية وكانهم عقدوا إتفاقا على هذا، أنواع آخر ى لا نعرف أسماءها، بضع من الخيام متناثرة هنا وهناك ولكن التأمل فيها جيدا يجد أنها دائرة كل خيمة على مسافة محددة من الأخرى، يتوسط هذه الخيام خيمة كبيرة على نمط مغاير وبحجم أكبر ولون مختلف هذا التميز يعطي إنطباعا أنها لكبيرهم، على مسافة بعيدة بعض الشيء جلس شيخ قارب الستين من العمر، متوسط القامة خمري اللون ذو لحية قصيرة تناوشها بعض الشعيرات البيضاء، جالس على صخرة ناتئة ممسك بيده جذعا صغيرا من شجرة يرسم به خطوطا طولية وعرضية ودوائر، كل لحظة والأ خرى يمرر يده على لحيته، يبدو من تكرارها أنها عادة ملازمة دائما له، التفكير مسيطر عليه، ندت عنه همهمات وكلمات قصيرة:

ـ إلى متى نظل ر ُح ّلا ً؟ كل فترة بمكان غير المكان لا نعرف إستقرارا يكفى ما مر بنا ومن السابقين من ترحال ، لابد من التفكير بإستقرار، ولكن كيف وأين؟ حقا لدينا ا لأموال ولدينا ثراوتنا من الحيوانات، لابد من حل ثم رفع رأسه إلى السماء هاتفا:

ـ لك الأمر لك التدبير رب العالمين

فى الحقيقة من فترة ليست قصيرة وهويفكر بجدية فى هذا

نهض نافضا ما علق بعباءته من بعض الرمال وأسرع الخطو عدوا، بهذا العدو كان يشعر كأنه عاود شبابه، إقترب من مضارب الخيام صاح :

ـ صالح صالح

برهة مرت أتاه من إحدى الخيام شابا يقارب الثلاثين قوي البنية طويل فارع، جاء مهرو لا صائحا متلهفا:

ـ أبى ما بك؟

ـ لاشيء إطمئن تعال

وضع يده على كتف إبنه سار به بعيدا قليلا:

ـ صالح أريد مشورتك بأمر ما أنت كبيرى وساعدى الأيمن

علت مساحات شاسعة من الدهشة وجه الإبن فهو يفهم والده جيدا حتى من نبرات صوته وهذا النداء يشي بأن هناك أمرا ً أو أمورا ً ذات تفكير قلق تشغل باله من فترات طويلة، أجابه متلهفا وبصوت نبراته تقارب نبرات الأب:

Edit with WPS Office

ـ ماذا يا أبي؟

ـ من أيام وشهور وربما أعواما كثيرة وأنا في تيه من الفكر أفكر بأن يكون لنا مكان نستقر به وكفى ترحالا، وتغيير خطواتنا بين اليوم والآخر

ـ وهل قررت أمرا ً؟

ـ نعم فقط بعد الجلوس مع أعمامك وأولادهم وإخوتك ومناقشتهم، صالح إدع الكل لجلسة بعد الغروب أسرع

ـ حاضر يا أبي

نهض وإحتوى رأس أبيه بين يديه وقبله،

ـ تؤمر يا أبي حفظك الله

ثم أخذ يتراجع للوراء بظهره فلا يصح ولا يليق به أمام كبيرهم قبل أن يكون والده أن يعطيه ظهره، ظل الشيخ على جلسته هذه والفكر ينهب دواخله، أخيرا نهض متمتما ببعض آيات القرآن، بعدها إنفرجت أساريره وعاد البشر إلى وجهه

أسرع الإبن بالمرور على كل خيمة وإبلاغهم برغبة الشيخ بل ذهب إلى أماكن الرعي أبلغ الجميع وأكد على حضور الكل كبارا وصغارا رجالا ونساءا، مر أيضا على نسوة القبيلة وأبلغهن بالإعداد لطعام جدير باجتماع العائلة الذى يتنبأ بأنه هام جدا، النسوة سارعن إلى إيقاد ركوات النار وعجين الدقيق لصناعة الخبز، إعداد لحوم الضأن والثريد والتمور متعددة الأنواع وشراب الأعشاب، هذه أمور إعتدن عليها حين يحل عليهم ضيوف أو تجار لهم تجارة معهم أو مناسبات أعراس أوعزاء، بعدما إنتهى من مهمة إ خبار الجميع لما يريده الشيخ وتساؤل كبير

=على ماذا تنتوى يا أبي؟

زفر زفرة عميقة

=مؤكد خير،يارب العالمين

طال جلوسه وبالنهاية نهض، لابد أن يكون مستعدا قبل أي أحد آخر، دخل إلى خيمته تمدد وطلب أولاده طالبهم بالإشراف على لقاء الشيخ من كل شيء، نادى إبنه أيوب الذ ي يرى فيه الحكمة والنبوغ علاوة على أنه عرف القراءة والكتابة على يد أحد الأعمام و الذي كان قد غادر القبيلة لسنوات حاول أن ينزع عباءتها ولكنه عاد بعد سنوات بزوجة و أبناء طالبا العفو والعودة إلى دفء أهله وسكنه الدافئ بينهم، الشيخ حمل إبنه أيوب أ مانة أن يكون جالس قريبا إلى حد ما من جده ويستمع جيدا ويلبى أى مطلب لجده، طلب منهم الخروج حتى ينال قسطا من الراحة

الحركة متسارعة والكل يهرول لإنجاز مهامه، الرجال الكبار الأفكار تدور متسارعة داخل رؤوسهم ماذا يريد الشيخ،وما هو القادم من أمور كل منهم ينهي الأمر بزفرة والقول

Edit with WPS Office

=قليلا من الوقت وينجلي الأمر

عندما أخذت الشمس بإرتداء ثوب المغيب، إندفع الجمع إلى الجلوس بالباحة أمام خيمة الشيخ، صفوف متتالية دون ترتيب مسبق، الرجال الأكبر بالصفوف الأولى ثم الشباب الأ صغر سنا ثم الصغار ثم النساء بملابسهن المزركشة المليئة بالتطريزات وبالترتر المتعدد ا لألوان والموزع بتناسق على كامل ملابسهن،والأقراط الطويلة المتدلية من آذانهن،و العقود التى تزين أعناقهن المصنوعة من الصدف والعاج والملونة بشكل مبهر ونقابهن، أ شعلوا النيران فى أكثر من مكان للإضاءة، الهمس يداعب كل الشفاه والتساؤلات تكاد تقفز من الروؤس، طال الإنتظار لبعض الوقت مما جعلهم نهبا للأفكار، شعروا بباب خيمة الشيخ يفتح ويخرج يسير وبجانبه صالح، وقف الجميع ران الصمت تماما على المكان، جلس الشيخ على بعض الوسائد وأشار لهم بالجلوس جلسوا صامتين تماما ً، الإنتظار القلق يعتري وجوههم، الشيخ دوما ينظر للغد وليس هذا بجديد عليه ولكن هذا لا يمنع أ نهم يحلمون وينتظرون أمورا مؤكد أن بها الخير والسعادة لهم ولأبنائهم، فوضوا أمرهم لله وكل منهم يتمتم يارب ننتظر منك كل الرجاء وكل الأمل.

جلسوا صامتين تماما، الشيخ كعادته كلما أخذه التفكير يمسك بجزء صغير من جريد النخيل يخط بها خطوطا طولية وعرضية وأشكالا شتى يرفع رأسه كل برهه يتأمل الجمع محاولا قراءة ما يجول بدواخلهم، إستغرق هذا وقتا ليس بقليل مرر يده على لحيته داعبها ثم إنطلق بالحديث:

ـ تعرفون جميعا أني أفكر لكم وبكم وأنا معكم لأني منكم قد يكون لي شأن مميز لديكم بفضلكم أنتم علي ولكني أولا وأخيرا واحد منكم ولكم، من هنا أفكر من فترات طويلة أ ن لابد لنا من الإستقرار والسكينة بدلا من حياة التنقل والترحال كل فترة بمكان نتعرض للعديد من الصعاب المعيشية وتغييرات الطقس من مكان إلى مكان وصحيح أن هذا يبعدنا عن الكثير من مشاكل كثيرة نسمع عنها وبها من خلال ما يرد لنا من أنباء، المهم أ فكر وأنتم معي أصحاب وشركاء القرار أن نستقر أن تكون لنا بيوت وزراعات وتجارة مستقرة من هنا أدعوكم للتفكير معى ولا تتعجلوا لأنه قرار يغير فينا الكثير أنتم من تحددون وأنتم أصحاب القرار، وأنا مجرد واحد منكم وأترك لكم تحديد مهلة الرد و التشاور هذا ما أردت قوله.

قام أحد إخوته قائلا:

ـ ياشيخ حسن، أنت شيخنا وكبيرنا وحكيمنا وما عرفنا عنك إلا الحكمة والعقل ومن هنا الرأي رأيك والقرار قرارك ونحن معك أينما تكون خطواتك

عاود الأخ الجلوس، إعترى الجميع صمت مطبق، أشار الشيخ بيده وتكلم:

ـ أخي قولك على رأسي وأشكرك ولكني م ُصر ٌ على مهلة للجميع ثم يكون القرار النهائي وليكن القرار بعد نقاشكم فيما بينكم وسوف أنتظر من يإتيني منكم برد هيا إلى الطعام.

كانت نساء القبيلة قد مددن الأبسطة المعده لوضع أواني الطعام، كل مجموعة إلتفت حول الطعام كان البشر يكسو كل القسمات، الأعين بها بريق ربما كان ترحيبا مبدئيا

Edit with WPS Office

وشغفا بفكرة الإنتقال لعالم جديد، بعد الطعام وتناول القهوة قام الشباب ببعض الرقص البدوي على دقات الأكف والغناء البدوي المميز النابع من الأفئدة بلا حواجز أو زيف، نهض الشيخ، نهوضه معناه إنتهى أمر الليلة والكل لابد أن يخلد للنوم والكل صار يفكر كيف يكون الغد، بل صار هو مدار يقظتهم ونومهم، حتى الأطفال صاروا أكثر مرحا وإ بتكارا لألعابهم، الأطفال أخذهم البشر إستشرافا للغد، تشعر برؤية المشهد أن الجميع يفتح ذراعيه طالبا للأكثر والأكثر من حرية وعالم جديد، هم لم يشكوا يوما أو يتذمروا ولكن تصلهم أخبار عن عالم الآخرين، عالم المدن والبنايات والحياة التى بها إستقرار، صاح أحد الشباب فاتحا ذراعيه نحن بإنتظارك أيتها الحياة وأهلا بك، وأخذ بالرقص وأ حاط به الجميع من الشباب وشاركه الرقص والغناء، أحاطت البهجة ربوع المكان ، على مدار أيام وليال إجتمع أفراد القبيلة فرادي وجماعة وإتفقوا بعد نقاشات كثيرة على موافقة الشيخ فيما إنتواه وأقروا أنهم بإنتظار دعوة الشيخ أيام وإن طال الأمر يذهبون اليه موافقين وهم على قناعة بما يريده لهم

Edit with WPS Office

الشيـــخ

ثلاثة أيام وثلاث ليال منذ كان جالسـ ًا مع أفراد قبيلته، وهو حائر،عدد من التساؤلات بداخله طنين برأسه هل طلب الاستقرار جيد وصائب وهل سيكون له وقع طيب حتى لو على الأمد البعيد وهل تتأقلم وتتناغم عاداتنا وتقاليدنا مع مجتمع جديد وهل أهل المكان الجديد سيرحبون بنا، ألف هل لم ينقطع عن الذهاب والمجيئ يفكر وفى نهاية كل لحظة يتمتم، الخيرة فيما يختاره الله مؤكد اليوم سوف يجلس معهم مرة ثانية ويعرف إلى أي أمر انتهوا، نادى إحدى زوجاته:

ـ أحضري إليّ بعضا من الحليب مذاب به العسل

تناوله على عجل خرج من خيمته ملأ ناظريه بالفضاء المحيط وكأنه يلقي نظرة وداع، نادى على صالح الذى أتاه مهرولا ً

ـ نعم أبي

ـ بعد ساعة إجمع الكل هنا

=أمرك أبي

مضت لحظات طويلة وعاد صالح إلى خيمة أبيه بعد أن صاح طالبـ ًا الإذن، دخل أ خبره بأن الجميع بانتظاره، أشار إليه بالذهاب وسوف يلحق به، الجمع متراص دون تعمد لكل مكانه وإنتظار المجهول مرسوم على وجوههم، خرج الشيخ إليهم نهضوا كما تعودوا إحتراما له، أشار لهم بالجلوس، جلس يكاد يكون بمنتصف الجلسه، كعادته يلازمه جزء صغير من فرع شجرة يخط به خطوطا طولية وعرضية ودوائر وأشكال آخرى، مؤكد تعطى إنطباعا بأن الحيرة ساكنة بداخله داعب لحيته، رفع رأسه تفحص كل الجمع، أشار بيده علامة الصمت وأن يسمعوا له دون أى شرود.

ـ قبل أي قول أكرر مرة آخرى تعرفون جيد ًا أني أفكر لكم وبكم وأبد ًا أغلب مصلحتنا جميعاعلى أى أمور آخرى، أما عن جلسة اليوم فأنت تعرفون سببها دون إطالة أسالكم هل فكرتم من جديد وبجدية مرة آخرى، هل انتهى بكم الأمر لقرار نهائي غير متسرع بفعل العاطفة وعدم مجادلتي أرجو أن يكون قراركم أيا كان نابع من إرادتكم أ نتم، أنتظر منكم الرد دون أي ضغوط أو إملاءات وبصراحة وأرجو أن أسمع منكم قبل أي قرار نتفق عليه أنتظر.

إنتهى من قوله ورفع نظره يعاود تفحص قبيلته وجد أحد إخوته رافعا يده طالبـ ًا الإ ذن بالحديث أذن له:

ـ تفضل ياشيخ عمران،

ـ شيخنا بداية لا حاجة لك أن تبرر وأن توضح ماذا أنت وماذا تفكر الكل يعرف كبير ًا

Edit with WPS Office

كان أو صغير ًا إنكم طوال عمركم وأنتم للقبيلة وليس لك ولا لأبنائك الذين من صلبك بالأخير أقول إن الكل أجمع على موافقتك على قرارك نحن معك سر بنا كما تريد.

رفع رأسه للجمع وصاح بهم:

=أليس هذا ما توافقتم عليه؟

صاح الجميع بصوت موحد يجمع أصوات الكبار والصغار والنساء.

ـ أنت مفوض عنا شيخنا.

ظهرت أسارير السرور على وجهه وزاد بريق عينيه، تمتم بصوت خافت ولكن مؤكد وصلهم فهم يجيدون قراءة الشفاه:

ـ لتكن مشيئة الله لله الأمر من قبل ومن بعد.

عاود الحديث إليهم:

=سوف نرسل البعض إلى الحاج بهي سالم بمديرية الغربية وآخرين للحاج منصور أبوحسين بمديرية المنوفية، وأخذ رأيهم بأمرنا ومن يوفر لنا أمانا ووجود ًا قوي ًا ويمكننا من شراء مساحات زراعية كبيرة، نشتريها لنقيم عليها حياتنا الجديدة، لن نتعجل ولننتظر عودة من نرسلهم ونناقش ماتم والخير دوما فيما يختاره الله، صالح ومعه فارس إبن الشيخ منصور يذهبان لمديرية الغربية وحمدان ومعه سعيد إلى المنوفية، كل منهم لدية خمسة أيام للذهاب والعودة، هيا إنطلقوا وخذوا كفايتكم من المؤونة والشراب، نهض الشيخ أذنا بالانصراف،كل إلى شأنه

تداعيات

إستيقظت على بعض الربتات الحانية وهمس هادئ:

=إنهض إقتربنا من العصر يبدو أنك إستدعيت نوم سنوات لم أرد أن أوقظك إنهض الغد اء جاهز من بدري قامت بعمله حرمنا المصون أتمنى أن تخيب ظني بطعامها وتشيد به لأنى لا أشعر بحلاوته من فترة ، يبدو أننا كأزواج كلما مرت بنا السنوات ننسى أو في الحقيقة نتناسى حلاوة كل شيء تصنعه الزوجات، يا صديقي هكذا نحن معشر الرجال بنا شوق دائم للتغيير رغم أن التغيير كثير ًا ما يكون ضار ًا أشد الضرر بالمزاج وبالصحة وبأمور كثيرة أبسطها ذهاب السعادة كثير ًا وبلا عودة، ولكن ماذا تقول هذا

Edit with WPS Office

عنوان الرجال هيا وراءنا الكثير،

أسرعت بالنهوض،إغتسلت وصليت مافاتنى من صلوات، إرتديت جلبابا من الكثيرة المتراصة بالدولاب رأيته مناسبًا لي وتناولت عباءة وضعتها على كتفي، ناديته:

ـ أنا جاهز هل الغداء هنا أم بمكان آخر.

ـ ببيتى على الأقل تتعرف بأهل بيتي ربما تنذكرهم

قاطعته بإشارة من يدي.

ـ لم أنس ربما مؤكد ملامح أبنائك تغيرت ولكني أظن أني أتذكر الأسماء، دعني أخبرك عنهم عبد الله، الأكبر على إسم جده ومحمود ونادية وسمراء

إعتلت الدهشة قسماته هتف بصوت محاط بالذهول:

ـ ماشاء الله كما أنت ذاكرة فولاذية فقط أضف لهم آخر العنقود ياسين جاء بعدما نسينا أمر الإنجاب عمره12عام

ـ ربنا يبارك بكم جميعا

ـ= هناك أيضا من أضيف الأحفاد نسائم الحياة والحنين للطفولة لدى7 أحفاد هيا لوظللنا على هذا الكلام لن نتغدى وربما لا نتعشى.

تناول راحة يدي، إحتواها سار بي إلى بيته، لا يبعد كثيرًا عن المنزل، من مأثر جدنا ا لأكبر الشيخ حسن أن جعل كل بيوت العائلة بمكان واحد وكان يقول حسب ما تواترَ من حكايات لازم كلنا نكون قريبين من بعض حتى يظل إحساسنا ببعض لا يتناقص بل يزداد.

لحظات وكنا أمام بيته، تغير بنيانه، صار مكونا من عدد من الطوابق مخصصة لأبنائه، طرق الباب طرقات التنبيه لم ينتظر دفع الباب الخارجى، دخلنا فوجئت وكأننى أمر بين تشريفة إستقبال رسمى، أولاده وأحفاده متراصون على الجانبين وزوجته بنهاية التشريفه يالله! عيونهم كلها فرح غير مصطنع وبسمات تزين الشفاه، ظلال الشوق مؤشر إنتظارهم، مررت بينهم أتناول يدًا بعد يد وحضنًا بعد حضن همست همسًا بما يجيش بالصدور سلمت علي زوجته.

=إزيك يا رقيه مازلتِ كما أنت شباب متجدد.

تضرج وجهها خجلا.

ـ مازلت تتذكر الاسم ومازلت كما أنت حلو الكلام أهلا أهلا بالغالي، بصدق لم ننسَك، معظم حديثنا أنا وشاكر عنك سواء وحدنا أو بوجود الأولاد، أولادنا أيضا يعرفونك من حديقا الدائم عنك.

Edit with WPS Office

طفرت دمعات على وجهي ما أراه كنت أتمناه وألوم نفسي على مغادرة هذه الطقوس العفوية،

عاود الأخذ بيدي أدخلي حجرة الصالون، متسعة رحبة ومؤثثة بشكل متناسق يعطي لها شكلا ترتاح له النفوس والأعين، على الجدران عدد ليس بقليل من الصور أبيض وأسود وألوان تركت يده، وجدت نفسي أذهب بإراداتي وبدونها إلى صورة عمي عبد الله الحكاء وقفت أتامله وأتمعن بملامحه الراسخة داخلي ولا أظنها تـ ُمحى فهو تحديد ً ا كان عالمنا اليومي، ندت عني همسات:

ـ آه وآه كم أوحشتني يا عمي.

مددت يدي مررتها على الصورة ، تمنيت لحظتها لو كنت أمررها على وجهه حقيقة، أ خذت أتجول بين الصور شاكر وإخوته وأبناؤه وأحفاده ، هو وبعض من أصهاره وأعمامه وأخواله التاريخ تتحدث عنه الصور كما تتحدث عنه البيوت ، الأمكنة تختزن كل شيء ذاكرة فوتوغرافية شديدة الإتقان، إلتففنا حول الطبلية حسب ما طلبت أكلت بنهم لم أ عهده بي من قبل تداولنا الأحاديث حول ذكريات ونوادر مرت بنا الضحكات تخرج من القلوب بلا إصطناع تناولنا الشاي نهضنا داعبت يدي وجوه أحفاده إحتضنت أكف أولاده فاجأني بأن بينهم طبيبا ومهندسا، خرجنا، أخذ يسير بي إلى بيوت أبناء عمومتي نفس ا للقاء الحار الخالي من المجاملة المفتعلة، الدعوة لتناول الطعام وتناول المشروبات كنت أعتذر وأتعهد بفعل هذا لاحقـ ًا كلما غادرنا بيتا يعاودني شعور أن سنواتي تتساقط من على كاهلي وأنني عدت شابـ ًا رشيقـ ًا أكاد أقفز بخطوات، بل وددت لو هرولت معبر ً ا عن ما بداخلي من أحاسيس تنير دواخلي.

Edit with WPS Office

الحكـ ـاء

كنت إبنا مدللا للغاية لرجال العائلة ونسائها وتحديد ًا أعمامي، هذا التدليل كان عفوي ًا تلقائي ًا تعبير ًا عن مدى حبهم وإيثارهم لأبي كبيرهم ليس عمر ًا ولكن من منطلق أنه الأوحد من بينهم من نال قسط ًا من التعليم ويتمتع بالحكمة والآراء الصائبة، كنت طوال النهار بين أعمامي أجد منهم حناز ًا وعطاء ًا ، ببدايات الليل كنت أندفع لا شعوري ًا إلى بيت عمي عبد الله وزوجته عمتي آمنة، كنت أبكر بالذهاب إليه لأجد مكاز ًا بالقرب منه والاستماع بوضوح إلى كلامه رغم علمي أنني حتى لو تـ أخرت سيأخذني بجواره ملاصق ًا له كان حريصا أن يكون بجواره على الدوام طبق ما يئ بالأرواح كماكانوا يقولون عنها ما يسمى هذه الأيام "بنبون"، عمي كان يتكلم ويمثل بالحركة ما يؤكد كلامه، حتى إن بعض شباب العائلة أطلقوا عليه، إسم عبد السلام محمد نسبة إلى الممثل القدير صاحب الإسم، فعلا كان شبيها به لدرجة لا تصدق، نفس حركاته وتعبيرات وجهه ونبرات صوته ، حكاياته لا تنتهي وإطلاق مسميات تشبيهية على بعض رجال ونساء العائلة والأقارب، فهو للأمانة لم يفكر على الإطلاق بأن يفلت تشبيهاته خارج هذا الحد منع ًا لحدوث ما يسبب خلافات، حكاياته كثيرة متعددة ليست متشابهة لأن رأسي مكتظ بالعديد منها ولكن الأكثر قرب ًا لي من حكاياته ولا تنسى مطلقا بعضا منها.

Edit with WPS Office

المي__لاد

صحن المنزل الرحب المليئ بعديد من الكنب البلدي المفروش بعناية توفر الراحة مع وجود بعض من الكراسي، في صدر هذه الصالة يجلس الحاج أيوب على كرسي لا يجلس سواه عليه، كل رجال العائلة متواجدون وبعض من أبنائهم الشباب، يتولون المرور بأكواب الشاي والحليب وفناجين القهوة بين الحضور، كل مجموعة منهم تجلس متقاربة يتناولون الحديث حول كثير من أمور العائلة والقرية والبلاد المجاورة، الصمت كثير ًا مايعاود الأطباق عليهم لايصدر عنهم إلا بعض الهمهمات الخافتة، الحاج صامت وشاردا وإن كانت عيناه تنطق بكامل الوعي والإدراك لكل المحيط به ، مما جعل عمي عبد الله يهمس فى أذن أقرب عم آخر. يا أخي كأن الحاج بإنتظار مولوده الأول وعنده ما شاء الله رجال وبعضهم له أطفال وشباب كبار، نظر إليه العم وبعضا ممن يجاورونه محاولين كتم ضحكاتهم، أشاروا عليه بالصمت، فعل ًا كان الحاج ينتظر من زوجته الثانية إبنة المدينة التى أتى بها من حوالي العام بعد أن عرفها عندما كان بذهب ً للإ طمئنان على أحوال أبنائه الذين يتعلمون بالمدينة كان يسكنهم بسكن دائم طوال سنوات دراستهم، صاحبة البيت كانت أرملة لها أربع شباب وأربع بنات، هم أخوالي وخا لاتي، على مدار سنوات كان يتابع البنات، عرف عنهم الأدب أعجبته فايزة الإبنه الثالثة بترتيب عائلتها، أعجبته صاحبة السابعة عشر من العمر، تقدم لطلبها قوبل طلبه بالرفض مرات بسبب إن له زوجة وبسبب فارق العمر الكبير، ولكنه ظل على إلحاحه حتى تمت الموافقة، أعد جناحا من المنزل لزوجته وأتى بها، يوم حضورها الأول كانت ليلة ليلاء الزوجة الأولى إبنة العمدة الكبير وأخت العمدة الحالي، أشعلت نار ًا هذه الزوجة التى تزوجها دون أن يراها ولو مرة واحدة قبل الزفاف كعادة ذلك الزمن، ولكن حسب قوله لبعض إخوته صدم ليلة زفافه، كانت قصيرة القامة مكتنزة الجسد والبشرة السوداء، وحسب ما قيل بعدها على لسان نساء ورجال العائلة أسرع خارجا مغادر ًا المنزل ظل الحاج صالح وأبناؤه يبحثون عنه لليال تقترب من الثلاث، عثروا عليه عند صديق كان يعرفه من أيام تعليمه، جلس معه والده على انفراد،

ـ كن رجل ًا وتحمل مسئولية عائلتك وسمعتها، الزواج تم ربما ليس كما حلمت ولكن إ عتبره زواج مصلحة، نحن نوثق علاقاتنا علاقات المصاهرة مع كبار العائلات بالقرية وأ جواراها هكذا علمنا جدك الشيخ حسن، لعم عبد الله هنا تعليق سبحان الله ينم على أنه متابع جيد للشأن المصري، قال أثناء الحكي جملة كانت كبيرة على أعمارنا ولكنها راسخة للأن داخلي.

ـــ الحقيقة أن جدكم حسن كان صاحب فراسة وبصيرة، حرص على أن يكون مصاهرا لغالبية العائلات، كان يصنع سياج ًا من الحماية التامة للعائلة وقد قلده بعد سنوات عد د من رجالات السياسة المصرية، فقد فعل هذا المهندس سيد مرعى وزير الزراعة وأحد أقطاب الدولة لزمن طويل فقد صاهر الرئيس السادات وبعضا من الساسة المرموقين، وعلى نفس الأمر فعل ذانه المهندس عثمان أحمد عثمان وزير الإسكان وصاحب الشركات الكبرى بمجال المقاولات صاهر هو أيضا الرئيس السادات، المهم أقنع الإبن دخل بها، أنجب منها أربعة شباب وإبنة غير من مات بعد الميلاد لأسباب عدة، إفتعلت مشاجرة معه وصراخ ولطيم، عندما زاد الأمر عن حدوده إضطر لضربها وأمر بعض نساء العائلة بإدخالها إلى حجرتها وعدم تركها للخروج مطلق ًا، وهذا ما حدث، إنتظرنا لساعات أن يأتينا خبر بأن المولود قد شرف ووصل، أشار إلي وكنت أنت يا رشدي

Edit with WPS Office

صاحب سمو الليلة، أقام أبوك ولائم وكان يوم سبوعك يوما أظنه لن يتكرر، أنجبت بعد ذلك ولدين وبنتا وعاش أبيك بعض ًا من الهدوء وكثيرا من المشاحنات،

للحقيقة كنت أتلذذ كثيرا بحكاويه وكنت دوم ًا أنصت بشغف له رحمك الله يا عمي.

Edit with WPS Office

ال__زواج

هذه الحكاية تحديد ًا لا أمل من إستدعائها لأنها تجعلني أستلقي على ظهري ضحك ً ا، ف ِعل ٌ قا ّما يحدث أو للحق ليس من الممكن حدوثه على وجه الإطلاق، تبدأ الحكاية كما رواها الممتع حكاء العائلةعندما أعجب عمي رشاد المتفآخر بشبابه وفتوته بست الدار الصبية ذات الربيع السابع عشر، شاغلها وتابعها، حاول الإقتراب منها كثير ًا ، أرسل نظراته إليها طويلا، حاول محادثتها مرار ًا لم تدع له مجال ًا، لم يجد سبيل ً ا إلا الذهاب لأبيه صالح، جلس بين يديه خجلا طال جلوسه دون أى كلام، وبطبيعة الشيخ صالح الصمت مهما طال، يكتفى بالنظرات المتفرسة الفاحصة القارئة بدقة لما يريده أي من يكون بحضرته، كلما أراد رشاد الكلام إرتدت الكلمات إلى حنجرته، بعد صمت مطبق وطاغ نطق.

ـ أبي أرغب منك بأمر أتمنى تلبيته لي.

ـ إن كان بالإمكان لن نتأخر.

ـ أرغب بالزواج.

إنتفض وجه الأب وجحظت عيناه

ـ تتزوج؟ أليست لك زوجة وولدان وبنت؟

ـ وما المانع أبي إن كنت قادر ًا؟

ـ لا مانع فقط أردت التنبيه، فنحن عائلة معظمها متزوج مثنى وثلاث، نوع من البحث عن إثارة غيرة النساء من بعضهن ومن هنا نضمن إمتلاك زمام أمورهن وعدم إتاحة أي فرصة لمنغصات ونضمن توافر الإمتاع بشتى صوره بشكل دائم، بشرط أن من يريد الزواج تكون له القدرة على العدالة الزوجية وعدم زعزعة إستقرار حياته ، ولكن أنت تحديدا هل فكرت جيد ًا من كل الزوايا وهل لديك القدرة على توفير ما قلته لزوجتك وأولادك وحياتك، حتى تتمكن من إدارة دفة حياتك بشكل لا يزعجك أويزعجنا؟

ـ مؤكد فكرت مرات ومرات، إطمئن أبي من هذه الزاويا.

ـ من تكون ؟

=ست الدار، إبنه بيومي عنانى مؤكد تعرفه.

ـ أعرفه رجل دين وورع إختيار جيد، على بركة الله، سوف أرسل إليه طلبا برغبتنا بزيارته، ولتكن مشيئة الله.

نهض رشاد، إرتمى بين أحضان أبيه، أخذ رأسه بين يديه وقبلها مرات عدة، إنصرف يتراقص بالهواء ويدندن، على الفور قام الشيخ صالح بإرسال أحد رجاله إلى الشيخ بيومي يطلب منه الإذن بزيارته بعد صلاة العشاء، الأمر الذي نال ترحابا كبيرا من الشيخ

Edit with WPS Office

بيومى، بعد الإنتهاء من الصلاة، إصطحب إبنه دون أى أحد آخر، توجها إلى منزله، الذى بجوار مسجد الرحمة بالطريق الواصل بين القرية وبعض العزب، طرق الباب رشاد، برهة وإنفرج الباب عن صاحبه مرحبا مهللا البشر يقفز من عينيه

ـ أهلا أهلا نورتونا شرفتونا.

أفسح الطريق لدخولهم بعد الباب حجرة جانبية تطل على طرقة طويلة تؤدي إلى باقي المنزل، للبيت خصوصيته، زاد من الترحيب، دار النقاش حول بعض الأمور الفقهية وبعض مشاكل القرية من الزاويا الدينية، الشيخ وإخوته ممن ينتسبون للأزهر الشريف و أبوهم رحمه الله كان يمتلك كتابا لتحفيظ القرآن كان هو من علم غالبية أبناء العائلة القران، جاءت مشروبات ما بين عصائر وشاي ورشاد جالس على جمر النار فالموضوع لم يتم التلميح له لا من قريب أو بعيد، أيضا، الشيخ بيومى داخله سؤال يطن برأسه عن سبب الزيارة، بعد أن طال الوقت طلب الشيخ صالح أن يرى ست الدار، الشيخ بيومى كان أذهله طلب الزيارة ولكن لم يستطع السؤال عن السبب، وإن كان قد حدس هذا، إ ستدعى إبنته دخلت واضعة رأسها إلى أسفل، تتخبط قدماها وقفت بمدخل الحجرة لم ترفع رأسها، أمرها والدها أن تذهب للسلام على الشيخ صالح وولده، ذهبت بشديد من ا لبطء، الخجل والرعشة يمسكان بكاملها، إقتربت من الشيخ مدت يدها بالسلام، تناول يدها، أمرها أبوها أن تقبل يد الشيخ قبلتها ورفعت وجهها أذهله جمالها وجه مستدير شاهق البياض تزينه حمرة الخجل، وعينان ترسلان رسائل يصعب فهمها إلا بأمر واحد الزواج ولاشئ دونه، همس لنفسه هذا الجمال وهذا القوام لا يقدره شباب اليوم، يحتاج لخبير فى إكتشاف كنوزه، إنتوى أمرا همس مرة أخرى توكلنا على الله وليكن ما يكون، وجه الكلام مباشرة لصاحب البيت:

ـ شيخ بيومى جئنا إليك نطلب مصاهرتك

أسرع الشيخ دون إبطاء هاتفا.

ـــ كل الشرف لنا شيخنا الشرف أن تكون بنتنا تحت رعايتكم

إبتسم الشيخ صالح

ـ جئت أطلبها زوجة لي

ـ هنا الصدمه كانت من نصيب رشاد، ماذا يا أبي؟ هل إلتبس الأمر عليك، فعل أمرا ما كان يوما يستطيع فعله، ضغط على قدم والده، الأب تجاهل وأكمل موجها تساؤله للشيخ بيومي الذى تسمر بموضعه ولم يحرك ساكنا من هذا الطلب حقا شرف وأي شرف، ولكن هذا الشيخ على ذمته حاليا ثلاث زوجات وبينهما فارق كبير من العمر ولدية أبناء أصغرهم أكبر من إبنته ولكن هل يرفض مؤكد هذا حقه ولكن إن فعل لهذا تداعيات وتبعات لا يعرف إلى أي إتجاه تقود، إستعجله صالح

ـ ما ردك؟

ـ ممكن شيخنا بعد إذنك مهلة لإستشارة الأم والإبنة إن تفضلت

Edit with WPS Office

ـ رغم أن الأمر يحزننى بعض الشيء ولكن إحترام ًا لك، موافق فقط يومان وأنتظر ردك نستأذن سلام

ـ بأمر الله، خير، وأيا كان الأمر نحن أهل

أراد بهذا القول تهيئة لأمر الرفض إن حدث، وافقه الشيخ صالح، خرجا من البيت، وما إ ن إبتعدا قليلا حتى إندفع رشاد.

ـ ماذا يا أبي أنا من يريد زواجها لا أنت

رمقة بشيء من الحدة

ـ رشاد، أنا قررت وبالحقيقة الله هو من يوجهنا بأي أمر نتجه له، والله هو من جعلني أ طلبها لنفسي، وبأمر الله تكون لك عروس أخرى يختارها لك رب العالمين

أصيب رشاد بالخرس قدماه لا تحملانه، أحس كأنه ماض إلى أن يمرض بالحمى، السخونة تلتف به تمام ًا، لا يوجد موضع من جسده غير متألم، دخل الشيخ إلى خيمته شديد البهجة، تناول قليل ًا من الطعام ثم إستلقى نائم ًا يحلم بالعروس الجديدة هو دوما تواق لقطف ثمار العذارى.

أما رشاد فإندفع إلى سريره متالم ًا، صرخا طالبا كثيرا من الأغطية، يشعر ببرد شديد رغم السخونة الشديدة التى تحتل جسده.

يومان وجاء الرد بالموافقة فقد رأت أم البنت أن الزواج من الشيخ نوع من السلطة و الجاه، الأعجب بالحكاية أنه أقام ليلة عرس كبيرة دعا لها وجهاء القرية والقرى المجاورة ومن يعرفهم من المدن الآخرى، ذبائح ورقص وتحطيب والذى يدهش بالأمر أنه طلب من أولاده وهم كبار إلى حد ما أن يرقصوا وأن يغنوا، وبالتأكيد كان أولهم رشاد الذى كان يرقص رقصة الذبيح ، تزوجها أنجب منهاعلى مدار خمسة عشر عاما عاشها معه قبل أن يلبى نداء به خمسة رجال وإبنة واحدة، كان أصغر أبناؤة أكبر منها بالكثير، أصغر أولادها بينه وبين أبى أكثر من أربعين عاما فارق عمريا، بل كان لى أخوة أكبر منها، كانت هى الزوجة الأخيرة له، تزوج بحياته تسع مرات أنجب من خمس منهن ، الأربع الآ خريات كن أرامل تزوجهن نوعا من إضفاء الشرعية لتحمل مسئوليتهن ومسئولية أولا دهن، وكان هذا أمرا توقفت أنا أمامه كثيرا، هل عرف جدى التكافل الإجتماعى بشكل عفوى قبل أن يطرح ويصبح أحد نظريات وأوطرحات العلم والمجتمع ، للحقيقة للآن مازلت بحالة إندهاش

ولابد أن أذكر أنه بعد زواجها منها أضاف طقسا جديدا على العائلة، أى فرد يزوره ببيته الجديد لابد وأن يقبل يدها كبيرا أو صغيرا، رجلا أو إمرأة وللأمانة وبلا مبالغة كنت أنا الوحيد من رفض فعل هذا، لذا كانت ساخطة علي وأظنها ماتت على هذا الحال.

Edit with WPS Office

العم طالع النخل

من الذكريات الراسخة والمنقوشة داخلي ولن تنسى، هو عمى بسيم هذا العم العملاق جسدا، لم يكن له شبيه لا بين أهله جميعا ولا بين أهل المنطقة بكاملها طول فارع يقترب من المترين، وعرض غير معهود، وإمتلاء بالجسد، ووجه مستدير شاهق البياض، متضرج دوما يحمل الفكاهة والمرح بأرديته، داخل جيوبه ومع حركاته، حكوا لى عنه فأ نا أدركته حتى عمر الثانية عشرة من عمري، قالوا إنه عند سيره بشوارع القرية ودروبها، كان مداعبا لكل من يلقاه، صغارا ورجالا، نساء والنساء تحديدا كن ينتظرن مروره فهو يداعبهن بلطف ويلمح بلباقة إلى حالات العشق والليالي الساخنة التى عاشوها، كان يتندر معهم ويشير إلى المياه المنسكبة أمام دورهن، فمن عادة نساء القرى في هذا الزمن أن تصحو كل امرأة تسكب مياه الإستحمام أمام منزلها، إشارة إلى قضائها ليلة ساخنة ومن كانت مياهها تحمل رغاوي الصابون أكتر فهذا معناه أنها حظيت بليلة حالمة ، كان يشير إلى مياه إحداهن ويضحك هذه تقول أن كله تمام التمام، وهذه تأدية واجب، وهذه كان بيقول عليكم السلام ثم يغادر سريعا دون سلام إشاره إلى أن صاحب الفعل لم يكن على قدر الفعل، يعقب كل تعليق بقهقهات عالية، يسير على الأرض كأنه يقفز، خطوات سريعة. قالوا أنه كان يستطيع تمهيد فدان أرض وحده بيوم أو أقل، كانت مهنته الأساسية هى طلوع النخل، تهذيب جريدها، أخذ فسائلها، وزراعتها ورعايتها حتى تصبح نخيلا، وبموسم جنى ثمار النخيل كان يختفى لشهور، لا تعرف العائلة وأ سرته وزوجته ميزه وإبنتاه عطيات وزينب عنه شيئا أو أين هو، كان يتجول بين القرى والمدن والمحافظات فهو بإعتراف الجميع أمهر من يطلع النخل، قالوا إن له لغة يتكلم بها مع النخلات، يغيب ويغيب ويعود محملا بالعديد من أصناف البلح وما يسمى الجمار المتواجد داخل قلوب النخيل، ما أذكره أنه عند وصوله يأتي إلى منزلنا قبل منزله، أول ما يدخل يصيح مناديا علي وبرغم صغري كنت أهرول إليه ، يأخذني بين ذراعيه و يحملني إلى أعلى يدفع بي عاليا ويلتقطني وسط ضحكاتي، أخذني يوما معه إلى موقع به نخيل كثيف بقريتى، أجلسنى طالبا عدم مغادرة مكاني حتى ينتهي رغم ضخامته الجسدية شاهدته يصعد النخيل رابطا وسطه بحبال تحيط به وتحيط بالنخلة يحرك الحبال لأعلى بين اللحظة والآخرى، رأيته صاعدا قافزا، مجرد لحظات قليلة إلا وكان قد وصل لأعلى مكان بالنخلة، يجز سباطها المحمل بالبلح ببلطته المعده لهذا الغرض يربطه بحبل يدليه هونا حتى يتلقاه أخرون بالأسفل، ينزل كما صعد كالرهوان، يمسح قطرات العرق بطرف جلبابه يتناول الإناء الفخاري المملوء بالماء يتجرعه كاملاً بلا توقف يتلذذ بتساقط بعض الماء على صدره، يتناول حصته من المحصول أو أجرا، ثم عاد بي حاملاً لي على كتفه، بين الحين والآخر يقفز بي ولا يبالي بضحكات من يمر به من أبناء القرية، النسوة كن عندما يشاهدونه عائدا بعد غياب طويل يداعبن الحاجة ميزة.

ـ أجازة يا ميزة، لا خبيز ولا عجين لأنك أنت الخبيز والعجين، ويتضاحكن ويتغامزن ه ن يعرفن أن بسيم لن يطلقها من بين ذراعيه لأيام ولو بالطبل البلدى، أنجب إبنتين كانوا يقولون أن بعيونه نظرة حزن، فسروها بعدم إنجابه لذكر، كان دوما مدار ومثار الأ حاديث لما يحكيه عن رحلاته، مات وهو بالخامسة والسبعين دون مرض، ذهبت ميزة لإ يقاظه وجدته قد أسلم الروح، الحزن غلفها تماما طال إتشاحها هي وبناتها بالأسود وعدم الخبيز وعمل الفطائر والكعك، حتى أتت ذات يوم سيدة بيدها طفل وطفلة، ذهبت إلى دار ميزة، دلها على الدار أحد شباب القرية، طلبت أن تجلس منفردة معها، عرفتها أنها مفيدة العسال من قرية من قرى الجيزة، تعرف عليها بسيم عندما كان يقوم

Edit with WPS Office

بأعمال النخيل، طلبها للزواج من إخوتها موضحا لهم أنه متزوج ، ولكن إن وافقوا له شرط واحد أن يكون الزواج سرا عن أهله علنا عندهم، ولا يحدث إعلان السر إلا بعد وفاته لأنه يحب زوجته بلا حدود ولا يريد حزنها، وما دفعه لهذا الزواج هو حاجته لإبن من بعده يحمل إسمه، وقد كان، هذا حسن وهذه فاطمة أولاده وهذه قسيمة الزواج وشهادات ميلاد الأولاد، طلبت من إبنتها زينب التحقق من الأوراق، تأكدت إمتعضت قليلا ولكنها بالنهاية تبسمت وإحتضنت مفيدة قائلة.

ـ مادام نال مراده وأخلف الله عليه الولد فأهلا بك، ببيتهم عاشت معهم سنوات لا تفرقة بينهم، ليستا ضرتان تتشاركان بكل شيء من أعمال البيت والغيط، لاحساب بينهم، ولكن في وقت ما قامت ميزة بإستدعاء الحاج صالح وطلبت منه تحديد ميراث كل أولاد بسيم منعا لأي خلاف بأي وقت، كبر الأولاد، لم يعرفوا بلدا إلا بلدهم ولم يغادروها إلا لزيارات خاطفة لأهلهم بالجيزة، حقا ترك ميراثا من الحب والصفاء مازال البعض يتحدث عنه للآن.

Edit with WPS Office

القـــرار

عاد من أرسلهم الشيخ حسن إلى مديرتي الغربية والمنوفية، بعد مضى أسبوع كامل نهش القلق فكر الشيخ بكل محتواه، عندما علم بعودتهم أمر بأن ينالوا بعضا من الراحة ثم يأتوا إليه بخيمته بعد صلاة العشاء، وهو يدعو ربه أن تكون لديهم أخبار تنعش سعادته وتوقظ أحلامه، بعد الانتهاء من صلاة العشاء التى يؤمها دوما الشيخ سار ومن ورائه الرباعي الذي فوض بالمهمة، صالح وفارس أخذا جانبا يمينا من الشيخ، وحمدان وسعيد أخذا جانبا يساريا من الشيخ، ساد الصمت بينهم قليلا، رفع بصره، تفرس وجوههم ربما محاولة إستباقية لمعرفه بعض ما سيقولونه، أشار بيده إلى حمدان تكلم.

ـ كيف كانت مهمتك يا ولدي، إحك تفصيلا

ـ حاضر شيخنا، وصلنا إلى الحاج منصور أبو حسين عين أعيان كفر ربيع منوفية بعد مسيرة يوم ونصف، عند وصولنا طلبنا مقابلته على الفور، وبالفعل لم يتوان بالإذن لنا بـ الجلوس إليه، قبل أي حديث أصر هو على تناول الطعام والشراب بعد الإغتسال من تراب السفر وبعد الطعام وتناول أنواع من الفاكهة طلب منا الحديث عرضنا عليه مطالب شيخنا كما أخبرتنا عنها، إستمع جيدا لنا ثم ذهب لبعض التفكير طال بعض الشيء ثم تحدث.

ـ قبل أي شيء لشيخكم فضل كبير علينا بتجارتنا وتعريفنا بتجار وبأصناف جديدة من أ لوان التجارة، وهو أمر لا ننكره أننا ربحنا الكثير من كل هذا، ومكسبنا الأكبر هومعرفته ولكن ما يطلبه الشيخ يحتاج وقتا كبيرا للنظر فيه وتحقيقه، وحتى لا يكون الأمر قاطعا أعطونا مهلة للتشاور مع كبار عائلتنا يوما أو أكثر وأرد عليكم ردا أتمناه يكون طيب المردود لكم، وإستضافنا إستضافة كاملة بها كل سبل الراحة، وبعد يومين، أتى لنا وطلب منا أن نصطحبه، أخذنا بعد مسير ساعة أو أكثر، إلى أرض رملية لا تختلف عما نعيش به حاليا بعيدة لحد ما عن العمران، أخبرنا أن هذه هى الأرض المتاحة لطلبنا الآن، أما إن سمح الشيخ بمهلة لا نعرف مداها فمن الممكن أن نجد أرضا قريبة من العمران،

عندها شيخنا لم نجد أى مبرر للإنتظار أكثر وأخذنا الإذن منه للعودة، هذا كل الأمر.

إرتعدت قسمات الشيخ وتمتم بكلمات لم يسمعها أحد، همس لذاته كنت أدرك هذا لحد كبير.

رفع يده وأشار إلى صالح وفارس.

=وأنتما ماذا لديكما لعله يكون خيرا

تكلم صالح أبي لن نستطيع وصف هذا الرجل، الحاج بهي سالم عمدة وكبير قرية الحصة بمديرية الغربية، وقور ومتزن، وحكيم لا ندري كيف علم بقدومنا، ما إن وصلنا إلى بدايات قريته حتى وجدنا أبناءا له يصاحبهم بعض أبناء القرية بإنتظارنا، ساروا بنا إلى دواره مباشرة، القرية بها عدد متناثر من البيوت، يكاد يكون مكان إقامته متوسطا لهذه البيوت، دخلنا عليه، أخذنا بالعناق والقبلات الحانية وكلمات الترحيب تتسارع على شفتيه، أردنا الحديث، أشار لنا بالصمت مشيرا أن وقت الحديث لم يحن بعد، عليكم بالا

Edit with WPS Office

اغتسال وتناول الطعام ثم النوم لبعض الوقت حتى ترفعوا عن كواهلكم عناء ومشقة السفر، لم نستطع الإعتراض.فقد آثرنا بهذا الإستقبال الحار، إغتسلنا وتناولنا طعامنا الفخم، وليمة بمعنى الوليمة ثم تناولنا العصائروحبات الفاكهة، صحبنا ابن له إلى إحدى حجرات الدوار،غادرنا متمنيا لنا الراحة، بالفعل إستغرقنا بالنوم وقتا طويلا، إستيقظنا على لسعات الشمس تأتينا من نوافذ عدة، إغتسلنا وصلينا، بعد لحظات طرق الباب أحد أ بنائه يدعونا للفطور بصحبة العمدة، زاد من ترحابه بشكل لا إصطناع به، عرضنا عليه ما كلفتنا به، رفع يده مقاطعاً وأشار لنا بالجلوس وخاطبنا.

=الرسالة وصلت يالله! هذا أمر يعلم الله كم تمنيته منذ اللقاء الأول مع الشيخ، لن أ نسى أنا وأهل قريتي معروفه ومعروفكم لنا، هذا أمر مر ّ عليه أكثر من عشر سنوات ولكنه لا يغادر رأسي مطلقا، كنا ذاهبين ببعض تجارتنا إلى سوق من أسواق التجارة، وأ ثناء سيرنا وسط صحراء كنا نرتادها دائما لأنها تختصر الطريق إلى حد كبير ثارت عاصفة هائلة، عاصفة رملية لم أرها من قبل ولا من بعد، تشتتنا ضاعت منا معالم الطريق، كلما بحثنا عن مخرج نجد أنفسنا نعود لنفس الدائرة ، إضطررنا للمبيت، تملك منا اليأس، وخشينا نفاد طعامنا ومياهنا وتعرضنا لأخطار لم نضع لها حسبانا، بعد مضي وقت طويل لمحنا مشاعل مضاءة على البعد ووقع أقدام خيول، بعد وقت ليس بكبير وجدنا أمامنا بعضا من الرجال على جيادهم، للحق إنتفضنا خشية تعرضنا للسطو والتعد ي، ولكن قطع خوفنا هذا خروج رجل كبير بالعمر، علمنا فيما بعد أنه كبير قومه تقدم إ لينا:

ـ ما بكم يارجال؟ لا تخشوا شيئا نحن عرب أولاد أصول لا نعرف السلب والنهب أو الأ ذى، أخبرونا ماذا حدث وماذا جاء بكم إلى هنا، طالبته أن نجلس جلسنا جميعا أرضا، حكيت له ما حدث نهض ومد يده وأخذ يدى وشدني وقفت، وجدته بلا مقدمات يأخذ ني بين أحضانه مقبلا جبهتي، على الرحب والسعة أخى نحن معكم حتى تصلوا مقصدكم فقط قبل هذا ندعوكم لتشريفنا وتناول بعض الطعام وأردف ضاحكا.

ـ بيصير بيننا عيش وملح.

لم أستطع الاعتذار، بل للأمانة كان بي شوق لمعرفته أكثر،سار بنا إلى مضاربكم، إ ستقبلونا كأننا كنا بعضا من أهلها كانوا بمهمة وعادوا، أقام لنا وليمة شواء وعديدا من الأ صناف لم نعرفها من قبل ولكننا تناولناها بشهية وكأننا تعودنا عليها كثيرا، تبادلنا الأ حاديث، وبعدها عرض علينا المبيت قائلا: للنهار عيون، إعتذرت له، تآخرنا بما فيه الكفاية، أمر بعض الرجال بمصاحبتنا إلى حيث نريد وألا يتركونا قبل الاطمئنان التام علينا، ثم توالت زيارتي له أحببته بصدق مثلما كان صادقا هو، والآن هو يأمر وأنا أنفذ، القرية قريته هو من أهلها ومن كبارها، شرف لكل أهلها، أمر أحد أبنائه، إتضح أنه كان يوجه أوامره لأولاده نوعا من التكريم والحفاوة بنا، أمره بالذهاب على الفور إلى منزل د لال المساحة هكذا قال وأن يأتى به على الفور، وقت لا يكاد يذكر عاد وبصحبته رجل متوسط القامة ممتلئ الجسد مقوس ظهره لحد ما، يحمل حقيبة قماشية، ألقى السلام وأسرع بالجلوس دون أي إشارة من العمدة تفوه:

ـ أوامرك يا عمدة.

ـ نحن بحاجة لمساحة أرض تكون معدة للزراعة بشكل جيد، مساحة كبيرة قطعة

Edit with WPS Office

واحدة بها كل ما تتطلبه الزراعات وأنت الوحيد من يدري بهذه الأمور

أمسك الرجل برأسه وضغط بأصبعيه على جانبي الرأس يستدعى ذاكرته، بعد لحظات رفع رأسه وقال:

ـ أمامنا حوض بكامله مئتا فدان قطعة واحدة غرب البلد معروضة للبيع من حسن بك النوبهي، هو طالب بالفدان ستين جنيها ممكن بتدخلك تكون خمسين، بها كل شيء لزراعة جيدة

ـ على خير وبركة إبدأ مفاوضاتك حاج عبد العزيز وأخبرني أولا بأول.

فوجئنا بما يتم، لم نحرك ساكنا، الأحداث متسارعة كيف لنا أن نتحدث، فهم ما يدور داخلنا تكلم.

ـ أنا مكان الشيخ وبأمر الله يكون ما فعلنا يرضيه، وجهنا الشكر له، أمرنا أن نستعد بجولة معه، أخذنا يطرق الأبواب يتحدث لأصحابها يعرفهم بنا بحميمية، يرحبون بنا طال الأمر بنا عدنا أجلسنا بمجلسه، نرى حكمته وهدوؤه بمعالجة الأمور ثم أخبرنا بأنه في الصباح سوف يأخذنا لمشاهدة الأرض على الطبيعة، ذهبنا فعلا ووجدنا أرضا مترامية الأطراف بها بعض الزراعات، ممهدة وعلى رأسها ساقية ومجرى للماء ومجاري متفرعة من المجرى الأساسي، الأهم يا أبي أنه أصر على أن نتجول مع أولاده بالقرية وأن ننغمس مع أهلها ونعيش أجواءها، هذا ما شعرنا به من الأريحية التى وجدناها مع أهلها، أن يحدث تقارب وتفاعل، بإحدى الليالي إصطحبنا إلى أحد الأعراس، يالله يا أبي! أحسسنا كأن العرس هو عرس لكل أهل القرية، البهجة تشع من كل مكان، من الوجوه ومن الجدران، من الرقصات التلقائية، الجميع يعبر على شاكلته، أقول الحق يا أبي شعرنا كأننا ولدنا وعشنا هناك، وبليلة تالية وسبحان الله حضرنا مراسم تشسع جنازة، الصلاة على الميت بالمسجد الكبير، ثم التشييع بالسير وراء الجثمان، الشوارع المجاورة تحتشد بالجميع، الدفن، والصفوف المتراصة للترديد وراء أحد الشيوخ المعممين الأصوات تلهج بالدعوات تشعر كانها نبضات تقفز من الصدور، يالله يا أبي،عندما تجد الصفوف ونساء القرية يهرولن حاملات صواني الأطعمة وإحتياجات أهل الميت، باختصار أدخلنا ضمن نسيج القرية من خلال أيام قليلة، بعدها إستأذنا منه للعودة، أوصلنا مع بعض رجالات القرية إلى مشارف طريقنا ، عانقونا بصدق بإحساس لا أستطيع وصفه ، التعبير الأوحد كان دموع متبادلة.

الشيخ رفع رأسه ووجهه إلى السماء ردد بخشوع وبصوت مسموع.

=حمدا لله يارب لقد أرسلت لنا بشاراتك ورضاؤك عن خطواتنا، لك الأمر ولك النهي وأنت على كل شيء قدير.

ثم سجد طويلا ً وقبل الأرض ونهض قائلا ً.

إدعو الجميع للفرح، للسعادة اليوم ميلاد جديد، وقبل هذا إدعوهم جميعا ً، الجميع للحضور بعد وقت كاف نصلي صلاة شكر لرب العالمين.

Edit with WPS Office

ميلاد جديد

.المشاعل النارية تحيط بكل مضمار القبيلة تحول الليل إلى شبيه بالنهار، أعدت أدوات الشواء وذبحت الجديان والماعز والخراف الصغيرة، تم إيقاد كوات النار، كل مجموعة نساء أحطن بكوة، يصنعن الخبز يسوين بعضا من الخضروات، بطاطس مخلوطة بجزر وبعضا من حبات العدس، البعض يعد أطباق التمور بأنواع متعددة، الصغار بلا أي إملاء يهرولون يلعبون ألعابهم بفرح، الرجال يتجمعون جماعات صغيرة ،يتهامسون ولكن بـ همس مشوب بفرحة طاغية، بعض الشباب أخذوا يمارسون ألعاب التحطيب، بعض الجياد أخذت مكانا قصيا من المكان إستعدادا للمشاركة بالاحتفال، عندما نودى لصلاة العشاء، صلى بهم الشيخ وأطال بالصلاة، إنتهوا ، توسطهم توجه لهم بالحديث.

=أحيطوا بي دائرة مكتملة، رددوا ورائي بصوت عال وخاشع، إدعوا الجميع رجالا و نساءا، فتيه وفتيات حتى الصغار الذين لايعون شيئا يجلسون على حجر الأم أو الأب.

إنتظر بعضا من الوقت وعندما أحس أن الجمع شبه مكتمل، أخذ بالدعاء بصوت خاشع.

= اللّهم أنت مولانا خذ بيدنا لأمور أنت عليم بخيرها، اللّهم إجعل من خطواتنا دوما خطوات واثقة على طريقك لا تزل أبدا، اللّهم إجعل من أمرنا رشدا، خذ بيدنا إلى يوم ترجوه لنا ونتمناه منك، اللّهم كن لنا عونا وسندا ونعاهدك أن لا نحيد عن الحق وعن دينك وعن سنة نبيك سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم، طفرت عيونه بالدموع غسلت وجهه الذى إزداد ضياءا وبهاءا، كانت أصواتهم متعددة النبرات تزلزل المكان، أشار إليهم طالبا أن يسمعوه.

ـ أهلى الطيبين الخيرين، من الغد إن أمر اللّه سوف نبدأ عدة الرحيل، أمامنا متسع من الوقت لجمع أشياؤنا خذوا وقتكم عند التمام والتاكيد على أن كل شيء على أكمل وجه سوف ننطلق إلى مديرية الغربية، قبل أن نذهب هناك أمور لابد أن تكون بحسبان كل منكم، أولها أن نكون دوما كما نحن، أن نتقارب مع أهل القرية بألفة، بإحترام، بتفاهم، أن ننال ثقتهم بالحب وباللسان الطيب الصادق، بالمعاونة بشئونهم دون أن يطلبوا فقط بالإ ستئذان، أن نجعلهم نشعرهم أننا منهم وأنهم منا، هذا أسلوب لابد أن يسود، واثق أنا من أنكم سترفعون روؤسنا بسلوككم الطيب، صمت، أشار إليهم يود أن يسمع لهم، رفع العم إبراهيم يده طالبا السماح بالحديث، أذن له.

=شيخنا وكبيرنا وأخى الغالى، دوما أنت تفعل وتشعر برغبات الجميع، ولا تعقيب على حديثكم ولكنى أشير لأمر هام يجب أن يوجد بمكاننا هذا بعض منا فهذا مكان عشنا به دهرا، واللّه أعلم بالقادم، أنا لا أقول هذا إلا للإيضاح والأمر لكم،

داعب الشيخ لحيته وأطرق ناظرا للأرض، طال صمته.

ـ كلامك صائب أخي ولك حق، ولكن من نترك أقترح أن ندع الفرصة لمن يتطوع، ومن يتطوع يكون هذا بكامل إرادته، وأن يكون هذا المتطوع متطوعا هو وأسرته بالكامل حتى لا يكون نهبا للقلق عن جزء إبتعد عنه، ويفضل أن يكون هناك متطوعان حتى يؤنسا بعضهما ويكونا على تواصل دائم معنا بحياتنا الجديدة، وبعدها لكل أمر وقته المقدر من اللّه، هل من متطوعين، رفع نظرة شمل الكل بها، رفع الأخ إبراهيم يده.

Edit with WPS Office

ـ أنا أول متطوع

بعد لحظات أشار العم كرم بيده.

ـ وأنا أيضاً.

علت قسمات الشيخ أمارات الفرح وزاد وجهه نورا، أشار لهم للذهاب للطعام وإلى الا حتفال، ليلة بهيجة مارس الشباب مهارتهم بالتحطيب والرقص بالجياد على تصفيق الأ كف بشكل متناغم مع رقصات من النساء بأثوابهن المزركشة بألوانها الزاهية، فوجئ الحشد بقيام الشيخ بتناول عصا وأخذ يرقص، أحس الجمع كانه عاد شابا، ذكرهم بمهاراته المشهود بها منذ أيام شبابه ، ليلة بها كل ألوان الحب والود والترابط، بعدها ذهب الجميع للخلود للنوم، وكان نوما مليئا بكل الأمنيات الجميلة، من اليوم التالي بدأ الجميع في حزم أمتعته وإحتياجاته تعجلا بالرحيل، الشيخ قد حدد كيف تكون الرحلة، تبدا بحيواناتهم، إبل وماعز، أغنام وماشية وطيور ويحيط بها شباب العائلة بجيادهم حتى تصل الرحلة بأمان الله، يعقبها صالح واخوة له لتهيئة سبل الإقامة بالترتيب مع الحاج بهى سالم مع حمل قيمة الأرض وأي نفقات آخرى، مع مصاحبة بعض الشباب للمساعدة بهذا الترتيب، والفوج الأخير الشيخ وباقي العائلة ونساؤها، ظل يتابع الترتيبات لحظة بلحظة، ولم يهدأ إلا بعد رحيل أول ما سبق تحديده سابقا، يكون هو على رأس المودعين لأي فوج من الأفواج داعيا لهم برحلة بلا أدنى مخاطر أو معوقات، يتنفس بعمق حينما يأتيه خبر عن سلامة الوصول من خلال رحلات الآخرين الذين يمرون بمضاربه لشؤونهم.

Edit with WPS Office

مستقر

الشيخ على رأس الجمع الأخير من العائلة، يسير بالمؤخرة وكأنه حارس لهم يحيط به شابان من اليمين وآخران من اليسار، الجميع يغنى أغانيهم التى تدعو للتفاؤل، ذهن الشيخ ممتلئ بالقلق ورغم قلقه به ثقة من أن هذه الخطوة سيكون لها من التميز الحياتي الكثير لصالح العائلة وأجيالها القادمة، وما كان يزيح قلقه هو الأخبار التى تاتيه عبر رحلات الآخريين الذين يأتون من بلدان متاخمة لقرية الحصة أخبار تثلج صدره، أن عمدتها وأهلها بالإنتظار بفرح كبير، كانوا يحطون رحالهم بين الحين والآخر للراحة وتناول الطعام وأيضا لإعطاء فرصة لإراحة دوابهم، بعد مسيرة يومين قاربوا على مشارف القرية، أعاد على المصاحبين له ما قاله سابقا مرات ومرات، حسن التعامل مع سكان القرية، مع عدم نسيان عاداتهم وأعرافهم، على مرمى البصر لمحوا رهطا من البشر ، كلما إقتربوا منه زاد تهليلهم وزاد إرتفاع أصواتهم، زاد التصفيق يالله! ماذا يحدث؟ كأننا كنا برحلة عمل أو تجارة وعدنا، كأننا من أهليهم، دفء هذا دخل كل الأفئدة والصدور ، وعندما وصلوا تماما بالقرب من هذا الجمع المنتظر، ترجل الجميع إندفع من بينهم العمدة إندفاعا ً مصحوب بهرولة، إرتمى بين ذراعي الشيخ، العناق بعمق عناق مصحوب بقبلات على الجباه وعلى الكتفين، عناق مصحوب بدموع إمتنان وشوق و عرفان، أخذ الحاج بهي سالم يد الشيخ، توسط به الجمعين، رفع يد الشيخ إلى أعلى، تكلم.

ـ هذا أخونا وأخوكم الشيخ حسن الصلاحي رجل له معروف فى عنقي وعنقكم، ومن اليوم هو من أهلنا واحدا منا، وثقوا نحن الرابحون من حكمته ومن رجاحة عقله وبصيرته، من الآن يكون من ناسنا ومن نسيجنا، رحبوا به وبرجاله ألم تعرفوا بعد كم هم أهل لكم، تعاملتم على مدار أيام مضت مع بعض رجالهم ومؤكد تحققتم من أننا كنا بانتظارهم أهلا عادوا إلينا.

إندفع رجال القرية كل يحتضن آخر من القادمين، سار الشيخ مجاورا العمدة، همس له العمدة، نحن أعددنا غذاءا لكم يكون بداية العيش بيننا ببلدكم، أراد الشيخ الاعتذار بداعى أنه لابد أن يكون بين العائلة بعد إكتمالها لترتيب الأمور، قاطعه برفض شديد.

ـ ياشيخ، لا تقلق كل الأمور تسير كما تفكر، والله كما تحلم مضاربكم قد أعدت بشكل تعرفه أنت، ذلك أمر مؤقت لحين جلسونا والنقاش، هل تريد بناء بيوت مجاورة للأرض أم وسط بيوتنا؟ دع هذا الأمر بعد الغداء وراحتكم، أمامنا وقت طويل، أعرف أنك متلهف لرؤية الأرض، لا تتعجل وكل شيء بأمر رب العالمين كما تخيلت.

نظر الشيخ نظرة إمتنان وضغط بكفه على كفه، إقتربا من دوار العُمودية، والجمع يسير بحوار مشترك بين الجميع يشير بأن التقارب حدث دون ترتيب، وجدت موائد عدة مرصوصة وعليها مفارش متشابهة، ومصفوف أمامها الكراسي أيضا ً متشابهة، عدد كبير من صواني الأطعمة، وآنيات للمياه والأكواب، وأطباق الفاكهة متعددة الصنوف، أشار العمدة لهم بالجلوس جلس هو والشيخ بصدر الموائد، مجاورا لهم أعيان ووجهاء القرية، أمر الخفراء برفع الأغطية بسم الله، بها أشار لهم لتناول الطعام وكل فترة يقطع أكله موجها عبارات الترحيب يشاركه الحاضرون من أهل القرية، عندما إنتهوا تناولوا صنوف الفاكهة، وتناولوا أكواب الشاى، تناولوا أطراف الحديث من زوايا عديدة، تم

Edit with WPS Office

تعريفه بأعيان وكبار عائلات القرية، أثناء جلوسهم نودي لصلاة العصر، نهضوا للصلاة جماعة وللدعاء لله أن يكون جديدهم بداية خير لنا جميعا، دخلوا المسجد، صلوا ركعات دخول المسجد، أصر الحاج بهي على قيام الشيخ ويؤم الصلاة، مع إصراره وإصرار العديد من الرجال إستجاب، بعد إنتهاء الصلاة والدعاء المتردد بجنبات المسجد بكل خشوع توسطهم الشيخ وتحدث إليهم:

=بسم الله الوهاب الرزاق وبالصلاة على سيد الخلق والمرسلين سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، اللهم إجعل تجمعنا تجمعا للخير والعمل الصالح، اللهم أ بعد عنا أي وساوس وأي ريح خبيثة، أقسم بالله أني ما أحسست من لحظة وضع قدم ي الأولى على هذه الأرض الطيبة أني بغريب عنكم، رأيت فيكم أهلا كنت أبحث عنهم منذ وعيت على الحياة، أشكركم على هذا الود غير المصطنع وعلى نبضكم، على فيض مشاعركم جئناكم بالحب، بالصدق لقد ولدنا على الصدق، رضعنا حليب الصدق،عشناه وعاش فينا، جئناكم آملين أن نلوذ بكم وتلوذون بنا، أن تكونوا حماة ظهورنا ونحن حماة ظهوركم، جئناكم حالمين بأن نرتدي ثياب حياتكم وترتدون ثياب حياتنا، أن نكون نسيج ا واحدا لا تنفصم عراه، ولانسمح لأحد كائنا من كان أن يلوثه أو يمس طرفه بسوء، جئناكم فاتحين قلوبنا وعقولنا، أذرعتنا نعانق الغد معكم وبكم، من اللحظة بيننا وبينكم أحباءنا كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

تعالت الهمهمات بالصلاة على النبي والتكبير باسم الله، أشار الحاج بهي بيده، طالبا الهدوء.

ـ سلمت شيخ حسن، سلم قلبك، سلم نقاؤك وصدقك، وأمانة كلامك أشعة شديدة الوهج نفذت بلا وسطاء إلى أفئدتنا، إلى أرواحنا، إلى عقولنا، لأنها نابعة من قلب وعقل ونبض صادق، وبالفعل أخى الفاضل لا أجاملك إن قلت لك أنكم فعلا من أهلنا، من حياتنا من نسجينا، أنتم نحن ونحن أنتم ومؤكد أن الجميع متفق معي تماما، أخي ما يخرج من القلب يصل للقلب وأنتم دخلتم قلوبنا تماما وسكنتموها.

ونظر إلى الحاضرين ما رأيكم يا رجال هل توافقوننى على قولى؟

تعالت الأصوات معلنة الترحيب والتاكيد، إندفع من وسط الحشد رجل قوي البنية، فارع الطول إلى حيث يجلس الشيخ إحتوى رأسه بين يديه وقبلها مرات قائلا.

ـ انا عبدالمقصود البنا رجل أعطاني الله البصيرة لأن ً أعرف جوهر ومحتوى أي إ نسان، وأنت رجل أعطاك الله الحكمة والبصيرة والصدق، أمين على عهدك متصالح مع ربك ومع ذاتك، فأهلا بك شرف لنا جميعا أن يكون لنا أخ برجاحة عقلك.

نهض الشيخ ونهض معه الرجل، عانقه بكل محتوى المشاعر، تبادلا قبلات توثق مشاعرهم وعقلهم، نهض الجميع ونادى العمدة بعضا من خفرائه طالبهم بمصاحبة الشيخ وأهله إلى مكان أرضهم ومضاربهم، تبادلا كلمات الوداع المؤقت مع إتفاق للقاء بالغد لإ ستكمال النقاش بأمور شتى.

ـأخذ الشيخ بالسير صحبة الخفراء بطريقه نحو مضاربهم، يتفحص شوارع القرية وبيوتها وناسها، البيوت كلها متشابهة، طابق واحد، أو طابقان يطلقون على الطابق الثاذ

Edit with WPS Office

ي اسم (المقعد) للآن لا نعرف سببا لهذه التسمية، البيوت مسقوفة بأعواد حطب القطن والأذرة والقش، وربما حماية لهم تم تمرير طبقة طينية عليها، كلما مر على بعض الرجال ألقى عليهم بالتحايا، بادلوه نفس التحايا، البعض كان يدعوه لتناول الشاي، كان يبادر هو بالتبسم ويعدهم بالقريب العاجل أن يفعل هذا، خرج من نطاق البيوت إلى الزراعات، أ راض هي بساط أخضر، مزروعات متنوعة، رجال ونساء متواجدون داخل الأراضى، البعض يأخذ بفاسه يمهد الأرض، يفتح مجاري المياه إليها، يطهرها من الحشائش، و البعض يجلس بجوار الساقية يتابع حركة الثور الذي يلف ويدور لإستخراج المياه للري، بجواره راكية نار بعد عليها الشاي على فترات غير قليلة والبعض ينثر بذورا أوشتلات، الكل يعمل وغناء النساء والصبايا يتصاعد، يتبادلن الضحكات مع يومهم، الضحك يبعث الأمل، يزيد من إزاحة التعب والكد عن كواهلهم، الشيخ بين اللحظة واللحظة يتوقف مندهشا مما يرى، يصيح بمن بالأراضي محييا داعيا لهم بالبركة برزقهم، وأن يزيدهم الله صحة وسلامة، وصل إلى حيث المضارب، الخيام متناثرة متجاورة بذات الشكل السابق وخيمته بالمنتصف، النساء منكبات على ركوات النار يسوين الطعام، الأطفال يـ مارسون اللعب بحربة وفرح، خرج إليه الكبار بادلوه العناق مهنئين لهم بسلامة الوصول، أصر هو على إستضافة الخفراء، أجلسهم ودعا لهم بالطعام، تناولوه ثم أتى لهم بمشروب مصنوع من خليط من الأعشاب مخلوط ببعض اللبن، أعطى لكل منهم بعض التمور، ألقوا السلام وذهبوا عائدين، إنتصب الشيخ وأخذ يسير بالأرض، أرض بها بعض الخضرة وماشيتهم وخرافهم وماعزهم تأكل من الحشائش المتناثرة هنا وهناك، أرض منبسطة ممهدة، حولها وبداخلها مجاري مياه،وعلى رأس الأرض ساقية وأيضا شادوف على الترعة الرئيسية لتوفير كم أكتر من المياة، وشجرة جميز كبيرة وبعض من أشجار التوت، تنهد بفرح، حمد الله وشكره كثيرا، نادى عائلته دعاهم لصلاة شكر، طال ركوعهم وسجودهم ودعاؤهم، تركهم مستاذنا لأخذ بعض الراحة ثم لكل حادث حديث، نام بهدوء لم يعهده من قبل، الطمانينة سكنته، البشائر التي إستقبلها تشي بكل خير، أهل القرية صاروا يجلسون على مقربة من مضاربهم، يشاهدون ألعاب أطفالهم، هي هي نفس الألعاب وإن كان بها بعض الاختلاف، ما لفت أنظارهم هو تعليم الصغار ركوب الخيل وترويضها والرقص به، كانت النساء من أهل القرية يشاهدن ما تصنعه نساء البدو من إعداد اللبن ليتحول لجبن وزبد وعن كيفية إعداد الطعام لأصناف لا يعرفنها من قبل، رويدا رويدا تقارب الجميع تبادلن معرفه طباع وخصائص الجانبين، وتبادلن وصفات الأك لات ووصفات الأعشاب الطبيعة، الحياة تسير سيرها بلا منغصات اللّهم إلا بعض أحفاد عبد الله المنوفي دون غيرهم كانوا دائمي الشجار مع أطفالهم دون معرفه سبب، وعندما سأل العمدة عن تفسير، عادوا إليه بجواب صادم للعمدة وله، فقد قال له كبيرهم عبد الله المنوفي.

ـ حتى لا ينسوا أنهم غرباء وأننا أصحاب البلد.

نهره العمدة بشدة، ووجه له كلمات قاسية

ـ على فكرة حاج عبد الله، لو تحققت بالأمر سوف تتأكد أننا جميعا غرباء، مؤكد سار أ جدادنا نفس مسار الشيخ حسن وعائلته، ثم أين كرم الضيافة، أين المروءة والرجولة، عليك أن تعتذر وتأمر أبناءك وأحفادك بالكف عن هذا.

وأخذه من ذراعه، أتى به إلى مضارب الشيخ.

Edit with WPS Office

ـ يا،شيخ حسن،جاء هذا أخيك الحاج عبد الله المنوفي جاء معتذرا لما فعل أحفاده، المسامح كريم هيا تصافيا وكونا أخوين في السراء والضراء.

وهو ما صار وإن شهدت الأيام العديد من الصراعات بينهما حتى بعد المصاهرة التي تمت بينهما.

Edit with WPS Office

صديق

دق الباب عدة دقات قوية لحد ما، طرقات حركت ذاكرتي هززت رأسي باحثا في ثناياها عن صاحبها، لم يأخذ التذكر منى وقتا، مؤكد هوفوزي البحيرى، رغم سروري بحضوره إ لا أننى قبل أن أفتح همست داخلي، ضمنا سهرة صباحى، فهومعروف عنه لدى أهل القرية ومن يعرفه من بلدات آخرى أنه عندما يحط رحاله عند أحد فلا حساب للوقت، ولكنه رغم ذلك مرحب به، لسبب أعلنه الجميع أنه يحمل داخل جيوبه وأرديته الأخبار، كل الأخبار عن من تشاحن، عن من نوى الزواج، عن من طلق، عن المرضى وعن الأموات بالقرية أو بأجواراها، كل أنواع الأخبار تجدها عنده، وكأن لديه شبكة مراسلين تمده بكل شيء لحظة بلحظة حتى إن أحد الأصدقاء وصفه بوكالة أنباء المركز، فتحت الباب صاح بوجهى.

ـ كل هذا الوقت هل أنت نائم؟ أم لا ترغب بصداعي كما كنت تقول لي؟

لاحقته قبل أن يسترسل.

ـ من قال إنك صداع أنت أكثر من هذا، فقط لا أجد مسمى لهذا، ربما أعثر عليه بعد جلوسنا، أنت جئت بتوقيت مهم، كنت أريد معرفة ما كان من أحداث، وماذا عندك أنت وكيف حياتك؟

صاح

=هدوءا هدوءا ألا يوجد عندك أي مسليات، وفواكه وعصائر، أقول لك شيئا ربع ساعة وأعود لك.

وقبل أن أجيبه كان قد خرج وصفق الباب وراءه، هكذا هو دائما يفاجئك بأمور لا تتوقعها، غاب ما يقرب من نصف ساعة وعاد منتصب القامة كأنه عاد من ساحة حرب منتصرا، دخل وفي أعقابه فتاة تحمل على رأسها صينية مغطاة بمفرش منقوش، أمرها بوضعها على مائدة تتوسط صالة المنزل، أرادت الفتاة الإنصراف، طلب منها أن تسلم عا ي، فعلت، ضحكت عيونه،وهويقول: سلمى أولى حفيداتى من ابنتى زينة، داعبت وجنتيها بيدي وربت عليها قائلا ً.

ـ سلمي على أمك وإخوتك وعلى أبيكِ

همست بحياء الله يسلم حضرتك

أشار إليها بالإنصراف قولي لأمك عمي رشدى أيوب صالح بيسلم عليك وهي تحكي لك من هو عمك رشدي، خرجت سريعا جلس على أقرب مقعد، هدأ تنفسه لإزدياد وزنه بشكل مذهل، مؤكد لعوامل الزمن ومن المؤكد أكثر عدم الحركة كثيرا لأنه تحرك على مدار عمره بما يكفى أجيالا قادمة، رفع الغطاء عن الصينية، فواكه من أصناف متعددة و بعض الفول السوداني واللب أبيض وأسود قال.

ـ لنبدأ حتى نستطيع أن نسمع ونحكي براحتنا، أنا وأنت مؤكد بحاجة لحكايات سنوات

Edit with WPS Office

ولذكريات عمر، لاتخفي رغبتك أنا أعرفك أكثر منك، فقط لنأخذ حقنا من التسالي، شاركته تناول الفاكهة والمسليات، نظرت إليه نظرة هو يعرفها تماما فهو رفيق عمر بل إ لتصاق دائم بي لولاغيابى لإستمررنا على هذه الحال، إعتدل بجلسته وإنتقل إلى إحدى الكنبات جلس متربعا تساءل: هل تبدأ أنت أم أنا؟ أجبته: كماتريد أنت.

نظر إلي بعمق وأردف: أول مرة بعمرك وعمري يكون ردك هكذا، أنت دائما تجعلني البادئ ، جميل أن أسمع تفاصيلك هيا ابدأ.

ـ أبدأ من أين حدد أنت.

ـ من آخر مرة التقينا، هل تتذكرها؟ مؤكد لا تنسى كانت في تشييع جنازة زوجة جدك ست الدار ماتت بعمر تجاوز الثمانين، يقولون إنهم عند تغسيل جثمانها وجدوا يدها اليمنى مرفوعة تنتظر من يقبلها، واستلقى ضاحكا، ماتت دون مرض ذهبوا لإيقاظها لص لاة الفجر وجدوها قد فارقت الحياة هل تتذكر؟ مؤكد لأنك بعدها بأيام ذهبت ولم نعد نراك إلا على فترات متباعدة، بحضور جنازات أومراسم عزاء، وقت لا يتجاوز النصف ساعة وتذهب، حتى الأفراح كنت دائما بل من المؤكد لا تحضر إلا ما يقام بالمدينة، احكـ ي عن أسباب هذا.

قطبت وجهي قليلا وزفرت بعمق.

ـ يا فوزى أنت أول من يعلم الأسباب جيدا، أنت تعرف عني أني منذ شبابي وحياتي لها طقوس معينة، القراءة بشغف بكل ما تقع وما تعثر يداى وبصري عليه، ثم لعب الكرة هما الأمران الأساسيان عندى، ولم أفكر يوما بأن أكون من بين عالم السياسة والعمل العام، ولكن كل شيء مقدر من الله وله توقيته، أظنك تتذكر عندما كنا نسير مع مسيرة تأييد أحد مرشحي مجلس الأمة، كان هذا المرشح قريبا لزوجة أحد أبناء عمومتي، وشاركت مجاملة وليس عن قناعات، كنت أنت معي بجواري، أثناء السير، مال علي أحد شيوخ القرية همس لي : هل يعقل أن يظل هذا وضع الوحدة الصحية بعد هدمها من سنوات؟ سألته: كيف يمكن حل الأمر؟ قال: أخبر المرشح والمرشحين الآخرين للذهاب إلى وكيل الوزارة المختص والنقاش معه هو في هذه المسالة سألته بدهشةـ ولماذا أنا؟

وضع يده على كتفي إعتصره قائلاـ لأنك ابن أيوب صالح حسن، مثله جريء، بك قدرة على النقاش، لقد حملتك أمانة الأمر، وإبتعد تاركا إحتلالا طاغيا للدهشة داخلي، إنتهت مسيرة المرشح وإفترقنا، وأنا أفكر وماذا بعد؟ وللمرة الأولى منذ تعارفنا لم ٔ أناقشك، المهم إنتهى تفكيري بأنني سوف أذهب لهذا المسئول، نمت وأنا أرتب كيفية الحديث لعرض الأمر، صحوت مبكرا وإرتديت رداءا رسميا مخصصا للمناسبات، ذهبت إلى عم حامد الذى طالبني بمتابعة الموضوع، جلست إليه ليعطيني خلفية عن أمر الوحدة الصحية حتى أكون متمكنا من أدوات النقاش، وضع أمام عقلي نقاطا للحوار، طالبني بـ التركيز والهدوء، الهدوء بشرح أي أمر بموضوعية ومنطقية، ركبت القطار وأنا أذاكر النقاط التى طرحها عم حامد، أخبرني أن مكان الوحدة ومساحته كبيرة موجود كما هو منذ أن تم هدمها من سنوات، وأن العمل يمارس حاليا ببيت تم إستئجاره، ومن المؤكد لا يوفر خدمة صحية كما يجب، دخلت إلى مكتب مدير مكتب وكيل الوزارة، طلبت أن يسمح لي باللقاء معه، تساءل عن السبب أوضحته له كان رجلا دمث الخلق أفهمني أنه لا بد من صفة ما لأدخل إليه مرشح لمجلس النواب أو عضو بالمحليات أو ممن يعملون بالإ

Edit with WPS Office

إعلام أو منتميا لحزب الأغلبية، ،سالته والمواطن ألا وجود له؟ المواطن هو أدرى بإ حتياجات موطنه، أيدني فقط هكذا تسير الأمور كدت أن أنصرف، ولكني وجدت مدير المكتب يرحب بأحد الأشخاص بشده، نظرت إليه عرفت أنه مرشح الأمس، أسرعت إليه خاطبته ـــ أستاذ محمود كنت بقريتنا أمس وأريد أن أعرض أمرا على السيد وكيل الوزارة وأرجو أن تدعمني، لم يساءل عن ماهية الأمر، أخذ يدي ودخلنا يسبقنا مدير المكتب، وراء المكتب الكبير، يجلس المسئول رحب بالمرشح غاية الترحيب، لقد كان مرشح الحزب، أما ترحيبه بي فكان مجرد إيماءة برأسه للحقيقة هذا الإستقبال الفاتر جعلني أمتعض ومن داخلي وجهت اللوم للسيد المرشح، كيف يسمح لمسئول تنفيذي أن يعامل أحد أبناء دائرته ومصاحب له بهذا الفتور وعدم الإحترام، أسرتها بنفسى وقررت أن لا نسانده، البدايات لا تعطي مؤشرا إيجابيا، وقد كان ولعلك تتذكر أنه لم ينجح.إ ستمع لبعض مطالب المرشح من نقل طبيب أو ممرضة أو إداري من مكان إلي مكان، أو طلب تدعيم لبعض الوحدات الصحية بنطاق الدائرة، وبالتأكيد تكون التأشيرات و النوافقة الفورية وسابقة التجهيز بالموافقة ، عندما إنتهى قدمني اليه، أستاذ رشدي إبن قرية الحصة له مطلب عندكم

ـ يتفضل

ـ سيادة الوكيل الوحدة الصحية لدينا مهدومة من أكتر من عامين والعمل الصحى يمارس بشقة مؤجرة وهذا أمر لا يساعد على العمل بشكل مثالي، نرجو أن تأمر سيادتكم بدراسة الأمر والإسراع بالبناء

نظر إليّ بحدة

ـ أخبرنى أولا بأي صفة تناقش معي الأمر؟

رددت عليه بحدة مماثلة، الندية مطلوبة حين النقاش حتى تكون بموضع قوة

ـ أنا إبن للقرية ومواطن لي الحق بأن أطالب بحق عام لأهلي

وقف فجأة مد يده بالسلام وقال:

ـ=نبحث الأمر فيما بعد

صعقت، ولم أمد يدي للسلام، وأخذت طريقي للإنصراف، حاول المرشح إقناعي وإقناعه بأن نعاود النقاش رفضت وقلت له

ـ اولا شكرا على هذا التصرف، ولكن أعدك أن الأمر سيتم، وأسرعت بالإنصراف، لم أدع الوقت للتفكير، ذهبت للبريد أرسلت تلغرافا إلى المحافظ، كتبت له جملة:

سيدي المحافظ، أحد أبنائك واقف بأعتابكم يحمل مظلمة، كتبت الاسم كاملا، والعنوان للحقيقة كتبته كشرف المحاولة، ولكن كانت المفاجاة، باليوم الرابع وجدت من يستدعين ي للرد على التليفون لدى العمدة، ذهبت،قالوا

= من طلبك قال إنه سيقوم بالاتصال مرة آخرى بعد نصف ساعة، جلسنا بالانتظار،ب

Edit with WPS Office

الفعل بالوقت المحدد، أتى اللإتصال، عرفنى المتكلم أنه مدير مكتب المحافظ ويريد أن أحضر صباح الغد إلى المحافظة فقط توضيحا للمطلوب شرحت له ما حدث، تفهم وقال ننتظرك غدا بالحادية عشرة، شكرته لم أصدق، الوقت الذي تلا ذلك كنت نهبا حول الآتي، نمت وبالموعد المحدد كنت بمكتب المحافظ ، إستقبلني مديره ببشاشة، جلست بحجرة الإنتظار، قليلا من الوقت فوجئت بدخول وكيل الوزارة، نظر إلي مندهشا، بعد قليل تم إ ستدعائنا، جلسنا بحضرة المحافظ طلب مني بداية أن أتكلم وأن أعرض ما قلت إنه مظلمة شرحت له ما تم بالحوار الذي تم بمكتب سيادة الوكيل، علت قسماته الجدية وإ متعض وتكلم متسائلا من الوكيل: هل حدث هذا؟

ـ حدث معالي المحافظ

ـ لماذا عدم الاحترام؟ لماذا لا نستمع للمواطن؟ ليس شرطا أن يكون له منصب يتيح له أن يطالب بحقوق أهله المشروعة، أخطأت، تفضل أعطنى التقرير الذى طلبته منك أمس عن الوحدة الصحية لنرى ما أسباب عدم إنشائها على مدار عامين

آخرج من حقيبته بضع ورقيات وضعها أمام المحافظ، أخذ في قراءتها،بعد الإنتهاء منها نظر بحدة إليه:

ـ الوحدة مدرجة بالخطة من عامين لماذا لم تنفذ؟

ـ التمويل يا فندم

ـ أي تمويل؟ ميزانيتك وصلتك وأضح أنك جاملت البعض على حساب الآخرين،

أمسك بقلمه كاتبا:

ـ يبدأ التنفيذ على الفور وأوافى بتقرير أسبوعي عن سير العمل، دكتور،بداية الرجل له اعتذار منك، وبعدها نجلس معا لحديث خاص

بالفعل إعتذر، وخرجت لا أصدق، ذهبت إلى عم حامد أخبرته ما تم، أخذني بحضنه وقبلني وقال جملة صارت على الألسنة لسنوات:

ـ عمر الزهور ما تنجب شوكا

من ، قبلتنى بل رقصت أنت فرحا،كل هذا أنت تعرفه،جئت إليك وحدثتك عن كل شيء ،هنا وجدت نفسي دخلت إلى رمال السياسة المتحركة بشكل مخيف وبدأنا الرحلة مركز شباب بنمط ، وعلى هذا النهج حققنا الكثير،جلسنا ليالي نخطط لإحتياجات القرية جديد ، شبكة مياة جديدة ،أعمدة إنارة والكثير مما كان يأتى بروؤسنا، من لحظتها وأنت تعلم ماذا بعد من مكائد وتناحر وشكايات وإتهامات كاذبة تحملتها

سنوات ولما وجدت أن الأمور تتقاقم ومن الممكن أن تؤدى لصراعات عائلية قررت الإ بتعاد حتى لا أكون سببا لشق القرية هذا صديقى حقيقة الامر، وماذا عنك، صمت طويلا متنهدا ، لاجديد من بعدك أغلقت أبوابى على حياتى وأسرتى ومتابعة ما يدور دون التدخل، أصبحت سائرا على نمط واحد، خط سير حياتى موحد معتمد ،العمل والأسرة

Edit with WPS Office

وممارسةهوايتى التى تعرفها شغفى بكرة القدم والسفر وراء فريق القرية بكل مكان، تزوجت وأنعم الله على بولد وبنتان تزوجوا وأصبح لى أحفاد والحياة ونسير نحن بركابها، حمدا لله على عودتك وبأمر الله بلا مغادرة، أتركك لترتاح، ونهض مغادرا

Edit with WPS Office

إحتفال

على مدار أيام طال عدها يستيقظ الشيخ على صيحات مزارعي القرية، من يرسلهم الحاج بهى يوميا لتمهيد الأرض وتهيئتها للزراعة، كل يوم يمر كانت مساحات السعادة تحيط بهم، تحتضنهم وتمنحهم الدفء والإحساس بالأمان، يجلس على أى مرتفع من الأ رض غير بعيد عنهم، يسمع حديثهم لأبنائه وأحفاده لتعليمهم كيفية إدارة الأرض، حرفية الزراعة ومواعيد الري لكل زراعة، وكيفية معرفة تطور المزروعات، كانت أساريره تزداد إتساعا بالفرحة عندما يجد أحد الأبناء قد إستوعب بعض الأمور، بين اللحظة و اللحظة يأمر بالشاى وبالتمر، وحين الغداء يأمر بالطعام الشهى، وعند نهاية العمل يجزل لهم العطايا رغم تمنعهم حسب تعليمات الحاج بهى، أول يوم وبعد إصرارهم على عدم تقاضي أي شيء، ذهب إليه شكره على كل ما فعله ويجعل مردوده الخير من أجل أهله، وأصر على أن يدفع نفقاتهم كاملة أولا بأول، واصل حضور صلاة العشاء بإستمرار وسط أهل القرية الذين كانوا يطلبون منه أن يلقى عليهم بعضا من علمه وحكمته، وكل يوم يمر يجد نفسه وعائلته يذوبون بدون ترتيب وسطهم، وكان أحيانا يذهب بصحبة العمدة إلى الدوار، يتسامران ويتجاذبان أطراف الحديث، وكان البعض من أهالي القرية يحضرون إليه يريدون حلولا لبعض مشاكلهم الحياتية والأسرية وكان مخلصا بنصيحته، فيما بعد كان يرسل أموالا لبعض البيوت سرا مما زاد من حبهم له وإقترابهم منه، بعد قرابه الشهر أظهرت الأرض خصوبتها، إخضرت وأضاء إخضرارها الأرض ومحيطها. في الوقت ذاته أزهرت ثمار السعادة بأفئدة وصدور كل العائلة، نادى: صالح أتاه مهرولا

ـ صالح أعد وليمة كبيرة فوق خيالك، خلال أيام أربعة على الأكثر ولا يعلم عنها إلا أبناء عائلتناوبدون تناثر الحديث ،إذهب لأحد نجاري القرية إطلب منه عمل طبالي كثيرة، أكث ر من خمسين كل طبلية تجمع بين ثلاث أو أربع أشخاص، صناعة جيدة، ناد إخوتك وأو لاد عمومتك وتحدث معهم، وزع العمل معهم، أريد وليمة تتحدث عنها كل الربوع، لا أحد يعرف قبل إقامتها مفهوم؟

ـ مفهوم أبي على العين والرأس

جلس مع إخوته وبعض من الشباب، هذا لإحضار الخضار والفاكهة، وهذا للإشراف على إ عداد المكان، وهذا للمشروبات، وهذا لمتابعة الذبح والشواء، والنساءلإعداد أنواع الخبز وبقية الطعام، والفرسان لإعداد الخيل للرقص، والشباب للتجهيز للتحطيب وألعاب المنازلة، والنساء وبعض الشباب للغناء البدوي، كل تم تجهيزه، مساء الليلة الرابعة، ذهب الشيخ بصحبة بعض من أبنائه إلى الحاج بهى، تحدثا بأمور شتى وبنهاية الجلسة دعاه وأهل القرية ومن يريد للحضور إليهم مساء الغد، يريد أن يجالسهم عنده، وعده ب الحضور، إنصرف الشيخ وأولاده البشاشة ترافق خطواتهم، قبل أن يذهب كل منهم إلى خيمته، أكد عليهم أن يكونوا صباحا على متابعة تامة لكل الترتيبات وأن لا يحدث خلل من أي نوع قبل المغيب توافد الرجال، وبعض النسوة، المشاعل أحاطت بكل المكان فرشت نورها على كامل المحيط ، الشيخ يقف على بدايات المضارب يجاوره بعض الأ بناء للترحاب بالقادمين، يستقبلهم بعدها أحد الشباب إلى موضع جلوسهم، أخيرا أتى الحاج بهي يصحبه مشايخ القرية والخفراء حاملين أجولة، أرز وقمح وطحين، بعض أ وعية الزبد وطواجن اللبن حليب ورائب، فوجئوا بالمشهد، ما كان يتخيل أن هناك إحتفا لا ما، إستقبله الشيخ بعناق حار يعبر عما يجيش به صدره من حب وتقدير خاطبه العمد

Edit with WPS Office

ة،

ـ ما هذا يا شيخنا هل لديكم عرس ونحن لا نعلم؟

ـ العرس قائم منذ قدومنا لديكم أنتم وفرتم لنا أمانا وسعادة وأهلا وإخوانا، مهما فعلنا لا نوفيكم حقكمأنتم العرس والفرح

ـ ما بين الأهل كما قلت معروف، هذاحق الأخوة يا رجل يا طيب، تناول يده وسارا جنبا إلى جنب إلى صدر المجلس، أشار الشيخ إشارة متعارفا عليها، أتت المشروبات الباردة و الساخنة، إشارة آخرى بدأت رقصات الخيل مع المزمار، ثم رقصات مشتركة بين الرجال والنساء على أهازيج الغناء البدوي المصحوب بموسيقى الأكف والدفوف وعزف الناي بشكل متناسق موحد، بعدها أتى الطعام تلال من لحوم الخراف والماعز مشوية ومتبلة بتوابل تضيف نكهة شهية للشواء يجاورها أطباق الأرز والسلطات متعددة الأصناف بعضها لا يعرفه أهل القرية، الفاكهة والمشروبات مرات، ثم قام شباب العائلة بألعاب القفز والرقص والتحطيب والمنازلات، من التفاعل مع هذه الرقصات سارع بعض رجال القرية وشبابها بالإندماج معهم رقصا وغناء، طال بهم السهر والسمر والجميع لا يرغب بـ النهوض، حوارات جانبية بين رجال الجانبين، بعد الحاح أذن لهم الشيخ بالإنصراف، تبادل الجميع العناق والقبلات المعبرة عن تقارب جاء بشكل أكبر مما حلم به الشيخ وعائلته، الشيخ كان أكثر سعادة أتاه الشعور أنه عاد إلى الوراء عددا لا يحصى من السنوات، ظلت هذه الليلة مدار حديث القرية والقرى المجاورة لأيام عديدة، وصار معتادا أن يذهب شباب القرية إلى مضارب العرب كما كانوا يقولون، يطلبون تعلم فنون النزال والتحطيب وترويض الجياد والرقص بها، وتعلم الرقص البدوي، وصار مالوفا أن تذهب فتيات القرية إلى العائلة يتعلمن من نسائها فن الطبخ البدوي وكيفية إضافة الأ عشاب إلى الطعام حتى لا يسبب تخمة أو الما، وكيف يعددن شرابا يساعد على قوة العظام والمفاصل، وكيف يعددن الجبن بالطريقة البدوية التي يجعل لها مذاقا مختلفا، ويتعلمن الغناء البدوي والنقش بالحناء على الأكف والوجوه، وطلبن تعلم زركشة الملا بس وترصيعها بالترتر والخرز، بل وصل الأمر بنزول بنات العائلة الجديدة إلى القرية بصحبة بعض الشباب، يجلسن إلى نسائها، يتعلمن طبخ أصناف لم يعرفوها من قبل، يتعلمن خبيز العيش الشمسى والبتاو وأصناف الفطير وأمور كثيرة مازالت القرية تتذكر أجمل فتيات البدو النحلة التى لا تكل ولا تمل هكذا قالوا عنها، فائزة ذات الذراع الواحد ولدت هكذا كما قالت، تجدها تساعد هذه وتلك بهمة ونشاط، بل كانت تملأ جرار المياه وترفعها بيدها الوحيدة إلى رأسها، حتى الحكايات بينهم تقاربت بشكل أدهش الجميع، تزوجت فيما بعد أحد أبناء القرية، أنجبت ولدين وبنتان، تعلما وصاروا من العاملين بهيئات كبرى.

Edit with WPS Office

ألـــــم

رغم مرور العديد من العقود الزمنية، وتغيير الأمكنة وتغير كل شيء، إلا أن ألم هذه اللحظات لم ينقشع ولم ينتهي، رغم كثير من الأحداث السعيدة التى عشتها، لم تنمح ول ن تنته، وللآن حين أتذكرها وتتجلى كصورة أمام عيونى، أشعر بانقباض حاد بصدرى وأ جد دموعا تشاركنى الألم، لحظة أن إجتمع بعضا من أعمامي وإخوتي من الأب بعضهم كان يكبر أمى بسنوات عديدة، وأنا جالسا بركن قصى، الحزن هو ردائها وينشر أرديته على كل ما بها، ونحن صغار نحيط بها أنا الأكبر لم أتجاوز الثانية عشرة من العمر، وأخان أحدهم عشر سنوات، والآخر رضيع فى عمر الثلاثة أعوام، وأخت بعمر السابعة، كل إ خوتى رحمهم الله ماتوا بأمراض عابرة لم تستمر معهم كثيرا، الجلسة كانت بشأن تقسيم الميراث،أعطونا أرضا لا نعرف مكانها، وجزءا قصيا من المنزل، وقبلنا منعا من المشاحنات، إنتهى الأمر بعد شد وجذب بين إخوتي وأعمامي حول بعض الحقوق وبالنهاية رضينا، عند ذهاب أمى لمعرفة الأرض، هى السيدة التى لم تر شوارع القرية من قبل حتى عندما كانت تريد زيارة أهلها، أبي كان يتصل بعم أحمد السائق، يأتى لأخذها، تلتقى بأهلها لساعات أو للمبيت ليلة أوليلتين حسبما يوافق أبي، ثم يعود السائق إليها للعودة، فوجئت أمي رغم عدم معرفتها بالزراعة أن الأرض تكاد تكون بورا جدباء، حالتها تنبئ أنها لم تزرع من سنوات، صدمت ولكن ما باليد حيلة، فوضت أمرها لله، ذهبت لأ حد أصدقاء والدي الأوفياء وطلبت منه أن يرى ما يلزم الارض لتعود كما رأت من زراعات مجاورة لها، وعدها خيرا أخبرته أنها سوف ترسل له بعض المال، وللحق الرجل لم يتقاعس أتى بالرجال، للتمهيد وحرثه أو تقليب أسمده ومواد كيماوية بها، طال الأمر، لأنه فعل هذه الأمور مرات متتالية، بعد الجهد الكبير قام بزراعة البرسيم ، وكان وقت زراعته، كنوع من التجربة، ونجحت التجربة والحمد لله بمرور السنوات كانت أرضا يحسدنا عليها الآخريين، ألمى وألم إخوتى وبكاؤهم رغم عدم إلمامهم بالسبب هو تكرار إعتداء إخوتى على أمى قولا، وضربا، وهذا كثيرا ما كان يحدث، أصرت الأم على تعليمنا وأن نكون أفضل من إخوتى، بالفعل كدحت وتعبت، وبالفعل نجحت نجاحا أبهر القرية جميعها، إثنان مهندسان وإبنه قيادة تعليمية وأنا محاسب نحت بالصخر،حتى أن أكون مميزا تطلبني كبرى الشركات، تحققت نجاحتنا، هنا فقط أتى إخوتى يطلبون السماح ، يقبلون رأس والدتي طالبين نسيان كل شيء، أهل القرية قالوا حينها، أنهم أتوا لنجاحنا للتمسح بنا والإستفادة من نجاحتنا، تقبلنا الأمر رغم أن الوجع قد نقش داخلنا، سافرت سنوات إلى الخليج، عملت بكبرى شركاتها زاد رصيدي الإنساني والمادي، ورغم الوجع جئت بأبنائهم للعمل بالخليج، ومازالوا للآن هناك، وعدت أنا لأكون مجموعة شركات بقطاع المقاولات يعمل بها بعضهم بل هم شركاء بنسب متفاوته بشركاتي، أبناء إخوتى غير الأشقاء وأبناء الأشقاء جميعا شركاء بأعمالي، رحمهم الله جميعا، تزداد نجاحات الشركات يوما بعد يوم، ولكن الم الأم جاثم داخلى ولا أظنه يغادرنى ما حييت، رحمك الله يا أمى، مكتوب عليّ أن لا أشهد جنازتك مثل أبى، كأن هذا قرار إلهى إمتثلت له بـ التأكيد، سامحينا يا أمى، عانيت،ولكن الله عوضك بنجاحنا لحدما، الألم كان عميقا، ذهبت إلى حجرة الصور أخذت صورتها، إحتضنتها، قبلت الصورة كثيرا، نزلت بعض دمعات تؤكد حنيني لها، الأم بالحقيقة بفقدانها يكون اليتم الحقيقى

Edit with WPS Office

قـــــرار

جلس الشيخ متوسطا إخوته وأبناؤه والشباب الذين بهم نضج ويتوسم بهم السمع بإ معان وإبداء الرأي بوضوح، كعادته دائما جزء صغير من جريد نخل يخط به خطوطه، يرسم الغد من خلال هذه الخطوط، تفرس بالوجوه مرات ومرات، يحاول أن يقرأ سرائر هم، بعد صمت طال لحين ربما بطول صمته يجعلهم أكثر إستيعابا لكلامه،تكلم.

=الحمد لله كثيرا فلقد أخذ بأيدينا وهدانا إلى أهل ووطن به أماننا، به من أدلة الخير الكثير والكثير، لم نشعر بالإغتراب، أو أننا ضيوف بل عدنا إلى وطن ناديناه وندانا، الحمد لله أن كلل مجهودنا ومجهود أهلنا بالثمار اليانعة، بشر يحبون الخير لنا، بشر أ نقياء وأرض أثمرت سريعا كانها ترحب بنا، الخير يجري بركابنا، نحمد الله دوما وأبدا، هناك أمران أتمنى سماعى جيدا أنتظر رأيكم بلا إطالة تفكير، بل أتمناه عاجلا ولحظيا، ا لأول أفكر أن تكون لنا بيوت ونترك ماتعودنا عليه من خيام،لا تتيح الخصوصية الكاملة لنا، بيوت تمنع عنا برد الشتاء والأمطار وحر الصيف، هل تكون بيوتنا بذات المكان أم بين بيوت أهلنا بالقرية، ما رأيكم،

أجابوا جميعا بلا تمهل وبصوت مجمع

= بيوت وسط أهلنا بشرط أن تكون بيوتنا متجاورة، أو نتمنى أن يكون لنا حى واحد.

=الحمد لله هذا كان هو ذات تفكيرى تحديدا،على بركة الله سوف نشترى أرضا بمساحة كفيلة بأن نبنى عليها للجميع، سوف أتكفل أنا بالشراء مما أملك من مال، ومن يريد منكم سواء إخوتى او أولادى أن يزيد مساحته فهذا يكون من ماله الخاص، سوف أحدد لكل واحد مساحة محددة تضمن بناءا متسعا، سوف أذهب مساءا للحاج بهى وأطلب منه أن يساعدنا بهذا الأمر، وعاد للصمت وعاد للخط على الأرض، ثم قال.

=الأمر الآخر وأراه مهما للغاية، حقا لقد إقتربنا وإندمجنا لحد كبير مع أهلنا، ولكن علينا أن نزيد من التقارب، أراه من عندي يكون بالمصاهرة نتزوج منهم ويتزوجون منا، هذا يسرع من التقارب وأن يجمعنا نسيج واحد، دم واحد ماذا قلتم،

أشار العم رشاد طالبا الحديث أذن له،

=حقيقة نعم التفكير جدى نحن بحاجة لرابطة قوية تجمعنا بهم وتجمعهم بنا والحل الأ وحد هو المصاهرة،

ضحك الشيخ.

=أنا أعرف من قبل حديثى أنك ستكون أول الموافقون فانت تعشق النساء بهوس،

=وهل أنا وحدى من يعشقهن، أنت من علمتنا هذا كم مرة تزوجت ولا تقل لنا أن زواجك المتكرر كان فقط من أجل زيادة العائلة بل مؤكد كان به شغف للنساء والمتعة، النساء يا أبى أشبه بمياه الرى ونحن أشبه بزرع محتاجا للرى الدائم ، وأظن مطلوب تعدد لمصادر الرى، أردف حديثة بقهقهات شاركه الجلوس الضحكات العالية، ثم عاود الحديث المهم أ

Edit with WPS Office

عتقد كل المتواجدين موافقون على رؤيتك، أليس صحيحا يا رجال.

الجميع وافقه، الشيخ نهض واقفا وهويقول على بركة الله سوف نتناقش أنا والحاج بهى بهذا في أقرب وقت، إنصرف وإنصرف الجميع كل يمنى نفسة بزوجة جديدة، بـ المساء أخذ الشيخ طريقة للعمده، الذى صار من طقوسة اليومية السهر مع الشيخ والإ نصات لأحاديثه وحكمته، طلب منه الشيخ أن يكون حديثهم اليوم على إنفراد، وافقه طلب من خفرائه الذين كانوا يقومون على خدمة الجلسة أن يتركوهم وحدهم، خاطب الشيخ،

=ما الأمر أخى.

=لا تقلق أريد منك أمورا ً.

=تفضل.

=أولا ً أريد مساحة أرض كبيرة للبناء عليها بيوتا لنا وسط بيوتكم على أن تكون حيا خاصا بنا.

=الأمر بسيط هذا موجود صباحا أعرض عليك هذه الأرض تستطيع أن تبني عليها ما تريد.

=جميل جزاك الله خيرا أمر آخر.

= تفضل.

=أرجو أن تأذن لنا بأن نتصاهر مع أهل القرية، شرفا لنا وزيادة تقارب وروابط متماسكة.

نال الصمت من الحاج بهى لفترة ثم قال.

=وماذا يمنع تفكير حكيم بوقته لك عليّ أن أساعد على هذا.

= المطلوب أنت أكيد أدرى بعائلات القرية وببناتها أترك لك تحديد هذا، ثم نتناقش ونرى من تتوافق مع أحد أبناء عائلتنا وأيضا إن أراد أحد أهل القرية مصاهراتنا لا مانع ونتشرف.

=أحسنت ياشيخ أنت عرفت كل رجالات القرية، وربما أيضا بعض القرى المجاورة، سوف أفكر بمن لدية شابات بسن الزواج ولتكن إرادة الله إنتقلا للحديث حول كل الأ مور الخاصة بهم أو بعوائلهم، أو شأن القرية، بعدها طلب الشيخ الإنصراف ، بالغد جاء الشيخ مصطحبا بعضا من إخوته وأبنائه إلى العمدة الذى مر بهم على أكثر من أرض تصلح للبناء، تم الإتفاق على مساحة كبيرة للغاية على مقربه من مبانى القرية بها بعض ا لإستقلالية، ساروا على الفور إلى صاحبها، توصلوا لإتفاق مرض للجميع حول السعر، دفع الشيخ جزءا ً من الثمن على الفور مع وعد بالباقى عند تحرير العقود مساء الغد، تم كل

Edit with WPS Office

شيء بمنتهى الأريحية، وعلى الفور أتاه العمدة بمن يقوم بأعمال البناء من القرية ومن قرى مجاورة لسرعة البناء بوقت قياسى، وبغضون شهور تمت حالات زواج متبادلة بين الطرفين كان أولها زواج أيوب بإبنة العمدة

Edit with WPS Office

،،صالـــــح،،

هو الإبن الاول للشيخ حسن، أنجبه من زوجته الأولى، إحدى بنات عائلة جاورتهم مرارا لسنوات طويلة، مما أوجد تجاوبا وإقترابا بين العائلتين، تزوجها وهو بالثامنة عشر ربيعا وهى كانت لا تزيد عن الرابعة عشر، تم الزواج بإشهار بين العائلتين، أحبها الشيخ كثيرا، كانت أنثى مطيعة ومتفهمه، تقوم بالشيء الكثير دون أى شكوى، تواعدا سويا أن لا يتزوج غيرها الإ بحال واحد،لا قدر الله الموت، أنجبت له صالح بعد عام واحد من الزواج، ثم أنجبت خلال عشرة أعوام فترة زواجها، شابين وفتاة، إلى أن أصابتها الحمى بشكل لم يعهده الجميع من قبل فشلت كل العلاجات من أعشاب ومن خلطات إعتادوا فعلها مع هذا المرض، كانت تغيب عن الوعى لأيام متواصلة، تفيق للحظات تهذى ثم تعود للغياب، أنجبت عبدالحميد وأحمد وصالحة،بعد شهور طويلة من المرض أسلمت الروح، بكاها الشيخ كثيرا وزهد بالحياة وإعتزلها لفترة طالت، صالح كان الاقرب له منذ لحظة ميلاده وهو منجذب له، كان يجلسه على حجره لساعات دون ملل ويلاغيه، وعندما بدأ الحبو دون أى توجيه من أحد، صالح يحبو حتى مجلس الشيخ ويعرف مكانه المعتاد، يذهب على الفور إلى حجر أبيه حتى لو كان الشيخ بجلسة نقاش مع العائلة حول أمورها، كان لا ينهره أو يبعده، عندما بدأ صالح الصغير يدرك ويفهم بعض الشيء، كان يجلس ملتصقا بأبيه، يسمع بإنصات تام، يقولون أنه أخذ الكثير عن الشيخ، الحكمة والفطنه والكياسة حتى بالهيئة الجسمانية والملامح، قراءة الحوارات و النقاشات بشكل أذهل الكثير، عند سن الرابعة عشر بدأ الأب يإخذ رأيه ببعض المسائل القليلة حتى يتعلم، وتدريجيا صار ممن يدعى إلى الجلسات والنقاشات، بسن الثامنة عشر زوجه أبيه إبنة شيخ عائلة كبرى، الشيخ نفسه تزوج للمرة الثانية بعد عام من وفاة زوجته وبعد تدخلات من كبار العائلة، صالح،كان الذراع اليمنى لابيه، كان يفهم ما يريده الشيخ من نظرة عينيه، أنجب أيوب ومسعود،حسن،رقيه، رشاد وعبد الله وآخرين ، كان رفيق خطوات الشيخ الخطوة بالخطوة، شاركه الجلسات العرفية سواء بعائلته أو بـ العوائل الآخرى، الكثير من العوائل كان يلجأ لحكمه الشيخ وفطنته وعدالته، تمرس صـ الح جيدا صار حكيما مع الفهم الجيد لمجريات الأمور، بنيته الجسدية ورازنته ألقت عليه نوعا من الهيبة، شامخ الطول عريضا، ممتلئ لحد ما، خمرى اللون، يسير معتدلا دون إنحناء، واثق الخطى وبريق عينيه الدائم يشى بذكاء متقد، الغريب أن بين الاب وا لابن فعلا مشتركا ما إن يتزوج الشيخ يتزوج الابن حتى بالإنجاب حدث أن تم الانجاب بيوم واحد مما جعل الكل يتندر، ويتهامس أن بين الشيخ وولده إتفاقا على المضاجعة بـ توقيت واحد، حينما وصلوا إلى القرية كان صالح متزوجا من زوجتين أما الشيخ فكانت له أيضا زوجتان، بسرعة لم تكن متوقعة كان لصالح وجود قوى بين أهل القرية، تجده يسبق الجميع بواجبات العزاء والأفراح، بل كان كثيرا ما يتكفل بالأمور المادية للبعض ، أشعرهم أنه واحدا منهم، كان يذهب للحقول يتأمل أعمالهم وفى الوقت ذاته يتعلم حرفية الزراعة، كان كثيرا ما يجلس بينهم يتناول طعامهم ويشاركهم شرب الشاى المصنوع على ركوة نار ويتسامر معهم، يتبادلون النقاشات الضحكات والنكات ، الترحاب به يزداد بمرور الأيام، الشيخ كان يتأمل المشهد وتنبسط أساريرة يوما بعد يوم، صالح تزوج أمينة إبنة عائلة فتح الباب عشقها تماما، حتى أن نساءه الآخريات شكين للشيخ، من هجرانه لهن بينهن، دعاه نصحه بالعدل ومن لحظتها وأضيف طقس جديد له، مضاجعة كل النساء كل ليلة حتى لوكان هذا يرهقه، كان يصحو من نومه يغتسل، يصلى يجد فطوره معد، قبل تناول أى لقمة كوبا كبيرا من السمن البلدى ذائب، يشربه عن آخره ، ثم يعقبه بعدد من البيض النئ يتناولة، ثم يكمل فطوره، صالح لم يحد يوما عن

Edit with WPS Office

التوازن والحكمة وزيادة رصيده من حب الناس، كانت له مقولة الثراء الحقيقى والفعلى هو الثراء بالناس وحبهم وإحترامهم، صالح على مدار عمره الذى تجاوز الثمانين، تزوج بحياته تسع نساء، أنجب من الابناء من خمس منهن ثلاثة وعشرين رجلا وثلاث فتيات وعلى منواله الزوجى سار على دربه معظم العائلة، شهدت أنا بعينى إبن عم لى تزوج أ ربع، كان يجلس وسطهن مساءا بعد إنتهاء أعمال الحياة اليومية، يجلس بينهم على حصير هذه تعد له وجبة العشاء وأخرى تعد الشاي، وثالثة تجهز الشيشة والرابعة تقوم بتدليك قدميه وظهره، حرص على تعليم إبنه أيوب عندما رأى منه نبوغا، الإبن كان يعشق القراءة بعد تعلمها، وعندما جاء للقرية سارع صالح بتخصيص دارا إبتناها إضافة للعديد من دوره الخاصة خصصها لمدرسة وعن طريق العمدة أخذ موافقات الوزارة وكانت أول مدرسة بالقرية ومحيطها من القرى، ومن خلال تواصلة مع المزارعين وشكواهم أنهم يذهبون للبندر للحصول علي الأسمدة والتقاوى والمبيدات مما يحملهم مشقه سفر ونفقات إنتقالات، قام بالجلوس مع كبار المزارعين وإتفقوا على تأسيس وإشهار جمعية زراعية، وتم الأمر بعد جهود كبيرة، مازال محضر التأسيس موجودا بمكتبة أبى، يحمل اسم الجد صالح رقم واحد من المؤسسين، زاد بمرور الأيام وتعاقبها إنصهار العائلة تماما وسط نسيج كل القرية، قلما تجد عائلة لم تتم مصاهرتها، الجميع أ صبحوا أقارب، صالح كما أطلق عليه أهل القرية

=الإسم صالح وهو أكيد صالح.

Edit with WPS Office

،.الحياة تسير،

سنوات طويلة تقترب من العقدين مرت والأمور تسير على ما يرام، كل شيء يتم حله داخل القرية حتى لو كان أمرا غاية بالصعوبة، لم يلجأ أهل القرية مطلقا للقضاء و المحاكم، تعقد الجلسات برئاسة الحاج بهي، يشاركه الشيخ حسن بالاستماع بكل الوعى للطرفين ثم يكون الحكم بلا جدال من أى طرف يقبل الحكم، تلاحم الجميع، الحزن واحد يلف كل القرية، عند حالات العزاء كل البيوت تذيع القران من الراديو بالبطاريات حتى الأربعين، الطعام يأتى بإنتظام إلى بيت المتوفى أو المتوفاة مع أنواع من الحبوب، و بالأفراح الكل يشارك من يقوم بإحضار ماكينة كهرباء ومن يحضر لمبات الإضاءة وهذا يأتى ببعض باكتات الفراشة، الكل شركاء بكل أحوال القرية، الشيخ والعمدة تجدهم جلوسا أمام الدوار أحيانا وأمام منازل الشيخ أحيانا، إن أردت أن تجد الشيخ إبحث عن العمدة والعكس تجد كليهما، هكذا كانوا يتقولون، صارا لا يفترقان الا عند النوم حتى ق ال البعض بقى لهم أن يكونا داخل رداء واحد، أحيانا يتابطأن أذرع كليهما، يسيران بهدوء تام، للعمر متطلبات لا يمكن الخروج على نصوصها، قمة سعادتهم عندما يهرع المار بهم مرحب البعض كان يجذب أيديهم للتقبيل، كان الرجلان يتمنعان بشده وجملة واحده تعلو شفاههم، لا سمح الله نحن سواسية، يسعدان بالأحفادا لذين يكبرون أمام أ عينهم، عند حلول رمضان يتناوبان الذبح وتوزيع اللحوم وعند إقتراب العيد يحضرون م لابس وأحذية. وأغطية رأس، ويوم العيد بجلسان سويا يحيط بهم بعضا من الأبناء، أ مامهم مائدة علها أطباق ممتلئة بونبون وشيكولاتات مختلفة الأحجام وفول سودانى و ترمس وتمور، من يمر لابد وأن يمد يده ويتناول ما يريده، لم يتركا شيء لم يفكرا به، نظافة الشوارع خصصوا بعض الرجال لهذا مقابل أجر يتشاركان فيه، إشعال فوانيس الإ ضاءة بكل ربوع القرية وصياناتها لم يفتهم شيء، يزوران المرضى وبأسلوب جيد ليس به أى نوع من الحرج يتركان بعض المال، يتابعان حالات الأرامل والمطلقات، دوما يوفرإن لهن سبل المعيشة اللازمة دون خدش كرامتهم، هذا ما عاشته القرية وأملها أن يستمر هكذا دوما، ولكن أصاب الحاج بهى مرض عضال أقعده وعانى منه كثيرا، الشيخ لم يفارقه لحظة ساهرا على رعايته، رفض أن يغادره، الأطباء يذهبون ويأتون كل بضع ساعات، أعيتهم سبل العلاج ولكن الأمل كان منشودا من الجميع، أهل القرية يلتفون حول الدوار واجمين ويدعون له بالشفاء، إستمر الحال قرابة الأشهر الثلاث، بليلة وكان الشيخ نائما على كنبة بجواره، الوقت يقترب من الفجر،سمع صوت الحاج بهى يناديه بصوت خافتا إقترب منه.

=يا شيخ حسن يشهد الله أنك عندي أكثر من أخ، ما رأيت إخلاصا ووفاءا مثلك، ربنا يعطيك دوما الخير، إسمعنى جيدا، أنا أشعر بأنى مودع وهذا أمر لا مفر منه أرجوك لا تدع إبنى حازم وحيدا، كن له الأب والدليل والحكمة، لا تتركه أنا أعرف أنه شارد وله تفكيره الخاص، لا تدعه لنفسه الأمارة بالسوء، إصبر عليه وهون على أهل القرية، أعرف أنك قادر، عدنى بهذا تناول الشيخ يده وقربها من صدره وموضع قلبه وقبلهاوهمس له.

=وعدك أمر وعدك أمانة بعنقى

بعد سويعات أسلم الشيخ الروح، بكاه الشيخ كما لم يبك أحدا من قبل، جنازته مازال يحكى عنها للآن، تولى العمودية الابن المهندس حازم، بعد الاربعين بدأ بتغيير ما كان أبـ وه يسير عليه، نزع مشيخة الخفراء من إدريس التهامى من حملها أعواما لا تحصى

Edit with WPS Office

وسلمها لخفير ينتمى لأسرة أحد المقربين له مما أوغر الصدور، كان يركب الكارته و يجعل سائقها يسرع بها بشكل جنونى تثير الغبار دون أى إعتبار لمن يمر بهم بالطريق و لا يلقى تحية لأى أحد، كان متعاليا حتى إنفض الكل من حوله وبدأ التباعد مع من أحبه والده وأصفيائه، بعد فترة جاءت اليه شقيقاته، هو ابن وحيد على ثلاث نساء أنجبهم الحاج بهى من زوجته الاولى ولم ينجب على الإطلاق من كل زوجاته، يطلبن منه ميراثه الشرعى ، نهرهم بعنف وأنكر إن لهم ميراثا وأن الحاج والده كتب كل شيء له، طردهم بلا أى نخوة، لجئوا للشيخ ذهب ومعه رجالات القرية، ناقشوة وحدثوة عن الحقوق المشروعة حسب كتاب الله، لم يستجب، بل تعامل معهم بحده أقرب للطرد خرج الجميع يضرب كفا بكف

كيف يكون هذا إبن للعمدة مستحيل لم يرث منه شيئا سبحان الله يخلق من ظهر التقى طائشا بدأ الصراع مع أطراف متعددة، جاهد كثيرا جدا لنزع مشيخة البلد من صالح ولكته فشل لعمق علاقات الشيخ ومعرفه المسئولين حكمته وعدالته، بعد عام أو أقل قام الأهالي بعمل شكوى جماعية موقعة وببصمات أيديهم إلى مسئولى الحكمدارية يطلبون إبعاده لأنه سوف يكون سببا بإشتعال الصراعات والمشاحنات والحرائق بالقرية، بعد تحري قامت الحكمدارية بعزله وإسناد العمودية لإبن أخته، رجل بالاربعين، حكيم و متزن، رحب به الجميع وقد كان عند حسن الظن، حازم رحل إلى القاهرة مع أولاده، يأ تى كل فترة للحصول على إيجارات أراضيه، الشيخ أصابه الإكتئاب والإحساس بالوحده بعد الحاج بهى، أكثر من الجلوس وحيدا يحيط به بعض الأحفاد لرعايته ولكنه إزداد غربه وصارت حركته ضعيفة، يكتفى بالمتابعة يتمتم،

=آسف يا حاج بهى إستعصى علي أمر ولدك بشهادة الكثير، سامحنى تنزل دموعة تغسل لحيته التى زاد بياضها، هزل جسده وأصبح واهنا، أصابه المرض بقسوة وكان يحاول كتم صرخات ألمه يستطيع مرة ولا يستطيع مرات، الجميع من حوله، داخل بيته وخارجه أهل القرية يحيطون بالبيت يدعون له، فهم منذ أن أتى وعاش وسطهم لم يعرفوا عنه إلا الخير، صار عندهم الأب المشغول بهم دوما لم يتوان عن أى شئ يسعدهم جعل إسم القرية مسموعا لدى الكل، عندما تقول أنك من قرية الحصة على الفور يقولون قرية الشيخ حسن.

عند غروب شمس اليوم الأخير بحياته طلب منهم أن يقوموا بوضوئه نظر اليهم نظرة شامله، أشار إليهم وهو متشابك اليدين بشكل فهم منه أن يظلوا مترابطين، بعد أن أدى الصلاة أسلم الروح، الكل أصابه الذهول، الإنتحاب كان عنوان القرية بالكامل، الحشود تأ تى من كل مكان رفض صالح أن يتم الدفن الإ بعد حضور من تركوهم عند الرحيل، مشهد الوداع لم تشهده القرية من قبل، ظل الجميع يتذكر كل شيء عن الشيخ، ودوما و أبدا عندما يلمحون صالح يوجهون له الحديث.

=أنت خير خلف لأعظم سلف رحمه الله إتستمرعلى خطاه.

Edit with WPS Office

،،وقفـــــة،،.

طوال الأيام التي تجاوزت الأسبوعين، وأنا لا أكاد اغادر دائرة تحركاتى، التنقل بين بيوت أعمامى وأولادهم، وأبناء اخوتى، يضاف اليهم رفيق حياتى،فوزى البحيرى، هذا هو المضمار الذى أتحرك به دوما، صحيح إستعدت ذكريات ورأيت أحلاما وطموحات تبسط أمام ناظرى، وصحيح إستمتعت بالدفء والونس، والصدق والشفافية والتعبيرات الصادقة العفوية اللّهم مرة وحيدة ذهبت للحقول، وتوقفت أمام بعض البيوت الواقعة بنطاق الطريق المؤدى اليها، كل هذا ليس بكاف للتحقق مما إستجد وما تغير، الآوان قد حان للخروج من هذه الشرنقة وتفقد كل البلده لابد من الوقوف على جديدها، على متغيراتها، إجتماعيا وفكريا ودينيا وسياسيا، لا وجه للدهشة نعم سياسيا، السياسة هى عصب كل الحياة، تجدها قرين كل أمر، أريد أن أقترب وأن أعاود وجودى بين الكل، أن أ عرف هل مازالت البلده على أعرافها وقيمها وتقاليدها أم

أن رياح التغير والعولمة والعالم الذى صار قرية صغيرة، قد أحدث فعله بكل شيء، قررت أن أجعل قدماى تقودنى حسبما تشاء، سوف أسير بعفوية دون أى ترتيب لن أ حدد أى وجهه ابدأ بها، لن أرافق أحدا أحاول أن أستعيد معرفتى بالشوارع والبيوت و البشر،خرجت كان الوقت صباحا يقترب من الظهيرة، دخلت شارع دائر الناحية شارع يلف كل القرية أشبه بسور يحدد أبعادها وخريطتها، الشارع تغير تماما، بنايات مرتفعة بطوابق متعددة وعلى النظام الحديث، رأيت ما يشبه الفيلات الصغيرة، هذا أمر ليس مستغربا، بالخروج إلى بلدان الخليج تملكوا الثروة وتملكوا الأراضى وكان حتميا أن ينالوا بعضا من الرفاهية، والغريب أن وسط هذه تجد بيوتا مازالت على حالتها كما عهدتها حتى بالبيوت نجد شيء من الطبقية، الطبقية مهيمنة طوال الأزمان على الحياة، شاهد على تحولات الزمن، وقفت أمام هذه البيوت استقرأ ما بها، أى بيت حديث أو قديم ، كل جزء به يحمل تاريخا، يحمل أنفاسا، يحمل أرواحا ويحمل الأما، يحمل وجعا مثلما يحمل فرحا وسعادة، البيوت لا يغادرها ساكنيها أمواتا وأحياءا، كلما مررت على بيت، أستعيد بعضا من أمسه، أتذكر هذا البيت لشعبان صانع السواقى وقوته العضلية الكبيرة وأبناؤة يشاركونه العمل ويغنون معا أثناء عملهم، لا تشعر أبدا بأن لديهم هما من أى نوع ، وهذا بيت نبوصانع الحصير أكاد أجزم أنه كان يعمل بشكل تلقائى، يداه تعملا ن وهو يتحدث مع الكثير، وهذا بلتاجى صانع الملابس البلدية والصدارى والعياءات، كان مشهورا للقرى المحيطة بنا، أتذكر المعلم طلبه صانع الطوب، قبل الفجر تجده هو ورجالة يعدون عجن الطين المخلوط بالتبن وصبها بقوالب خشبية قبل أن تشتد حرارة الشمس يكون قد أنهى الكمية المطلوبة، يتركها بعض الأيام ثم يأتى ورجالة لجمعها و العودة مرة أخرى لإعداد كميات جديدة مع أغانيهم التى تشد من عزمهم، ومهن أخرى إ ندثرت، أه من التكنولوجيا رغم إتاحتها سبل الحياة بسهولة ويسر إلا أنها كانت سببا أ ساسيا فى إندثار الكثير من الحرف بتكاسل البعض وركونه الى الإسترخاء، مؤكد كل هذا إندثر، مؤكد كل الأبناء قد هاجر معظمهم، وتمرغوا بالوظائف الحكومية، مغادرة هذه المهن كان جناية مع سبق الإصرار والترصد من مستجدات العصر، المستجدات لها جانب سلبى أكثر كثيرا من الإيجابى، يكفى أنها باعدت المسافات بين الجميع، قطعت إلى حد كبير حميمية العلاقات الإنسانية، وتفسخها أصبحنا جميعا نكتفى بالإتصال التليفونى واللقاء بالمناسبات وأحيانا كثيرا ما نتجاهل المناسبات، أصبحنا ننظر للعلاقات انها مصالح ومنافع، أصبح الغالب الأعم منا يعيش يجزر منعزلة للأسف ، كان بعض المارة يندفع الى مرحبا معانقا ومقبلا، أتذكر البعض والبعض لا أستطيع رغم قدح زناد

Edit with WPS Office

ذاكرتى أن أتذكره، يلمح التساؤل على ملامحى فيخبرنى أنه فلان إبن فلان،إستمر سير ي طويلا، وجدتنى أمام الكوبرى الذى يفصل بين قريتى والقرية المجاورة، أعتقد أنه لم يعد فاصلا بينهم، مؤكد إنتقل للعيش هنا وهناك بعض من الجانبين، بسمه إعتلت شفتاى ، هل مازالت لهجة قريتى تختلف عن لهجة القرية المجاورة رغم حالات المصاهرة بين الجانبين وبين الإندماج الحياتي بينهم، كانت لهجتنا لهجة معتادة كأهل المدن والعديد من القرى المجاورة، أما هذه القرية تحديدا تختلف تماما، معظم الكلمات والجمل مكسورة نحويا، مثلا قرشا تنطق قرشين، هكذا، محتمل أن تكون قد أصيبت بمحدثات العصر،أمام الكوبرى وجدت لفتات تحمل صورا لبعض شخصيات القرية، أمواتا وأحياءا على حد علمى يعملون بنشاط واحد العسل الابيض ومشتقاته وبمهن أخرى كان لم بصمات واضحة بها، ووجدت لافته أخرى مدون بها أسماء الشهداء على مدار الحروب، و لافته تشير إلى بعض الشخوص على أنهم كانوا مخولين ومفوضين من الله لقضاء ح وائج الناس على عكس الحقيقة، ولكن دوما وعلى مدار الأعوام هناك من يلبس الحق ثياب الباطل والباطل ثياب الحق، أسعدنى ان وجدت إسم إبن عم لى إستشهد بحرب اليمن متواجدا بين قائمة الشهداء، ذكرنى هذا، بإحتفالية أقمناها حينما توليت مسئولية مركز الشباب، إحتفالية يوم المرأة بحضور مسئولين عن الوزارة والمحافظة، كرمنا به زوجات وأخوات وأمهات الشهداء من أبناء القرية بداية من حرب الثمانية والأربعين بعد الألف وتسعمائة حتى حرب السادس من أكتوبر، كرمنا أمهات أدين أعظم رسالة ووصلوا بابنائهن لمناصب علمية مرموقة رغم رحيل الزوج وقلة الرزق، كرمنا المعلمة الأولى بـ القرية، كان يوما مشهودا، تعانقت به الدموع مع الفرح، سعدت بما رأيته،ولكنى أصابنى ضيق، هناك الأكثر أهمية رجال لهم بصمة ولهم إنجاز ولهم أياد بيضاء لا ينكرها إلا جاحدا، أين الحاج بهى، أين جدى وأين أبى، أين المهندس روؤف الذى وصل إلى منصب رئاسة قطاع التجارة الداخلية، أنشأ مصانع بقرية تتوسط قرى عديدة، أتاح مئات من فرص العمل لأبناء هذه القرى، أين الحاج عوض المرسى أول معلم بالقرية أين وأين، آخذا على عاتقى أن يكون لهم وجود ، بطريقى وقفت أمام المدرسة تحولت إلى مجمع مدارس يضم كل المراحل المقامة على أرض كان يملكها أبى وتبرع بها لإنشاء مدرسة، رأيت معاهد أزهرية بكل مراحلها للأولاد والبنات، كل أراضيها تبرع بها من كان سابقا عمدة وخلع بناءا على طلب الأهالى، ربما أراد أن يكفر عن أخطائة السابقة، صار عضوا بمجلس الأمة لدوره، حينما ترشح كان قد غاب عن القرية أكثر من عقد، كان يحمل شهادة الهندسة، لم يبحث عن عمل حتى يتولى العمودية، وعندما تم خلعه عمل مع شركاء له شركة مقاولات كبرى نجحت وأثبتت جدارتها، ترشح وهو لا يملك سيرة تساعدة على ذلك، وجد تباعدا كبيرا من أهل قريته، فما بالك بأهل القرى الآخرى وأصابه الهم، سأل أحد المقربين هل يستمر أم يتنازل أشار عليه بأن يذهب للحاج أيوب ويحاول إعادة الود بينهم، الحاج متشعب العلاقات مع قرى الدائرة، ولكن كيف وهو من رفض إ عطاء اخته زوجة ايوب نصيبها من الميراث ومازال يرفض، تحامل على نفسه وذهب، ما إن دخل المنزل حتى فتح ذراعيه وإندفع آخذا الحاج بين أحضانه مطلقا عنان قبلاته جلس إليه.

= نحن أهل بيننا نسب وأتمنى أن لا ترفض معاونتى بالإنتخابات، لننسى الماضى ونبدأ صفحة جديدة.

= ووجه خلافنا هل تنهية ونبدا صفحة جديدة كما تقول.

Edit with WPS Office

= سوف نتوصل لإتفاق يرضى الجميع.

= أى إتفاق هناك شرع الله لا جدال فيه.

يا حاج أعدك بإنتهاء الإنتخابات أفعل ما تراه أنت.

= ومن يضمن.

= مجلسا يشهده الكبار يكونوا شهودا على.

= رغم عدم قناعتى وعدم إطمئنانى سوف أمنحك الفرصه.

إنعقد المجلس وتعهد أمام الجميع بتسوية أمر الميراث، وقد كان الحاج أيوب مصاحبا له بكل جولاته، كل قرية كان يخرج كبارها يوجهون الحديث للحاج أيوب، لولا وجودك معه يا حاج ما إنتوينا إنتخابة سيرته تسبقه ولكن يكرم من أجلك، نجح،ولم يف بوعوده ولم يقدم لدائرته شيئا، كان همه الأوحد أولاده فقط، وضعهم بوظائف ومراكز مرموقة، أظن جازما أن الأجيال المتعاقبة من النواب أغلبها يسير على هذا المنهج، خرجت تنهيده عميقة من داخلى وأخذت طريقى للعودة، عند عودتى رأيت شبابا ورجالا يرتدين جلا ليب قصيرة أسفلها بنطلونات وسراويل متعددة الأطوال، أيقنت أن التغيير الدينى قد أ صاب القرية، الأمر يحتاج للإيضاح، لفت نظرى أن البعض يتجمع سواء إثنان أو ثلاثة ينظرون بتمعن حاد إلى موبايل أحدهم يقلبون به مرات، أيقنت من متابعتى لمنهج هؤلا ء أن تعليمات تأتيهم، مؤكد سوف أحاول الفهم، ما إفتقدته بجولتى أن أجد الدخان يتصاعد من البيوت يخبر الجميع أن هناك جولات من الخبيز، أتذكر هذه اللحظة بطفولتى وأظنها كانت لدى كل أطفال القرية، الجلوس بجوار الفرن ننتظر الخبز الساخن ، وأيضا بعض الخبز المحلى بالسكرا، كم كان هذا شهيا، إفتقدت أبراج الحمام التى كانت تزين الكثير من البيوت، إفتقدت صوامع المحاصيل التى تختزن بها الحبوب، كل شيء ا لآن أصبح مجهزا، صار الجميع على منهج ولم التعب مادام كله متوفرا، الأفران إحتلت القرى ودفنت طقسا جميلا مثل الكثير من الطقوس، تبسمت لدى تذكرى عندما أخذت ب البحث عن أصول قريتى وجدت كتاب(التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية لابن الجيعان) به ما يفيد أنها كانت قديما ملكا لاحد المماليك وأيضا (كتاب قوانين ابن مماتى) وعشرات من الكتب، كنت شغوفا بهذا، وأظن أني مازلت شغوفا ً بالبحث عن كنه الأشياء.

Edit with WPS Office

...زيـــــارة...

جلست على مكتب والدى المجاور لمكتبته وأوراقه وأوراق الجد وأخذت أقلب بمحتواها، وجدت أعدادا ً من اللطائف المصورة والمقطم والتنكيت والتبكيت و البعكوكة وآخريات، رغم مرور سنوات طويلة على إقتنائها لم تزل على حالها إلا بوجود إ صفرار بالورق لعوامل الزمن، كتب تراثية الحيوان للجاحظ وفتح البارى وكثير من الكتب عديدة التخصصات ، أخذت أستخرجها وبقطعة قماش أخذت أنفض عنها التراب الذى تراكم عليها، من وراء صف من الكتب ظهر لى مظروف كبير ممتلئ بالكثير من الأ وراق ، سحبته وجلست أخذت أستخرج ما به بعضا من الصور تجمع أبى مع بعض الوجهاء بمسرح المدينة يبدو أنهم كانوا يحضرون عرضا ما غنائيا أو مسرحيا اللّه أعلم كل منهم كامل الأناقة بذلات على أحدث تصميم والبعض يرتدون الجلباب الكشميرى و الطرابيش تزين رؤوسهم وتضيف إلى مراكزهم الإجتماعية رونقا ووجاهة وصور تجمعه وهو طفل مع الأب والأم والإخوة وصور لى ولاخوتى على حصانه وآخريات، وجدت أ وراقا عندما فتحتها صدرت عنى نبرة دهشة، هذه ورقه تأسيس الجمعية الزراعية وقرار الموافقة على إنشائها وهذه ورقه بتبرعة بأحد بيوته ليكون مدرسة لحين إنشاء مدرسة بعد مخاطبة مديرية التعليم، فعل هذا حرصا على تجنب أبناء القرية مشقة السير كيلومترات للذهاب إلى مدارس القرى المجاورة ومعاناتهم صيفا وشتاءا، وهذه وثيقة التبرع بأرض المدرسة الحالية وبعض من أوراق تبرع لبعض من عماله ببعض القرارايط من أرضه مكافاة لهم على إخلاصهم وأمانتهم وتحفيزا لهم على بدء حياة أسرية جديدة لهم همست لحالى.

أن هذه رسالة ليعرف الكل أن هناك من بذل الكثير من أجل البلده وأهلها، إحتفظت بهذه المستندات وأعدت كل شئ إلى مكانه ، نهضت لأعد كوبا من الشاى كنت بحاجة ماسة

Edit with WPS Office

له وجدت طرقات على الباب، أسرعت بالفتح وجدت العمدة فتحى الهياتمى أمامى، ي الله رغم أنه يكبرنى بعقد كامل أو يزيد إلا أنه كما رايته آخر مرة بل ربما إزداد شباباً، متوسط القامة، نخيف لحد ما ووجه ممتلئ الدموية واضحة تماما عليه وشارب متناسق ليس كثيف، أفقت على صوته.

. سلامات يارشدى هل ستظل متاملا بى كثيرا.

ضحكت هى المسألة رغم العمر الذى مر مازالت عندك سلامات يا رشدى الأ تنسى

= كيف أنسى وأنا أسميت أول أحفادى رشدى عرفت مدى معزتى لك وأنت هنا من أكتر من أسبوع أقول إتركه لأهله، رغم أننا أيضا أهله، ولما طال الوضع قلت لنفسى أذهب أنا له رغم أن الاصول تقول غير هذا، حاضر يا رشدى أنا حضرت لنتشاكس مثلما تعودنا.

أدخلته إلى حجرة الصالون وأجلسته وذهبت لإعداد الشاى.

=ياااه يا عمدة والله ولك وحشه ، الأول نشرب الشاى ونحكى عن كل شئ أنا بشوق كبير لك، بين الرشفة والرشفه تلمع عيونه ويداعبنى المسألة دوما سلامات يا رشدى.

=ألم يعد لك حفيد بذات الاسم غنى له بها.

علت ضحكته.

= ومن قال أنى لا أفعل لأنى أتذكرك دوما، نصحتك عشرات المرات لا تندفع فى أعمالك تجاه البلد وكم قلت لك بالنهاية سوف يكون الجزاء جزاء سنمار، لم تستمع لى ثم بـ النهاية كان القول صادقا وهربت سنوات.

= أولا ً لم أكن أبحث عن جزاء، كل ما كنت أحلم به أن أوفر سبل للسعادة لقريتى يا عمده أى

إنسان يكون بإستطاعته أي شئ يخدم به أهله،الصحيح أن لا يتوانى ولا يتقاعس، ثم انا كنت أسير على منهاج أبى وجدى والجد الأكبر وأنت أدرى بما كانوا يفعلونه وكذلك كان جدك ثم أنت ألا تفعل.

= مؤكد أفعل فقط دون إفراط الضرورى والملح فقط.

=ياعمدة أنا ماهربت كل ما هنالك أنى ما أردت أن أشعل حرائق وأن أوجد صراعات وبالتالى شروخ ربما بل مؤكد لا تلتئم ولا تندمل بسهولة

= دعنا من كل هذا هل هذه عودة نهائية أم مجرد زيارة.

=للآن لا أعرف ولكن ما أشعر به أنى مقيم إلى آخر لحظة.

=جميل وأعمالك وأولادك.

Edit with WPS Office

=أعمالى تدار بشكل جيد أولاد إخوتى يقومون بإدارة العمل كما علمتهم، فهم شركاء أ يضا وإن جد أمر ما يتصلون بى، أنا دائم الاتصال بهم ، اما أولادى فهم جميعا بالخارج الولدان بألمانيا ناجحان بعملهم ولهم كيانهم العلمى العالمى الحمد لله وإبنتى مع زوجها بـ الإمارات، أيضا مستقرة حياتيا وعمليا وزوجها محترم إبن ناس يراعى الله فيها..وعلى إ تصال دائم معى. ياعمدة ممكن أسالك تساؤلات بداخلى من سنوات طويلة.

لمعت عيناه وتفرس بى بعمق.

=أسأل وسوف أجيبك بصراحة وبلا خجلكما عاهدتنى دوما

= عمده أنت تعرف مقدارك عندى رغم أنك تكبرنى كثيرا إلا أنى دوما أحس بتقارب بيننا ، أولا أسالك، أنا بجولتى بالقرية رأيت عددا ليس بقليل من الشباب وربما بعضا من أ صحاب العمر الكبير يرتدون الجلباب الذى يصل للركبة وتحته سروال طويل واللحى متعددة الأشكال والأطوال، ماهذا أولا للتوضيح لست ضد اللحى ولكن بهذا الشكل والإ سترسال بها ونمط الملبس الذى يكاد يكون موحدا، أمرا يثير الريبة، أم أن قولى خاطئ

= لك حق أنت تعرف أن القرية غالبية أبناؤها ملتحق بالتعليم الأزهرى وكل بيت به من يحفظ القران ويجوده ولكن دون تطرف وهذه سمه قريتنا ولكن بالسنوات الأخيرة وجدت مجموعة تدعو للتشدد، صارت تنهى وتمنع وتحرم وتأمر بما تراه من وجهه نظرها صائبا، حتى إن سنحت لهم الفرصة يهاجمون مظاهر المستجدات التليفزيون وما يبثه من مواد يرونها لا تليق والموبايلات رغم أنهم يحملون أجهزة حديثة للغاية منها وببيوتهم سوف تجد كل ما تتخيله، يهاجمون التبرج وهم كل التبرج ببيوتهم، يهاجمون كل شئ يدعون لعدم التعامل مع سبل التكنولوحيا بكل صورها، كنت أنا ومعى بعض عقـ لاء القرية نتناقش معهم وندعوهم لعدم التطرف والغلو بالأمور وأن الدين المعاملة، البعض كان يستجيب والآخر لا يقتنع، ولكن للأمانة كان إستجابة القرية لهم ضعيفة للغاية ولكن بوقت ثورة 25يناير وإستطاعتهم إخطتاف الثورة وإعتلاء صهوة الحكم إ ستفحل أمرهم، بل وصل الأمر بهم أن جعلوا من أنفسهم أوصياء على الدين ومارسوا دور جماعة الأمر بالمعروف والنهى على المنكر، صاروا يطاردون المتبرجات ويقفون على روؤس الشوارع من تخرج دون غطاء وجه ونقاب تمنع وهكذا، بهذه الأيام الصعبه جاء ت إلى معلومات من بعض الخفراء أن هناك سيارات فارهة تأتى دوما بأوقات متآخرة من الليل تقف أمام بيوت معينة، هم من ينتمون لجماعة الإخوان، يسلمون حقائب لا ندرى ما بها

إلى أصحاب هذه البيوت، فيما بعد عرفنا أنها أموال وبعض الأسلحة ، الأموال عرفناها من ظهور أثارها، بيوتات على أحسن طراز وبنمط بنائى واحد، الدور الأرضي قاعة متسعة للقاءات تجمعهم، وضعتهم تحت أبصار رجالنا ومتابعتهم دون علمهم وإستمر الأ مر مقلقا، الكل أحس بأننا نعيش بنوع معين من الحبس وتقييد الحرية سوف أحكى لك بعض الامور قد تضحكك كثيرا، لفت نظرى أن كثيرا ممن ينتمى لهم كانوا يعانون من قسوة الحياة وجدت تغيرا كبيرا بنمط حياتهم الفضول دفعنى إلى نداء واحد منهم كان ممن يعملون عندي من قبل سألته عن الأمر، تعرف كان صريحا لحد أنه أدهشنى، قال لى يا حضرة العمدة أنا ومثلى.كثيرين رأينا أن إنتسابنا لهم سوف يكون مصلحة للحصول على أموال لا عد ولا حصر لها تغير حياتنا، أنا مثلا أعرف جيدا إن لهم فترة قصيرة وينتهى أمرهم، يعنى الأمر لى مجرد سبوبة إلى حين وأنا يا عمدة أكتفى بالسمع و

Edit with WPS Office

الطاعة وعمل بعض الأعمال البسيطة التى لا تحمل أذى لأحد وأعرف أن هذا حراااام ولكن مؤكد الله سوف يغفر لى إن الله غفور رحيم، هل عرفت مدى سطحية تفكيرهم، إ لى أن أكرمنا الله بثورة 30يونيو لن تتصور ما فعله الأهالى الكل خرج للشوارع، البيوت أفرغت ما بداخلها من بشر، الصيحات ترتفع مرحبة بالحرية ومن هنا هرب البعض منهم ومازالوا هاربين ببلاد خارجية عربية وأجنبية والبعض قبض عليه، وصودر ما بنوه وما يمتلكون من أموال وتم إستخدامه فى أكتر من عمل خير مراكز طبيه وجمعيات تنمية مجتمع وهكذا، وما رأيته قله تنتسب لهم ولكن دون أى نشاط إلا بين الحين والآخر ترويج الشائعات ولكنهم تحت السيطرة وللأمانة فإن أهل القرية لا يهتمون بأمرهم، هم معزولون بجزرهم المتباعدة عن شكل الحياة الطبيعية، التعامل معهم محدود مجرد علا قات شرائية لإستمرار الحياة لهم ولأسرهم ومن يشطح منهم يأخذ حقه من عقاب وهكذا.

سكت قليلا ثم إستكمل كل الهاربين خارج الوطن مؤكد سيظلون هكذا، المحزن أن بعضهم توفى الأب أو الأم ولم يستطيعوا حضور تشييع جنازتهم، الثمن غال، وهم لا يدركون، الأوراق الخضراء وعيش الحياة الرغده الزائفة من وجهه نظرى لأنها ثمن غربه خارجية وداخلية، الإنسان بدون أهل من رحمه وصلبه ووطن يعرفه كنبت عشوائى سهل إقتلاعه.

كانت تحليلاته وافية تدل على بصيرة ونظرة مستقبلية، أردف قائلا وبعد لحظة صمت سوف أذهب بك إلى بيت أحدهم غاب سنوات عن أهله حتى تم نسيانه وعاد، لن أ ستفيض سوف أجعلك تسمع منه مباشرة، فقط بعد أن ننتهى من جلستنا هذه، سكت، فأ يقظته من صمته بسؤال مفاجئ.

=ياعمدة عندى سؤال داخل رأسى من سنوات، فقط بلا زعل منك، لماذا يشيعون عنك أ نك زئر نساء إتفقنا بدون زعل وبصراحة.

قهقه مرات متتالية وبصوت عال حتى كاد أن يستلقى على ظهره.

=تصدقنى عندما أقول أنى كنت أنتظر هذا السؤال منك ومن زمن لمحته بعيناك، سوف أجيبك التبسط مع الناس وتبادل المناغشات والنكات معهم كثيرا ما يفهم على نحو خاطئ، أنا بطبعى أحب البساطة والمرح العفوي، لا أحمل هما لذا اعيش بسكينة نفسية وأنا دوما نهارا أو ليلا كنت أتجول بكل شوارع القرية حتى أكون على مقربه من أى حدث، وليلا تحديدا كنت كثير التجول للتأكد من أن الأمور لا خلل بها ومن بين جولاتى المرور على أماكن صهاريج المياة، النساء عندنا غالبا يخرجن لإحضار المياة بعد المغيب، كنت أتفقد هذه الاماكن تحديدا لثقتى من بعض التحرشات من بعض الشباب والرجال الطائشين لا أكثر، كنت أراقب من بعيد وكم من أمور رأيتها، كتمها وسوف أكتمها للنهاية داخلى حتى قبرى، صدقنى الكثير من أصحابها للأن ما إن يشاهدوننى أبصارهم تتجه ل لأرض دوما وكثيرا مايفرون من أماكن تواجدى، وأيضا النساء تعرف يا رشدى أكتر فترة مرت بنا، لن تصدق ولكننا عالجنا الأمر بحكمة حرصا على سمعة قريتنا وسمعة من إرتكبن الفعل، هذا الكلام أقوله لك أنت ولم أقله لأحد، فترة الهجرة الجماعية لأهل القرية مثلها مثل القرى كلها، إلى العراق والأردن وبعض بلدان الخليج، هذه الفترة فترة عصيبة، الرجال سافروا تاركين أسرهم باحثين عن المال والرفاهية، بفترة إستمرت لشهر أو شهرين، كنا كل صباح وتحديدا بلحظات ما قبل الفجر،الخفراء كانوا يجدون أجنه

Edit with WPS Office

ملقاة بأركان الشوارع أو ملقاه على أكوام السياخ المستخرج من الزرائب، كثيرا كان يحضرون لى صارخين أطالبهم بالصمت وعدم البوح بأى شيء، وللأمانة كانوا أكثر حرصا على شرف القرية، وكنا نعرف بعض النساء صاحبات هذه الجرائم، من عدم ظهورهن لأيام، ولكننا تكتمنا الأمر، ذهبت انا بهدوء لبعضهن نصحتهن وحذرتهن بشكل حاد، والحمد لله إنتهت على خير، ثمن الغربة دوما غال ومؤلم، يااااه يا رشدى الكثير و الكثير، الحمد لله، يقولون ما يقولون ضميرى شديد الارتياح، الناس حتى لو سرت على خيط رفيع جدا لن يرحموك يظلون باحثين وبإصرار عن ما يشوه صورتك ولا يعجبهم العجب، لا تهتم كن كما أنت وليس كما يريدك الآخرون، ضع الله نصب عينيك تكن برعايته.

أخذنا الصمت لبعض الوقت بادرته بالحديث.

=يا عمدة أتمنى معاونتك بأمر ما مهم أن نعيد وضع القدوة أمام أحفادنا وما بعد أ حفادنا، مثلما صنعوا لافته للعاملين بنشاط العسل ومشتقاته، وأيضا لافته الشهداء أتمنى أن نصنع هذا لرموز القرية، الأجيال التى بنت ومهدت التربة لما نراه الان، للأسف ياعمده التاريخ يكتب ببلادنا حسب هوى كاتبيه، هناك من يكتب ليطمس الكثير لصالح البعض ولتمجيد أشخاص بأعينهم، أكيد لكل إنسان سيئاته وحسناته، ولكن الأمانة تستدعى أن نكتب التاريخ كما هو لا تزييف ولا تغيير ولا تجريف، وبهدف واحد وضع الحقائق برمتها أمام كل الأجيال للاستفادة من الإيجابيات وتجنب السلبيات، لماذا كل مسؤول بأى موقع يكون هدفه من البداية هدم كل ما بناه وصنعه سابقة، هذا سبب أساسى بحالة التخبط الكبيرة التى يعيشها وطننا العربي، الغرب لديهم خطط متكاملة لا تتغير بتغير ا لأشخاص لمئات الاعوام الكل لديهم يكمل على بناء من سبقه، أتمنى أن نتمم هذا الأمر هل أنت معى بالفكرة.

=معك فقط اضيف لفكرتك شيئا، لابد لنا من الجلوس مع كبار القرية وبعض شبابها من أ صحاب العلم وبعض الشيوخ، والنقاش معهم وبهذا يتم الأمر بكل هدوء، لأن النقاش يـ عطيهم إنطباعا بإحترامنا للجميع.

وافقته تماما وتناقشنا حول أن تكون هذه الدعوة بأقرب وقت ممكن وبدوار العمدة أو حسبما يتم الإتفاق عليه، أخذنا الحديث وتشعب بالكثير من الموضوعات والمشاهدات وتذكر بعض المواقف التى ظلت عالقة بروؤسنا لوقت كبير، وفجأة إنتصب ناهضا، جذب يدى هيا لتسمع بنفسك من محمد مرعى حرفوش، هل تتذكر مرعى حرفوش مؤكد لا ينسى هذا الرجل الذى كان عمله وهمه التعليم، كان مدرسا، ولكنه لم يكن يكتفى بهذا، ما أن ينتهى من عمله يتناول لقيمات قليلة ثم يسرع إلى بيوت بعينها، يدرس لأبنائها دون مقابل، المقابل عنده كان تقدير الناس له وهو ما حصل عليه حتى آخر أيامه رحمه الله.

Edit with WPS Office

،،العائد،،

سرنا لمده تقارب الخمس دقائق، وقف بى أمام منزل صغير مازال على حاله، الطوب اللبن والسقف خشب يعلوه القش والحائط بلا طلاء وبه الكثير من التشققات، طرق الباب وإنتظرنا بعض الوقت تأتينا همهمات بصوت واهن للغاية يكاد لا يسمع يتساءل عن من بالباب.

أجابه العمدة.

=إفتح يامحمد أنا فتحى الهياتمى العمدة.

لحظات وفتح الباب عن رجل مقوس الظهر، نحيل فوق أى تصور، أخذ جانبا من الباب و أشار لنا بالدخول، أخذنا إلى حجرة مهلهلة كل الأشياء مبعثرة، أغطية أوانى طعام بها كنبتان إحدهما مفروشة يبدو أنها لنومه، والأخرى أشار لنا بالجلوس، جلسنا أخذت أتجول ببصرى بالحجرة، لايمكن أن تكون محل عيش، كيف يعيش بها وعلى هذه الحالة الدالة على شقاء وبؤس، أخذ يتفرس بوجوهنا يتنقل ببصره الملئ تساؤلات بين وجوهنا ، لم يدع العمدة الأمر يطول بادره بالقول.

=محمد هذا رشدى أيوب صالح أكيد تعرفه جاء ليتعرف بك ويسمعك.

لم يجب إكتفى بالإيماءة، وتمتم بصوت هامس يكاد يسمع بصعوبة، ولكن عيناه نطقت بـ الترحاب العمدة، واصل كلامه هو جاء يسمع منك كل شيء، وبأمر الله سوف أطلب منه طلب بعد إنتهاء حديثك هذا إن لم يدركه هو بفطنته المعروفة عنه، تكلم عن كل شيء.

إعتراه صمت كبير ةتغضنت قسماته بألم واضح، نزلت دموعه بغزارة، نهنهاته تزداد وإزداد تقوسا حتى كادت ركبتاه تلمس صدره، لا إراديا إندفعنا إليه ضممناه من الجانبين ، ربتنا عليه مسحنا دموعة بأكفنا، قلت.

= محمد إهدأ ما جئنا لنزيدك ألما، جئنا نخفف عنك وبأمر الله أعدك سوف نفعل ما يعيدك لمحمد إبن عم مرعى، الرجل الذى أفنى عمره من أجل العلم، وكل ما كان يهدف إ ليه هو أن يرى ثمار تعليمة، وواثق أنه قد قابل ربه وهو قرير الأعين ومرتاح الضمير لأن علمه أثمر وأينع، وكل حاملى العلم بالقرية يعرفون هذا جيدا ونحن هنا ردا لبعض أ فضالة على أنا شخصيا لم أنساه لحظة، ثق أننا معك، تكلم، الفضفضات تزيح كثيرا من الهم، هدأ بشكل سريع وبسمات صغيرة ترنو على شفتيه بين اللحظة واللحظة، تناول كوب ماء تجرعه كاملا وعلى مرة واحدة وإعتدل ، أظنه لم يفعل هذا من سنوات قامته إنتصبت أخذ ينظر إلينا باحثا عن المزيد من الأمان والإطمئنان، تكلم بصوت خفيت ولكنه واضح النبرات والكلمات.

= أولا أشكركم على مجيئكم وأشكر العمدة الذى لم يهملنى لحظة وواثق أنه كان يدفع أ هلنا من القرية أن يطمئنوا على بين الحين والآخر، للأمانة حاولوا كثيرا أن أعود لنفسى، ولكن مؤكد لكل أمر إذنا من الله وله توقيته، سوف أحكى لكم كل التفاصيل فقط إ عذرونى ليس لدى ما أقدمه لكم من واجب الضيافه.

Edit with WPS Office

= ضيافتنا أن تحكى كل وجعك والله كفيل بإزاحة همك هكذا عقبت.

= أنا خريج كلية الحقوق بتفوق وهذا ساعدنى على العمل بالشئون القانونية بديوان المحافظة، أقبلت على العمل بحماس وإخلاص مما لفت أنظار مسئولى المحافظة إلى، كانوا يحددونى بالإسم لكتابة المذكرات والردود القانونية على كل شيء يخص المحافظة، كنت موظفا مثل الكثيرين عاديا، مرتبى

أتقوت به على مقداره وأحمد الله عليه دوما، لا أغالى بمتطلباتى والأيام تمر كما أرادها الله سعيدا، ولكن لفت نظرى زميل أعرف أنه من قرية مجاورة لنا ومن أسرة بسيطة جدا جدا، نفس وضعى الوظيفى، أراه كل يوم ياتى بملابس تتغير كل يوم وكل شهر أراه أتيا بسيارة مختلفة، وطعامة الصباحى مختلف عنا نحن أنصار الفول والطعمية، أما هو تجد أحدا يأتيه بموعد معين حاملا أكياس طعام ، للحقيقة الفضول أكلنى لأيام، خشيت أن أسأله ولكن للصبر حدود، ذات يوم إندفعت إليه، جلست مجاورا له سالته مباشرة مبتعدا عن أن تأمرنى نفسي بالتراجع.

=أستاذ باهر ممكن سؤال .

= تفضل.

=آسف إن كان سؤالى ربما يكون بأمور لا حق لى بها ولكن أنا أعرفك وأنت تعرفنى ونعرف تماما ظروف أسرنا ومعيشتنا، وجدته يرفع يده طالبنا منى عدم الإسترسال، نهضت لكى أنصرف أجلسنى ثانية، قال كنت أنتظر هذا التساؤل منك أنت تحديدا لأنك كما قلت نعرف بعض جيدا وأيضا ألمحه بعيون الكل، سوف أجيبك بوضوح فقط أسمح لى أعزمك على فنجان قهوة، أومأت له موافقا.

إستمر باهر بالحديث.

=أستاذ محمد ممكن نأجل الحديث لما بعد العمل وتسمح أعزمك على الغداء ونتكلم على راحتنا، للحقيقة حاولت التملص من دعوته ولكن الفضول القابع داخلى إنتصر، وافقته مساحات الفضول تزداد بمرور ساعات العمل التى رجوتها داخلى أن تسرع بـ المرور.

إنتهى العمل، خرجنا سويا دعانى للركوب معه بسيارته، سيارة من طراز حديث، ركبت و التساؤل يزداد من أين لك يا باهر، أقل من عشر دقائق وجدته يقف أمام مطعم حاتى، أشهر حاتى بالمدينة أسمع عنه وربما مررت بجواره مرات وكنت مؤكد أكتفى بشم رائحة الشواء، وللأمانة كانت تشبعنى وبالوقت نفسه تزيدينى جوعا، ولا أدرى سببا لهذا التناقض، دخلنا يسبقنا صاحب المكان وعماله الكل أسرع بالترحيب به على نحو يشى بأ نه يرتاد المكان كثيرا ويبدو أنهم يعرفون مطلبه أتى الطعام بلا تحديد منه، أقول لكم الحق أخذت وقتا أتجول بين الأطباق المتراصة أمامى بعيونى، بعضها أعرفه مثل العيش والسلطات والبعض الآخر أسمع عنه، حفزنى على الأكل كل يا إبن الرجل البركة الذى كان أوكسجينه العلم وأظنه عندما غادر الحياة مات محتضنا العلم أباك كان صيته بكل القرى رجل أعطى بلا مقابل طالبا مجبة الله والبشر ومؤكد نالها كاملة الله يرحمه.

Edit with WPS Office

أكلت كما لم أكل من قبل وكأننى كنت أختزن الطعام لأيام قادمة مؤكد لا تحصى، مثل هذا الطعام ليس لمثلى وإن أتى يكون مصادفة لن تتكرر كثيرا، إنتهينا من الطعام أتت أطباق من الفواكه وأكواب العصائر وشيشة عرفت فيما بعد إنها مخصصة له وحده، ط ال الوقت دون أن يفتح الحديث، إنتهى طقسه اليومى، أخذنى الى جانب مخصص للجلوس بعيدا عن طاولات الطعام، جلسنا إنتابه الصمت للحظات ثم أكمل ما سبق من حديث تناولناه بعملنا

= محمد وتسمح لى مناداتك دون ألقاب، الدنيا أمام أمثالنا طريقان طريق من يسير بمحاذاته دوما وبكامل الرضى والخضوع ولإرادته والتفرج على متغيرات الحياة والسير على منهاج الوراثة التى تتنتقل بسهولة لمن يريدها، أعرف أن هذا منهاج يوافق الدين، ولكن الله قال لابد من السعى من أجل عيش أوفر وبه نوع من الرفاهية هذا طريق أنت أحد سالكيه، وطريق يتطلب مؤكد به خروجا على النص وعلى قيم وأعراف ولكنه موجود، طريق ان تكون شلقباظا، تتلون وتتبدل حسب ما يناسب إحتياجاتك ورغبة من يمنحك الفرصة ومن أجل أن تنتقل من طبقة عشتها طويلا وتنسى نظرتك لزملاء الدراسة بمراحلها وأنت تراهم يتناولون طعاما مختلفا، يلبسون ملابس مختلفة تتبدل كل يوم، تأتى بهم سيارات يفتح أبوابها سائقون، أن تكتفى أنت برغيف أو نصف رغيف أ و ربع حسب المتاح وبداخله قطعة جبن حولها طماطم من بقايا طماطم تظل راكده لدى البائع حتى يشتريها أمثالنا، أنا كنت ممن أراد الطريق التانى، أن أكون شلقباظا أوسميه أ نت بهلونا بحثت عن مسرح أؤدى به هذا الدور، أحد الزملاء ممن يعملون بموقع وظيفى متميز، موقع يفتح الأبواب على مصراعيها، أوجد لى عملا بمعرض سيارات، ليس كبيرا شئون قانونية أتابع متحصلات الأقساط والقضايا التى تنتج عن عدم السداد والتعامل مع البنوك والشركات المالية، ولكن لم يكن هذا طموحى، قلت لنفسى لتكن محطة لحين الإنتقال من مسرح صغير إلى مسرح أكبر،أسلوبى قربنى من الكثيرين، من عملى تعرفت على رجال أعمال ومسئولين أتاحوا لى فرص الإستثمار، تعلمت.منهم كيف أربح دون مجهود، أن أكون وسيطا بين هذا وذاك والمقابل من الطرفين، إنتفخت جيوبى وإ نتفخت ذاتى وصرت كما ترانى، ومازلت أمارس دور البهلوان والشلقباظ بشكل إحترافى يصفق له كل من تعاملت ، هذه قصتى أنا إخترت طرقا أعرف أنه به الكثير من الشبهات ولكن بالمقابل حققت أحلام لى كانت دفينة بداخلى منذ الصغر، وأنا أدعوك ولك وقت للتفكير أن يكون لك مصادر حياتية أخرى، ولك أن تمارسها بأى طريق تختاره أنت، أنا أ وضحت ولك الإختيار، بالحقيقة أنا ضعفت ولكنى أخفيت ضعفى أمامه، طلبت منه مهلة للتفكير وسوف أعطيه الرد شريطة أن لا يضغط على لأنى أرغب بقرار نابع منى وبإ رادتى متحملا لتبعاته، وافقنى خرجنا

أصر على ان يقوم بتوصيلى لقريتى وقد كان، أول مرة كنت أنزل قريتى بسيارة خاصة أثارت دهشة كل من شاهدنى وأولهم إخوتى الذين لمحت الدهشة بعيونهم وبها ألف سؤال ولكنى تجاهلت نظراتهم وألقيت لهم بكلمة.

=هذا زميلى بالعمل.

لم أذهب للعمل باليوم التالى لأنى أمضيت ليلة ساهدة، جفانى النوم، أمسك التفكير بكل تلابيبى، بين موافقة أن أنطلق وأغير من حياتى وأغير من أرديتى وقناعاتى، أم أرفض وأظل بالطريق الأول للحقيقة كانت صورة أبى أمامى وأمام حيرتى، ولكن للأسف تغلبت المغريات على كل شيء، باليوم التالى ذهبت للعمل،إنشغلت بالعمل أو بالحقيقة إ

Edit with WPS Office

دعيت إنشغالى، باهر جاء متأخرا كالعادة فلا أحد يستطيع أن يحاسبه، له مطلق الحرية فيما بعد عرفت انه كمم الأفواه بهداياه والحفلات التى يدعوهم لها، عندما حضر إندفع مباشرة الى.

=مؤكد غبت أمس بسبب الصراع الذى بداخلك وحيرتك أمام الطريقين، أعرف أن هذا ما كان بك ولكن أقول لك شيء لما لا تجرب لبعض الوقت وإن لم تعجبك التجربة تراجع ويا دار لم يدخلك شر وربنا لا يأتينا بشر، اليوم سوف تصاحبنى إلى أحد أهم كبار رجال الأعمال على مستوى الدولة، أكبر محلات السوبر ماركت، جهز نفسك للسفر معى بعد العمل مباشرة لأعرفك به، أنا لمحت له عنك وهو رحب على بركة الله، تركنى وخرج وأنا حائر، مايحدث بهذا التسارع يقلقنى ولكنى تمتمت لتكن مشيئة الله.

إنتهى العمل وإصطحبنى إلى القاهرة، طوال الطريق صامت لا يقطع صمته إلا تليفونات يرد عليها بإقتضاب تام، وصلنا إلى مصر الجديدة توقف أمام شركة كبرى تحمل إسم السعدنى صاحب المحلات الشهيرة، المبنى زجاجى مكون من أدوار عديدة، أفهمنى أنه مخصص لادارة المحلات والشركات ويوجد دوران محل إقامة خاصة جدا له، وضغط على كلمة خاصة، كان لدى مدير مكتب السعدنى باشا علما ما إن شاهدنا إلا وقال.

=الباشا ينتظركم.

دخلنا على الفور، مكتب كبير كل ألوان الرفاهية به، وراءه رجل قوى البنية له لحية متوسطة الطويل، مهذبه ووجه متورد جدا ينم عن مدى العز والسلطة، نهض مرحبا بنا بشكل كبير، أمر لنا بمشروب ساخن، بدأ باهر الحديث

= ياباشا أخى محمد مرعى الذى حدثتك عنه وعن أمانته وإخلاصة، أتمنى ان أجد له عملا يليق به لديك، حسب إحتياجاتك، الوقت بدوام كامل أو بعض الوقت كما تحب

= أنا أرحب به وكل ما ياتى منك يا باهر هو رجلنا على الفور أنا أحتاجة طول الوقت ومن أجل هذا سوف أسعى من أجل الحصول له على أجازة بدون مرتب، وحينما ننتهى من الإجراءات يتسلم عمله وسوف ندبر له مسكنا له على الرحب والسعه.

في غضون أيام كان الباشا قد أنهى إجراءات الأجازة، عيننى بالشئون القانونية ولكنه أ ضاف الى القيام بعمليات الإيداع بحساباته، مع الأيام إكتسبت ثقته، صاحبته حين عقدة لأى صفقات، صرت ملازما له طول الوقت ، انا من يقرأ مسودات العقود قبل صياغتها النهائية، بدأ يأخذ مشورتى ببعض الأمور، مساحة الثقة تزداد مع الأيام، بدأ فضفضتة لى ببعض شئونه الخاصة، صاحبته بجلساته مع شيوخ وأئمة كنت أرى صورهم بالصحف أو بالتلفاز، حضرت حلقات ذكر وحضرة وإنشاد دينى، جلسات إستحوذت على، إنغمست بها بشكل غير معقول، كنت أطلب منه أن يذهب بى إليها، ربما كانت حنينا منى لبعض حلقات الذكر هنا بقريتنا أو لنقل أنها محاولة الإيهام لى أنى مازلت بالطريق الأول، إلى جانب هذا أخذنى إلى حفلات جعلتنى أتشتت وأتوه، حفلات على النقيض تماما من حلقات الدين والذكر، حفلات على عتباتها وجدت كل من أعرفه وقورا وورعا كما يبدو أ مام الجميع، رأيتهم عرايا من كل شيء أراهم مجانين، مهاويس يرقصون، يلبسون الطراطير يشربون ويسكراون ويراقصون فنانات شهيرات ومبتدئات كل ماتتخيلونه رأ يته، ودهشت كنت بالبدايات أجلس بركن قصى أتأمل وأشاهد حالات الشيزوفرانيا

Edit with WPS Office

متعددة الأشكال، إنتفخت جيوبى وإنتفخت حياتى، أصبحت شخصا آخر، كنت أجئ إ الى قريتنا كل أسبوعان، ثم بعد فترة كل شهرين، صارت مع الأيام كل سنه، أرمى لإ خوتى بعض المال لأنال أو للحقيقة لأتسول ودهم وترحابهم، مع الأيام صار يكلفنى بإ جراء الصفقات ولثقته بى كان يقوم بالتوقيع عليها دون مراجعات منه، وبعض الأيام يعطينى حقيبة أموال أوشيكات للذهاب بها إلى جمعيات بعينها أو لأشخاص ذوى حيثية ومسئولية، لم أسأل يوما عن أى شيء، وهذا ما جعله يزداد ثقة بى وبدا يفتح صندوقه الأسود المخزون به الكثير والكثير من حياته الخاصة، هو متزوج من ثلاث زوجات يتنقل بينهن فهو مؤمن تماما بالعدالة الزوجية، وكانت لدية العديد من النزوات، الدوران المخصصإن له كانتا مخصصين لساعات المتعة الشرعية من وجهه نظره، عقد زواج مثله مثل عقد الإيجار أو حق الإنتفاع لمدة محددة بين الطرفين مسبقا تبدأ من يوم أو أسبوع وعلى الأكثر شهر إن راقت له الأنثى، يدفع المقابل بسخاء بعدها يعود لإ رتداء ثياب التقوى والورع وكأن شيئا لم يكن، كان كل إهتمامى بعملى وعوائدة المادية والمعنوية، وللحقيقة كان يغدق على بسخاء غير متخيل، وطال غيابى عن القرية وإخوتى وعن قبر أبي وأمى، كنت معتادا على زيارتهم كل أسبوع ، تباعدت المسافات وتركت نفسى لمبرر أن العمل لا يمنحنى هذه الفرصة، إكتفيت بإرسال المال لإخوتى حسبما تسنح ظروف الإرسال، ظللت على هذا الحال كثيرا وطويلا متخيلا

أن المال يبقى على صلة الرحم والود وعدم النسيان، مؤكد كنت خاطئا، إستمر الحال على ماهو عليه، سنوات أصاحبه بجولاته بالمدن لمتابعة أعمالة، وعقد الصفقات، إبرام عقود وتفاوض بشأن توكيلات، إلى منتصف عام الفين وعشرة، إنقلب الحال رأسا على عقب، فوجئت به يطلب منى مساعدته بتصفية كل أعماله، سألته لماذا أجاب باقتضاب هناك بالأفق مؤشرات لأحداث سوف تقلب الكثير من الأمور رأسا على عقب ولم يزد ولم افهم ما يعنيه ولم أحاول السؤال ولكنى إستجبت، لم ننم ليلا أو نهارا، كنا نتفاوض للخروج بأقل الخسائر وللأمانة أرفع له القبعة على مهارته بالتفاوض، فلم يخسر مطلقا بل كسب وكسب الكثير، حتى العلامة التجارية المسجلة بإسمه باعها بثمن باهظ، كل مايتم بيعه، يحوله لحساب له بلندن، خلال شهور كان قد أنهى كل شيء وحول أرصدته بالكامل، جاءنى يوما وقال إنه يطلب منى مصاحبته للندن، تعجبت أنا لم آخرج مرة ولم أفكر أن أتجاوز حدود وطنى، ولكنى تجاوبت معه وأعلنت موافقتى، بعت شقتى وسيارتى وحولت أرصدتى إلى حساب تم فتحه لى بأحد بنوك لندن بعلاقاته وعبر الخصائص الإلكترونية، إلا قليلا من المال أرسلته لإخوتى تحسبا لغياب لا يعرف إلا الله مداه ،سافرنا، وجدت إستقبالا حافلا له من بعض رجالات من هيئتهم تعرف أنهم أ صحاب سلطة وثروة، أقمنا بإحدى الفيلات بإحدى ضواحى لندن، إسترخينا يومين لم نخرج، لا يقطع صمتنا إلا بعض الإتصالات، يجيب على البعض همسا لا يسمع والخارج منه ردود روتينية، السلام والسؤال عن الأحوال والإحتياجات، ثم دعينا لعشاء من أ حدهم، ذهبنا من السيارات الفارهة تعلم أن العشاء لرجالات ذووى ثقل مجتمعى، بالفعل قوبلنا بترحاب وحفاوة فوق التصور، ولكنه أعطانى إنطباعا بأن هناك الكثير من الأمور خاصة بالسعودي باشا أجهلها تماما، العشاء والمشروبات بقدر لا تتخيله واللافت للنظر أ ن غالبية المتواجدين من جنسيات عديدو عربية وأجنبية وغالبيتهم من أصحاب اللحى، التى تختلف بإختلاف طريقة تهذيبها، بعد العشاء إنتحى الكثير منهم بزوايا يتبادلون الأ حاديث، يتخللها ضحكات وقهقهات عالية، لم يطل الأمر طويلا حتى دعى السعدنى إلى غرفه جانبية، تراجعت أنا فلم توجه لى دعوة ولكنه أمسك يدى وجذبنى للذهاب معه، حجرة شديدة الإتساع، مائدة يلتف حولها أكثر من عشرين كرسى، يتصدرها رجل يرتدى

Edit with WPS Office

زيا أنيقا للغاية فوقه عباءة مطرزة على أحد أطرافها حرفان بالانجليزية E.Mعلمت فيما بعد أنه إبراهيم منير المسئول الأول لتنظيم الأخوان الدولى والمسئول عن تدبير التمويلات دائمة التدفق للجماعة وإعداد خطط التحرك لكل شئ يخص التنظيم، نظر إلي نظرة تساؤل أجابه السعدني على الفور هذا رجلى الأول محمد مرعى حرفوش أهل ثقة، لم يكمل قاطعه

=لدينا ملف كامل عنه وعلمنا أنه كتوم لا يفشى أى أمر يراه، وأنه ساعدك بالكثير، ثم وجه حديثه لى أتمنى أن تظل على إستحقاقك لثقتنا، لأن هناك الكثير من الأمور تنتظرك، إما أن تعلو وإما تسحق وتختفى، كان تهديدا مغلفا بالترغيب، الكلمات الأخيرة قالها بنبرة كلها تحذير شديد اللّهجة، إنتابتنى لحظتها رعشة شديدة ولكن كعادتى تمالكت نفسي وهمست، لنرى ما القادم ثم لنختار بين الخيارين اللذان قذفهما إلى صدرى، أخذت مكانا بعيدا أشاروا لى بالذهاب اليه ، تناولت الجلسة كيفية التعامل مع قادم الايام قال نصا لأنى اذكر كلماته

=مصر خلال شهور سوف تنتفض وتتغير من كل الزوايا، لدينا تقارير بقرب حراك شعبى رفضا لسياسات، رفضا لفكره التوريث، ما سوف يحدث نتاج عمل كبير على مدار عقود من خلال تنظيمنا وبتعاون مع دول لها مصالح بالمنطقة، وما علينا بالمرحلة الراهنة هو تأجيج النيران حتى تصل لذرورتها،

ثم عرج إلى التمويلات من خلال الدول ومن خلال منظمات تدعو إلى الحرية وحقوق الانسان من وجهه نظرهم، ومن مشروعات كبرى لرجال أعمال بكل شبر من مصر، التنظيم هو من مولها لإستخدامها وقت الحاجة للضغط على الحكومات والشعوب، و السياسات الاقتصادية، تم الحديث أيضا عن زيادة جرعة الشائعات التى تساعد على زعزعة الثقة بالقائمين على شئون الدولة وأفراد الشعب ومؤكد تساعد إلى زيادة مساحات التذمر والغضب، إستغلالا جيدا لحالة الفقر لدى شريحة كبيرة من المواطنين ومعاناتهم من تصاعد موجات الغلاء بالأسعار، موضوعات عديدة تم تناولها تقول أن لديهم عيونا تتابع وتشاهد وتسمع ما يتداول بالشارع، بل وبالبيوت، للحقيقة إرتدانى الخوف بكل زواياه، شعرت كأنى أخذت طريقى إلى مأزق بل قذف بى من أعلى قمة جبل شديد الإرتفاع إلى سهل شديد الإنخفاض والإنحدار، ولكن لم تكن لدى فرصة لإبداء عدم رغبتى بالتعاون معهم أو أكون واحدا منهم، السعدنى باشا مثله مثل الحضور تلاميذ بحضرة الناظر، بإشارة يتكلم هذا وبنظرة ينهض آخر حاملا ملفا يضعه أمامه ويعود لمكان جلوسه بظهرة فعلا تلاميذ نابهون فى حضرته.

إنتهت الجلسة ونهض الكل منصرفا مؤديا طقسا يبدو أنهم إعتادوا عليه، كل منهم يذهب اليه ويقبل كتفيه، أشار إلى السعدنى بالبقاء وبطبيعة الحال أنا أيضا، طلب من أحدهم بإغلاق الباب وعدم دخول أحد إلا باذنه، تداول حديثا مع السعدنى حول بعض الأمور الاقتصادية بمصر، من حديثه أيقنت انه على علم تام بكل التفاصيل يوما بيوم، وأنهم فعليا لهم عيونا بكل شيء بمصر، بعد إنتهائه، وجه حديثه لى.

=محمد، خلال سنوات قضيتها مع الحاج السعدنى وبمتابعتك من أكثر من مصدر أثبت أنك رجل يؤتمن ويوثق به، لست كثير التساؤلات رغم أنها تساؤلات بداخلك، لا تبدى نقاشات فيما لا يعنيك وأن إختيارك من قبل رجلنا الذى رشحك لنا كان صائبا، وأنت هنا لمرحلة أخرى مغايرة ومرحلة إن أجدتها تجعلك بالصف الاول، وأنا من خلال هذه

Edit with WPS Office

الجلسة وبخبرة السنوات تحققت من هذا، لن نحرمك أولا من الإستمتاع بلندن ليومين، وبعدها الى المهمة الجديدة، ضغط أحد الأزرار، دخل أحدهم أمره بإدخال وليم، ثم سأل ى هل تجيد الانجليزية،أجبته إلى حد جيدعقب، جميل طرق الباب ودخل عملاق فارع القامة، مفتول العضلات، لم أكن أتخيل أن أراه على أرض الواقع لأننى رأيته بأفلام الكاوبوى ورعاة البقر،عرفنا ببعض كان هو من سيتولى تدريبى كما طلب منه

=تدربه على كل شيء وضع خرائط دراسات لميادين قتالية، تصنيع متفجرات وإعداد تقارير إعلامية، تحليل معلومات تدريبات شاملة ، وأردف خاتما حديثه.

=هو معك بعد يومين من الآن، تسافران إلى أماكن التدريب، وتعطينى تقريرا عنه خلال شهر على الأكثر وأشار له بالإنصراف من ناحيتى كنت أستمع لسيل التعليمات مذهولا أضمرت بنفسى أن لا أعترض ثم لكل أمر وقته ولأرى ما تخبئة الأيام، عند إنصراف إ براهيم منير تشعر أنه رئيس دولة، صفان من مفتولى العضلات يمر بينهم وعلى الباب الخارجى يسبقه عدد منهم والإلتفاف حول السيارة من كل جوانبها وتفتح أبوابها له، يسرع بالركوب بعدها يقفز إثنان من العمالقة، إلى السيارة التى تسير يعقبها عدد كبير من السيارات، تختفى عن الأنظار بسرعة البرق، أمضيت اليومان بصحبة السعودى، مابين حفلات ومراقص والتجول بالمدينة، أبهرنى كل شيء، النظام الذى يحترم من الجميع، الكبير قبل الصغير، فى صباح اليوم الثالث، أخبرونى أن هناك سيارة بإنتظارى، أ سرعت وجدت وليم الذى عرفت أنه أمريكى وكان من بين رجال المارينز سابقا، تبادلنا التحايا، سارت بنا السيارة قرابة الساعتين، وجدت نفسي بمطار صغير بإحدى الضواحى ، ركبنا، وأنا أكتم أى تساؤل قرابة الثلاث ساعات وهبطت بنا، وسط صحراء مترامية الأ طراف منتشر بها مئات الخيام وبعض من المنازل الخشبية، للمرة الأولى سألته.

=أين نحن.

= نجن بالحدود السورية التركية وأسرع بالصمت بما يعنى أن لا تسأل بعد هذا، لم يهملنى سوى ساعتين للراحة ، وبدأ معى التدريبات ، تدريبات بدنية شاقة أشعرتنى كأننى عدت مجندا من جديد بل كانت أشد قسوة وضراوة، ثم محاضرات فكرية ونفسية عن كيفية إعداد التقارير ودراستها وتحليلها ، وكيفية فك الشفرات ورسم الخرائط والدراسات الميدانية لجبهات قتال محتمل ومعارك وعمليات قتالية قد تحدث ، شهران على هذا المنوال وأنا بحالة تامة من الإنهاك البدنى والفكرى ، لم أحظ سوى بأربع ساعات للنوم باليوم الواحد، إنتهى التدريب وقد أصبحت جسديا شيئا آخر متين البنيان ملم بتفصيلات كثيرة لم أكن متوقعا منى معرفتها يوما ما وبشكل جيد.

كلفنى أن أكون المسئول الإعلامى لإعداد تقارير بالصوت والصورة بها الكثير من الزيف والقليل من الحقائق والتى تهدف للبلبة وإثارة الشائعات مع ترويع الشعوب، إختراق لعادات ومقدرات المجتمعات ترسل الى قيادات التنظيم وإلى القتوات الفضائية التابعة

Edit with WPS Office

لهم والتى ترحب دوما بهم ضمانا للحصول على أموال تضخ بلا حساب ومشاهدات بنسب عالية ، نسيت تماما ما تربيت عليه وربما كان هذا نوعا من الفضول لمعرفة نهاية اللعبة، علمت أن اللعبة لعبة دول يجمعها فكر الهيمنة والسيطرة على الشعوب وثراوتها رغم وجود صراعات وخلافات سياسية كبيرة بين هذه الدول المتحالفة ولكنهم إتفقوا على كعكعة كبيرة يقتسمونها فيما بيهم، وأن التنظيم الإخوانى ما هو إلا عروس ماريونيت يحركون خيوطها كما يريدون ووقتما يرغبون مقابل ضخ مليارات الدولارات تذهب لمجموعة رجالات يرتدون ثياب الدين ويتشدقون بأنهم دعاة الدعوة للعودة إلى الدين كما أنزل وهم بالحقيقة أصحاب شهوات وغرائز وجوع لملذات المال والسلطة والأ ضواء، أقول عن قناعة أنهم جماعة من السذج والبلهاء دخلوا حظائر الإستخبارات الدولية مسلوبى الإرادة معصوبى الأعين ظنا منهم أنهم أذكياء ولكنهم بالحقيقة شديدو الغباء، المهم إنخرطت معهم ولم أتساءل ولو مرة رغم رؤيتى للكثير من الأمور التى تثير الدهشة ولا تليق بما يدعونة من تدين أو بأى مسلم ، إغتصاب فتيات يخطفونهم من القرى المتاخمة لأماكن تواجدهم ، وتبادل الزوجات بغطاء يسمونه الشرع والدين ، يطلقون نسائهن وبعد العدة وربما قبلها تتزوج من آخر منهم لفترة ثم يطلقها لتعود للأ ول أو لآخر والكثير من مثل هذه الأمور،إلى أن جاء يوم تم إستدعائى من وليم ذهبت اليه وجدته جالسا يتوسط عددا من البعض من جنسيات عربية وأجنبية، أخبرنى دون أى تمهيد .

=سوف نعبر إلى داخل سوريا لتنفيذ بعض العمليات القتتالية للإستحواذ على بعض المناطق المتاخمة للحدود التركية وسوف أشارك معهم به وهنا صرخت بهم ولا أدرى من أين واتتنى هذه الجراءة.

=لا لا وألف لا، أنا كلفت بأعمال محددة ليس من بينها القتال ولن أشارك مطلقا بأى عمل قتالى.

الذهول أصابهم ، إحتدوا على بشكل حاد وبدأوا تفاوضا معى بالترغيب قليلا والتهديد كثيرا لم أتراجع عن قرارى، لم يعد أمامهم إلا الإتصال بالأكبر سلطة ومسئولية ، لم أسمع الرد ولكن الرد جاء على الفور ركلات وصفعات وضربات متتالية بمؤخرات الرشاشات ، تحولت ببضع دقائق إلى كرة من اللحم مغموسة ومنبعجة بالدماء ولأن لله حكمته أغمى على وتوقف أنفاسى جتى خيل إليهم أنى إنتهيت زادوا من ركلاتهم نوعا من تنفيث الغل والحقد ، حملنى بعضهم وساروا بى مسافة ثم ألقونى، غبت عن الوعى لا أعرب لأى وقت إستمر هذا، أفقت على لسعات الشمس ، أخذت أتلو القران ، فجأة توقفت بجوارى سيارة يقودها رجلا بحدود الخمسين من العمر، نزل مهرولا ، رفع رأسى ووضعه على ذراعة وتحقق من أنى حى، لم يسألنى بشئ حملنى إلى سيارته وأسرع بى إلى أقرب مستشفى كانت على مسافة سير لأكتر من ساعة، دخل بى إلى المستشفى، أسرع الكل لفحصى أدخلونى غرفة العناية المركزة، ذهبت بغيبوبة طويلة لأيام حسبما قالوا، أخبرونى أن من أنقذنى يأتى كل يوم يطمئن على وقد ترك مبلغا من المال لتكاليف العلا ج وترك بطاقته الخاصة، عرفت إسمه حيدر الصبان ، جاء وقد إستردیت وعى وأخذ يروى ما حدث، جذبت يده وقبلتها إمتنانا وعرفانا، مال على وقبلنى وقال.

=نحن إخوة وماحدث كان إستجابة لنداء الله أى والله أنا ما تعودت على السير بهذا الطريق على الإطلاق ولكنها إرادة الله نشكر الله على هذا وعلى سلامتك، لا تهتم بشئ صحتك بالدنيا، وظل يزورنى كل يوم حتى شعرت بقدرتى على الحركة طلبت منه

Edit with WPS Office

المغادرة أصر إصرارا كبيرا على مصاحبتى إلى منزله حاولت الرفض كثيرا ولم أفلح، أخذنى الى بيت محاط بحديقة رائعة

وبعض نافورات المياة موزعة على أركانها، مكثت لديه أسبوعا كاملا محاط بكل سبل الراحة،ألححت عليه بالمغادرة سألنى.

=أخى محمد ماذا تريد منى أن أفعله لك.

بلا تفكير طلبت منه أن يساعدنى للوصول للقنصلية المصرية، رد سوف أدبر الأمر، الله معنا وقد كان، دخلت مبنى القنصلية المصرية بدمشق ، قابلت القنصل العام وحكيت له كل شيء تفصليا، رجوته الإسراع بمغادرتى، عمل أكثر من إتصال، ولما جاءة الرد بـ التنفيذ، ساعدونى بالصعود للطائرة المغادرة إلى الأردن ومن الأردن وبمصاحبة أحد رجال المخابرات المصرية عدت إلى مقر المخابرات، سمعوا منى أكثر من مرة وإستجوابات من أكثر من مسئول، بأساليبهم توصلوا لصدقى، ألقوا القبض على باهر الذى دلهم على شبكة واسعة الإنتشار داخل الكثير من المؤسسات كان هو المسئول الأ ول عن تجنيدهم، طالبونى بعدم الحديث مع أى أحد وعالجونى حتى تمام الشفاء ثم أ تت بى سيارة ليلا، وتركتنى أمام مشارف القرية مع التأكيد أننى تحت أعينهم حرصا على حياتى، طرقت باب إخوتى للأسف قوبلت بفتور بل تستطيع القول أنى طردت، أ خذت طريقى بعدها إلى قبر أبى وأمى، ألقيت نفسي على المقبرتين ولطمت على فعلى، صرخت داعيا لعفوهم، بعدها ما كان على الإ الذهاب للعمدة، وشرحت له بعض الأمور، قام بإستئجار هذا البيت، ويتابع إحتياجاتى دون ملل، ما يؤلمنى أن إخوتى هجرونى ربما عرفوا قصتى وخافوا أن أسبب لهم نوعا من الإيذاء ومؤكدا لجفاف بئر التمويل، لغ ة المال طغت على صلات الدم واللحم، ولكنى مازلت أعانى آثار ما نالنى من ضرب للآن، هذا أنا وبكى بكاءا حارا ثم قال.

=بكائى ليس على حالى وألمى، بكائى ندما على إنسلاخى عن أهلى ودينى وأخلاقى، أ موالى صادروها هم كان لديهم الباسورد الخاص بحساباتى، لم يتركوا لى شيئا عدت عاريا من كل شيء، وربما للحقيقة أنا رهن التهديد الدائم بإنهاء حياتى، لقد رقصت على السلم فلم أجن شيء.

إنتفضت قائلا ياعمدة إنتظرنى سوف أعود.

خرجت سريعا دون إنتظار لأى تساؤلات، عدت بسيارتى أخذته ومعى العمدة إلى المركز، أدخلته مستشفى كبير، تركت مبلغ مالى تحت الحساب، وعدت وأنا فعلا قلق مما هو قادم له وبذات الوقت سعيدا لعودته لجذوره ولطين بلده، بعد شفاؤه ألحقته بالشئون بشركاتى ووفرت له سكن وسارت به الحياة مسيرها المعتاد.

Edit with WPS Office

،،آخرى،،

أخذنى التفكير بدرجة شديدة حول المتغيرات الدينية التى طرأت على قريتى، خاصة بعدما سمعت حكاية محمد حرفوش ، مؤكد أن التطرف بأى اتجاة من إتجاهات الحياة يصنع فجوات وشروخا عميقة للغاية، بالتحديد التطرف الدينى هو قمة المعضلات، نحن مع التمسك بكتاب الله وسنه رسوله صلى الله علية وسلم، وفهم صحيح الدين، ونؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع، ونؤمن أن الوطن لابد وأن يكون عائشا بنا وفينا، لذا أ رسلت إلى إبن عمى شاكر وصديقى فوزى البحيرى والدكتور أحمد عباده صديق قديم لم أره من سنوات بعيدة ولكنى أعرف عنه أنه عالم بالفقة وشئون الاسلام بوسيطية تامة وله مؤلفاته وله لقاءاته المتلفزة وكتاباته الصحفية بصحف مصرية وعربية، كنت أ تابعه دوما، وأفتخر أنه من بلدتى، لم يطل الامر كثيرا أتوا، أجلستهم أخذ مني د.أحمد عباده، وقتا غير قليل للترحاب به والسؤال عن أحواله ومستجداته الخاصة، تناولنا الشا ي ثم وجهت سؤالي إله، بإعتباره قريبا من الحدث.

=أحمد ما رؤيتك للحالة الدينية بالبلد، كيف تراها وترى تحولاتها وما أسبابها وكيف نعيدها للمسار الحقيقى، أخذه الصمت لحين وأخذ يفرك كفية ببعضهما هى عاده ملا زمة له من بدايات عمره تكلم.

= الحقيقة أن هذا سؤالك هذا شائك للغاية ولكن لنأخذ الخيط من أوله، مؤكد أنكم جميعا تعرفون ان بلدتنا تحديدا من زمن بعيد تهتم بالتعليم الديني وبوجود عدد كبير للغاية من الكتاتيب التى تقوم على تحفيظ القرآن الكريم، وبعض أمور التعليم، هذا أمر كنا جميعا نرحب به وأيضا كانت بداياتنا أيضا هكذا، ولكن من حوالى عشرين عاما أو أ كثر زاد عدد الكتاتيب بشكل كبير ورغم ذلك لم يلفت هذا أى نظر، إضافة إلى مستجد جديد وهو إنشاء عدد من الحضانات لتعليم القراءة والكتابة، إضافة إلى حفظ القرآن الكريم، بالبداية لم نرى هذا إلا إضافة إلى قريتنا وزيادة مساحات الإهتمام بأطفالنا، لكن بعد فترة إتضح أن أصحاب الحضانات وما زاد من كتاتيب هى لأشخاص من خارج القرية، وهنا كان تساؤل البعض وأنا منهم، لماذا هذا ولماذا إختاروا قريتنا وأجزم أن هناك الكثير من القرى بها ذات الوضعية فيما بعد بالبحث والتحرى، إتضح أن هذا تم فع لا بغالبية القرى مما يؤكد وجود مخطط ما، ما زاد مساحة الدهشة، أن تجد شخوصا يرتدون الملابس الأزهرية يأتون ويجلسون لأطفال الكتاتيب والحضانات، يلقون على أ سماعهم بعض الدروس الدينية قد تناسب أعمارهم وقد لا تناسب، الله أعلم، بداية أهالى بلدتنا بعفوتهم وطيبتهم وعشقهم المتناهي لأى أمر يرسخ الدين لدى أولادهم يرحبون به بشدة، إستمر الأمر هكذا طويلا ولكن بدايات ثمرة ما تلقوهم من دروس، أن الأطفال من سن الإدراك بعض الشيء، أخذوا يطلبون من أهاليهم أن لا يتناولوا الطعام لأصناف معينة، وأيضا الذكور على حده والنساء أو البنات على حده، وأن البنات لابد من رداء كامل لا يظهر شعورهن، وأن يغطى كامل الجسد، هذه مرحلة أولى، الشباب والرجال أ خذهم الفضول لمعرفة دروس من يأتى الى القرية ويعقد جلسات بالمساجد أو بضيافة البعض، الدروس كانت بالبداية تسير بمنتهى الإعتدال، ذات ما تعلمناه ولكن كان هذا نوعا من الترغيب، بعدها بدأ أسلوب دس السم بالعسل، يلوحون بأسلوبهم المنمق شديد العذوبه، إلى تحريم بعض الأمور وعدم مشاهده التلفاز أو الأغانى من الإذاعة، عدم تناول بعض الأطعمة وعن ضرورة نقاب الفتيات، عن عدم تقصير اللحى والكثير الشبيه بهذا الشأن، تشبع الشباب مما سمعوه وأخذوا يمارسون سطوتهم، نبهوا أصحاب محلات

Edit with WPS Office

الحلاقة مثلا على عدم القيام بحلاقة اللحى، نبهوا على أصحاب سيارات الميكروباص عدم تشغيل أى شرائط غير شرائط الوعظ بل وصل الأمر إلى تحديد بعض أصحاب الشرائط التى تذاع، وأنتم تعرفون بعضهم معظمهم يهاجم كل شيء، يدعو إلى العودة لأ زمان بعيدة، نسوا أو تناسوا أن كل شيء يتبدل، المظاهر تتبدل ولكن ما لا يتغير هو الوازع الدينى الوسطى الذى تربينا عليه، الدين معاملة والله بكتابه وضع لكل أمر حياتى منهجه دون غلو أو تطرف، بدأ بعد ذلك اللباس الخاص بهم، زى موحد إختاروه لأنفسهم، الجلباب القصير والسروال واللحية، هذه اللحى الوحيدة التى لم يتفقوا على توحيد هيئاتها، ثم أصبحنا نرى سيارات فارهة تروح وتجئ، ترتاد بيوتا ممن ينتمون لهذا الفكر، يغيبون بداخل البيوت لساعات، أصبحت البلده تحت حصار منهم، من الممكن أن يذهبوا إلى بيت ما ويطروقنه بعنف، طالبين من صاحبه أن يقوم بالتنبيه على بناته بإرتداء الإ سدال، وصل بهم الأمر إلى التصدى لأى فتاه ذاهبة لمدرستها أو لعملها دون إرتداء الإ سدال أو النقاب وإرجاعهن لبيوتهن، حدثت بعض المشاحنات بين الشباب الذين يرون أن ما يحدث ضد الدين وضد المنطق والعقل، وأن هذا إهدار للحرية الشخصية، تدخلنا مرات للحوار والمراجعات الفقهية دون جدوى، فهم لايسمعون ولا يبصرون إلا من صدر اليهم من أفكار، كل هذا كان يحدث ومع الأيام كانت أعدادهم تزداد، مع ثورة يناير بدأوا مرحلة جديدة، تجدهم يمارسون العاب النزال والكاراتية والصيحات الصاخبة ورفع رايات ولافتات تدعو لإتباع أمورا تخصهم وتنهى عن أمورا آخرى، تدخلوا بكل شيء حتى أن البعض من باب الفكاهة قال، ما بقى لهم الإ تحديد مواعيد جماع السيدات! بعضهم أو قل كثيرا منهم شارك بأحداث رابعة والنهضة، من وجهه نظرى، أن كثيرا منهم إنخرط بهدف السبوبة، خلال هذه الفترة وجدنا تشيدا لبنايات فخمه وفيلات شديدة البهرجة، وجدنا البعض منهم يركب سيارات فارهة من أحدث الطرازات، يرتدون أفخم الثياب، تأتيهم الأطعمة من أفخم الأماكن، إستمر الأمر إلى أن قامت ثورة الإنقاذ و الخروج العظيم لكل الشعب، أه لو كنت حاضرا هنا، شوارع القرية وحاراتها بها حشود بـ لا أى توجهات تملا الشوارع عن آخرها، البيوت أفرغت دواخلها تماما، لم نعد نرى أيا منهم، اللهم بعض الضعفاء الذين إنضموا اليهم بحثا عن لفت الأنظار أو بحثا عن مصدر ل لأموال أو قل نوع من السبوبة، أنت تعرف أن إعتصام رابعة والنهضة إستمر الى ان تم فضهم، عادت الينا جثتان لشابين من أبناء القرية تم دفنهم سرا، أقول لك أمرا ربما يؤلمك، لديك حفيد إبنه عم لك، حفيد حورية إبنه عمك متولى، شاب لم يتجاوز العشرين، تشرب فكرهم تماما، مارس تشدده مع بيته، نهر أباه، تشدد.مع الكل، كان يأمرهم فعل هذا ونبذ هذا، بل وصل به الأمر أن تعدى على والده صفعا عندما رآه يهذب لحيته وشاربه الاب طرده، ذهب إلى رابعة ومن يومها لم يعد والبعض يقول أنه مات و البعض يقول أنه ذهب لإحدى البلاد التى ترحب بهم،. تطهرت القرية لحد كبير ولكن الموجود حاليا بعضا من أشباههم أو كما نقول بعضا من حلاوة الروح.

=جميل ما أوضحت، ولكن هناك نار تحت الرماد وهناك من ينفخ بالنار ومن يمول ومن يسعى لإعادة سطوتهم حتى لو بعد حين، ومن هنا أجد أن علينا رسالة، أنا وأنتم ومن تجدون منه ترحيبا، أن ندرس كيفية إنهاء هذا بأسلوب هادئ متزن، أرى مثلا أن ننظم لقاءات توعية ندعو إليها بعض الفقهاء الذين يتميزون بالوسطية والإعتدال، وهذه مهمتك يا أحمد وندعو الصحف المتخصصة بهذا الشان لعمل تحققيات واقعية حول هذا الشأن ما رأيكم.

إنبرى فوزى البحيرى صائحا.

Edit with WPS Office

=فكر ثاقب ورائع الله عليك

أعدتنا لزمن تناسيناه،على بركة الله، فقط هذا يتم بعد ما يرتبه العمدة حسبما إتفقت معه يا رشدى.

تصافحنا بحرارة شديدة وكل منا يحمل بعيونه بريقا ووهجا لغد أكثر إشراقا.

Edit with WPS Office

،،لقاء،،

بعزبة الأبعدية إحدى توابع قرية الحصة والتى تبعد عنها بكليومترين، وبمنزل صالح الخليلى الرجل الذى يجمع الجميع من أهل القرية وتوابعها والقرى المجاورة أنه منذ طفولته قد رضع حليب السياسة وفنونها والأعيبها، يجيد التخطيط لكل شيء، الإ نتخابات بكل مستوياتها، تجد دوما منزلة محاطا بشتى أنواع السيارات، زيارات دائمة من العديد ممن يسعى ويفكر لأن يترشح بأى مستوى، بداية من مراكز الشباب و الجمعيات الزراعية، مجالس الأباء ومحليات والمجالس النيابية، يشهد الجميع أنه محنك تماما ويجيد قراءة المشهد جيدا، فى هذه الليلة إجتمع ومعه ممثلان لكل التوابع المجاورة وبعضا من المقربين له من أهل القرية، كالمعتاد والمعروف عنه تقديم واجب الضيافة بشكل زائد، الكل يعرف عنه هذا، حتى أنه يقوم كل فترة ببيع جزء من ميراثة ل لإنفاق على هذا، البعض يفسر الأمر على أنه إظهار كرمه مقابل الحصول على علاقات، وقد نجح بهذا إلى حد كبير، على الرغم أن البعض يتهمه بالسفه وأن ما يفعله بحثا عن شهرة وتسليط للضوء عليه لا يستحق كل هذا الثمن الباهظ على حساب بيته، معروف عنه خروجة من شروق الشمس دون معرفة متى يعود، بعض النسوة يتندرن مع زوجته كيف أنجبتى وهو مجرد زائر للحظات، عادة أخرى لدية عندما يكون بمجلس تراه يتفرس بكل وجه للحظة وكانه يقرأ ما بداخله ، وللأمانة هو جيد قراءة النفس بشكل كبير، يجيد تحديد نقاط الضعف والإمساك بها وإستخدامها وتطويعها لخدمه أهدافه، توسط المجلس بعد نهاية عاداته تكلم.

=أكيد سمعتم أن العمدة والأستاذ رشدى يجهزان للقاء مع بعض أهالى القرية، وأكيد تعرفون ما قد يتم مناقشته، وأنا جمعتكم هنا لأن يكون لنا تواجد مؤثر وأن نحدد إ حتياجات عزبنا حتى توضع على طاولة النقاش، قبل أن نتكلم بأى أمر أعرض عليكم أن نذهب حالا للأستاذ رشدى ونتناقش معه وجها لوجه، ونرى ما يدور برأسة، هذا الأمر أو لا، أما الأمر الثانى سوف تعلمون به هناك، سوف نذهب حالا إن وافقتونى، الكل وافقه ونهضوا، ركبوا سياراتهم إلى بيت الأستاذ رشدى، وبداخلهم تساؤلا ملحا.

=ماذا يدور برأس الحاج صالح تمتموا الله أعلم.

لحظات قليلة وكانوا يطرقون باب المنزل، فتح الباب تفاجأ أصابته الدهشة للحظات، تماسك نفسه ورحب بهم ترحيبا حارا، أفسح لهم الطريق للدخول، أخذوا أماكنهم، إتصل بشاكر وفوزى البحيرى طالبهم بالحضور، أتوا على وجه السرعة، أعد شاكر بعض المشروبات حسب رغبه كل منهم، بين اللحظة والأخرى يرحب بهم، بعد فترة تفرس بين الطرفين تحدث صالح.

=أعرف تماما ان بك دهشة كبيرة لهذه الزيارة وأعرف أيضا أنى لا أروق لك كثيرا وهذا حق لك، أعترف وأمام الجميع، انى أخطأت بحقك، وتاكد لى هذا الخطأ من بعد تركك لبلدك وغيابك الدائم، ولن أخجل إن إعترفت، أنا اليوم قررت أن اغسل وأطهر نفسي أ مامك وبشهادة الكل، أعترف أنى كنت أول من وضع العراقيل أمام خطواتك، أعترف أ نى من أوعزت للكثير من الضعاف بأن يتصدوا لأعمالك بالتشويه وبالتقليل منها، أعترف وأنا نادم أنى من كان وراء الشكوى لمسئولى الشباب أثناء وجودك كرئيس مجلس إدارة للمركز، أنك لست من أبناء القرية على أساس أن أسرتكم وافدة رغم مرور عقود زمنية

Edit with WPS Office

طويلة على وجودكم ، أعترف بالكثير ونادم، ويشهد بهذا فوزى البحيرى، وقد أعلنت هذا بين يديه من سنوات، مؤكد سوف تقول ولما الإعتراف والندم الآن، أرد عليك بعد مغادرتك القرية لم يتغير شيء ولم ينجز شيء، بالعكس بدأت معاول الهدم تنال مما تم من إنجاز ، كنت أرى وأبكى لوحدى وأتمزق ألما، يشهد على كلامى وهو حاضر فوزى البحيرى، ربما لم يخبرك لطبع ساكن به لا يصدق الإ بعد التحقق تماما وله حق، أما أهم ما جاء بى ومعى رجال من كل التوابع، أننا سمعنا بخطوتك القادمة، وصدق مدى فرحى عندما عرفت وهمست لنفسى لقد جاءت لى فرصة العودة للوعى وتطهير نفسي مما قمت به، نحن من الآن معك سندك وظهيرك، خطواتنا مع خطوتك هل تقبلنا وهل تفتح أ بوابك وذراعيك لنا، هؤلاء الرجال أقسم باللّٰه لا يعرفون ما قلته الان هل تقبلنا معك.

للحظات أخذته الدهشة، ماقيل كان فوق تصوره، إبتعد بنظره قليلا عنهم ليخفى دمعات نزلت، نظر نظرة عميقة إلى فوزى البحيرى، هو الوحيد الذى يفهم تعبيرات وجهه تكلم.

=انا طوال عمرى لا أحمل مطلقا ضغينة لأحد ورغم معرفتى بالكثير مما قلت ولكنى كنت واثقا كل الثقة أنك عائد لاصولك الطيبة، أنا طوال عمرى تجمعنى بأسرتك كل أ واصر الود والإحترام، فقط كنت أراك الوحيد بينهم شاردا عن مضمار حياتهم، هل نسيت وأنا كنت أداعب الحاجة والدتك وأقول لها هل أنت واثقة أن إبنك هذا لم يتم إستبداله بآخر أثناء ولادته، ذلك لأنك كثير البعد عن طباعهم وإن كنت أعترف أنك اكثرهم ذكاءا ونجاحا بكسب العلاقات، أكرر لا أحمل لك أو لغيرك أى ضغينة، أومأ فوزى براسه مؤمنا على ما قيل ونطق.

=جميل يا صالح خيرا ما قلت، ولننس الماضى ونبدأ مساحة جديدة من الإخوة و الصدق ، مساندا لما نرغب به ونهض اليه مد يده وأخذه بين أحضانه هامسا.

=اهلا بك صالح أخا لنا.

نظر فوزى إلى رشدى،

=رشدى هذه لحظة صدق لم يجبر عليها صالح وجاء يشهدنا على صدقه ونواياه الحسنه، هيا تعانقا ولا ندع هذه اللحظة تفلت من بين أيدينا.

نهض رشدى وألقى بنفسه بين أحضان صالح، تعانقوا وتبادلا الدموع، تعاهد الجميع على أن يكونوا يدا واحدة قرأوا الفاتحة، تبادلا المصافحة الحارة ثم أخذهم الحديث حول بعض إحتياجات القرية وتوابعها، حول مشاكل الرى والزراعة والصحة والطرق، ثم غادروا على وعد بلقاءات دائمة، همس له صالح قبل خروجه.

=مؤكد هناك بعض الخفافيش سوف تترصد كل خطواتك، أنا سوف أتابعها لا تقلق، الغد أفضل ولا تنس وضع التوابع ومتطلباتها نصب أعينكم، قاطعه.

=القرية لا تكون بحالة إكتمال الإ بالإهتمام بكل مكوناتها، والتوابع من أساسيات التكوين كن على ثقة أنها من أهم الأولويات، ولنضع أيدينا معا للبناء وعدم السماح للهدم على الإطلاق، تبادلا المصافحة من جديد، وعلامات الثقة بادية على الوجوه.

Edit with WPS Office

،،خفافيش

فى حجرة بأحد الحقول البعيدة لحد كبير عن القرية بدأ توافد عدد من أصحاب اللحى متعددة الأشكال والاطوال والجلباب إلى ما بعد الركبة بقليل، وسروال يكاد يكون متطابق اللون مع الجميع، والعجيب اللافت للنظر أن البنيان الجسدى يمثل شكلا وقالبا موحدا، كروش تتقدمهم، طول مع إمتلاء للجسد، يصل لحد السمنه المفرطة، البعض من أهل القرية الذين لا يتركون أى أمر من الأمور يمر دون تعليق لاذع ساخر مغلف بالفكاهه ، أنهم ولدوا هكذا منذ أن خرجوا من رحم أمهاتهم وربما أثناء وجودهم بالرحم، بعد العشاء بأكثر من ساعة بدأ توافدهم فرادى، وكل منهم سلك طريقا مختلفا عن الآخر، هربا من أن يراهم أحد، عددهم يقارب العشرة أفراد، الأعمار أيضا متقاربه، ربما فرد أو فردين أصغر بعقد كامل عن الباقيين، توسطهم أكبرهم فتحى البندارى الذى يقال عنه بـ القرية أنه لم يرضع حليبا من ثدى أمه، بل رضع قسوة وحده وتسلط بالرأى والقرار، إ لتفوا حوله نصف دائرة، الصمت يغلف جلستهم، العيون شاخصة جاحظة تكاد تخرج من المقلتين، طال صمتهم بعض الوقت، أصدر فتحى صوتا حادا.

إشارة على إقباله على الحديث

= بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الأمين، مؤكد نما إلى علمكم ما يتم من إعداد للقاء مع بعض اهالى القرية بدعوة من العمدة والأستاذ رشدى، هذا يدعونا للقلق لأن مؤكد هم لديهم ما يفكرون به كما يشيعون لصالح القرية، المهم هذا يدفعنا للتفكير بكيفية التصدى لهذا، لأن أى إلتفاف حولهم سوف يزيدنا ضعفا. وأ نتم تعلمون أننا فقدنا الكثير من التأثير على أغلب الأهالى بعد أحداث الثلاثين من يونيو التى يطلقون عليا ثورة وهى مؤكد إنقلاب على الشرعية، ثم أن تحركاتنا أصبحت تحت الأبصار وباتت تحت المتابعة والرقابة، لقد نجحنا فعلا بإستقطاب شباب وأئمة بعض المساجد الذين خضعوا لأفكارنا وأموالنا، لقد نجحنا أيضا بالإستحواذ والهيمنة على معظم النشاط التجارى، ولكن صارت حركتنا مغلولة، علينا المزيد من الحركة ومن إ شاعة البلبلة والتشكيك بأهداف رشدى، إزرعوا الفتن بينه وبين النواب، أشيعوا انه جاء لمزاحمتهم على عضويتهم، أشيعوا أنه جاء من أجل العودة لرئاسة مركز الشباب، أطلقوا كل ما تملكون من شائعات، الوقت لا ينتظر وأيضا مزيدا من أجل ذلك علينا زعزعة هذا بـ إثارة المزيد من الشائعات والوقيعة بين كل الأطراف، مثلا القول أن رشدى قد عاد ويخطط ليصبح عمدة القرية وصاحب قرارها الأول وأن الإجتماع قد دعى إليه أصحاب الحظوة من العائلات دون عائلات أخرى، وأنتم أكثر حرفية بهذا، إطرقوا الأ بواب التى تعرفون أنها لها ميولا لأفكارنا ولكنها تبتعد خوفا من إعلان إنتمائاتها، بثوا الشائعات تحركوا سريعا ثم يوم اللقاء لابد من إثارة البلبلة والتساؤلات المحرجة حتى إ ن وصل الأمر للتطاول قولا وإن وصل للتشابك خيروبركه لابد من زعزعة الأمر، رشدى رجل له قبول عند الغالبية رغم غيابة لسنوات كثيرة وخاصة بين الكبار وأجيال رأت ما كان يفعله من أمور للبلد وإن أغفلنا ذلك ،علينا أن نحاول بكل جهد أن نفسد اللقاء، حتى لو إتفقنا على إرهابهم بالقوة، وبالوعيد والتهديد المباشر وغير المباشر سوف نخسر كثيرا إن لم نتصدى لهذا، لابد من متابعته جيدا خطوة بخطوة لدينا أحد أقربائه لابد من أن يكون ملازما له راصدا لكل شيء، لا يجب أن نبتعد عن التواجد أكثر من هذا، إتفقنا، هز الكل الرؤوس بالموافقة ثم تعرج بهم الحديث عن ما وصلهم من أنباء وأن هناك تخطيطات لمعاودة القفز على كل شيء، عن التوغل داخل كل مؤسسات الدولة، عن

Edit with WPS Office

لقاءات إعلامية مع من ينتمون لذات فكرهم، عن التحويلات المالية وأن بهم رغبة بإ رسال طلب لزيادة التمويل لشراء الاراضى والبيوت لإحكام السيطرة على مقاليد الأمور، على كيفية زعزعة كل بيت عن طريق إستقطاب أحد الابناء، ثم بدأوا بالنكات الجنسية، والتباهى بأنهم فحول وعناتيل بهذا الصدد، وأن معظمهم يجمع بين اكثر من زوجة، يطلق هذه ويتزوج تلك، يجيدون عملية تدوير الزوجات على مدار أيامهم، تسللوا عائدين إلى بيوتهم مثلما جاءوا، من الصباح بدأوا ببث شائعتهم، والذهاب إلى الحقول ونشر ماتم الإتفاق عليه بين الرجال والشباب، وبدأت بذات الوقت نساؤهن طرق البيوت والنفاذ بأقوالهم السامة داخل أذان النساء والنساء دوما أرض خصبة لنشر أى خبر ونبأ، هناك من إنصاع لأفكارهم وهناك من تصدى لهم بهدوء أو بالعنف والزجر والطرد، وصلت أخبارهم للعمدة طالب رجاله بمتابعة خطواتهم، منتظرا ما تسفر عنه الأيام، ثم النظر بكيفية التصدى لأساليبهم القذرة، صالح هو أيضا أوصى رجاله بمتابعتهم، وهمس لنفسه إن لم يتراجعوا عن أفعالهم سوف أقوم لمواجهتهم فلدى الكثير عنهم، إستيقظ رشدى صباح أحد الايام وجد مظروفا به ورقه مكتوب بها جملة بعض العبارات، كما جئت عد نحن لسنا بحاجة لك لن تشترى البلدة وناسها بثروتك الزمن لا يعود للخلف، لم يتفاجأ با لأمر فهو يعلم تماما كيف تسير بهم أفكارهم، لم يهتم وقرر أن يسرع هو والعمدة بعقد اللقاء بأسرع وقت حتى لا تترك لهم فرصة لزيادة ممارسة أفعالهم، جلس مع العمدة وتناقشوا فيما يقال ويقترح، ومن يدعى من القرية ومن المسئولين، رفض رشدى مسالة حضور أحد من خارج أهل القرية، ولقاء آخر يعد له بحضور المسئولين ونواب البرلمان، وتقرر اللقاء الأول بالأسبوع التالى وتم التوافق على أن يعقد بالمضيفة إزدادت تحركات أصحاب اللحى، فرادى أو جماعات صغيرة، كلما إقترب معياد اللقاء زادت حركتهم، وإعلا ن رفضهم همسا وجهرا، فوجئ الأهالى ذات صباح بما هو مكتوب على الجدران عباره واحدة على معظم جدران القرية، يا رشدى عد من حيث جئت لسنا بحاجة لك، أنت من الماضى والماضى لا يعود ونتمنى نسيانه، بل وصل بهم الأمر لدفع شبابهم للسخرية منه حال مروره بينهم ورفع عقيرتهم بكلمات مغلفة للسباب، العائلة هاجت وماجت وأعلنت مطاردتها لهولاء، بل وصل الأمر لإحاطة المنزل بشبابهم وأيضا مصاحبته أينما ذهب، جاء موعد اللقاء وحالة من الغليان تغلف القرية، بعد صلاة العصر تجمع من وجهت لهم الدعوة، من كل شرائح القرية ، جلس على المنصة العمدة والدكتور أحمد عباده ورشدى، مع تواجد عدد كبير من شباب القرية وبعضا من رجالات رشدى تحسبا لأى تطورات، هو قام بالتنبية عليهم بعدم الخضوع لأى إستفزازات، الهدوء مطلوب لأن هدفهم الأساسى هو عمل كل ما يمكن من أجل عدم إقامة اللقاء، بدأ الدكتور أحمد عبادة الجلسه بعد إ صرار شديد منه بتلاوة آيات القران الكريم، ثم أعطى الكلمة لفتحى الهياتمى عمده القرية الذى قال.

=بداية بسم اللة الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الامين، نحن هنا اليوم من أجل حاضر ومستقبل قريتنا، جمعينا جئنا عاريين تماما من أى غرض أو هدف خاص، جئنا من أجل أن تكون قريتنا كما تعودناها على مدار عقود طويلة مميزة و مواكبة لأى متغيرات مدعومة بما أخذناه عن الأباء والأجداد من قيم وأخلاق وأعراف، نرجو الهدوء والإنصات بتمعن ومن يرغب بالمناقشة أهلا به شريطة أن يكون تساؤله بما جئنا له، وبهدوء وعقلانية، معنا الأستاذ رشدى أظن أن الجميع يعرفه وسمع عنه سوف يحدثكم بطموحات القرية ومتطالبتها التى ينشدها لكم بكم ومعكم، أشكركم أعطى الكلمة له، نظر نظرة شاملة للموجودين، أطرق صمتا لوقت قليل ثم كان حديثه.

Edit with WPS Office

=السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، أهلا بكم جميعا، الحاضرين معنا ومن بإنتظار ما يأ تيه من أخبار عن اللقاء، بطبيعة الحال لم أجئ لهنا لأتكلم عن الماضى رغم إيمانى أن الماضى هو بناء للحاضر والمستقبل، جئت معكم لتصور جديد بشان قريتنا فلها على كل أبنائها حقوق، هذا أمر مسلم به أتمنى بكم ومعكم أن نعيد لها مكانتها، أن نعيدها موضع حسد من كل المجاورين كما كانت بالسابق، أنا،سوف أطرح عليكم بعض التصور ولتتم مناقشتها والإتفاق عليها أو على بعضا منها أو رفض بعضها، طبعا والحمد لله القرية بها عدد كبير من الجمعيات الخيرية لكل تخصصه وللقائمين عليها خالص التقدير، ولكنى أ حلم أن تجتمع كلها تحت إطار واحد، ولكل منها المحافظة على تخصصها، فقط جلسات تجمع بينهم ومن الممكن إنتخاب مجلس ادارة يجمعهم، يجلسون للنقاش عن خططهم وكيفية تدبير الموارد المالية، هذا الإتحاد مهم لعدم تضارب الأهداف، هذه واحدة، أمر هام آخر من أجل إعلاء قيمة القدوة أمام الأبناء والأحفاد والأجيال المتعاقبة أقترح ولكم حق القبول أو الرفض عمل لوحه بأسماء وصور رجالات على مدار تاريخ القرية قدوة ومثل للجميع، مؤكد أن القرية كسائر الوطن مرت وتعاقب عليها أجيال بنت وطورت من أجل أن تصل لما هى عليه حاليا، ونحن علينا ان نكمل المسيرة، أمر آخر أ هيب بكل أصحاب الشركات والمحلات أن يضعوا أنفسهم وما يستطعون تقديمة لتجميل القرية وشوارعها ، أيضا نجعل هناك يوما للقرية، يكرم به أولادنا النابغون فى كل مراحل التعليم من مرحلة التعليم الأساسى حتى الجامعة، بل ندعو من له إستطاعة وقادر على رعاية وتبنى النابغون والموهوبين لإمكانية صناعة جيل فكرى ثقافى على مستوى المسئولية، أيضا أعلم ان لدينا مسابقات دينية دائما وأكبرها المسابقة القرانية الكبرى بشهر رمضان الكريم سوف نفكر بكم ومعكم بتطويرها، بإمكانية منح الفرصة للقرى المجاورة للمشاركة بها وزيادة جوائزها، سوف ندعو أبناء القرية المقيمين خارجها وخارج الوطن الإسراع بمساهماتهم من أجل إعلاء شان قريتنا، سوف أفعل بكم ومعكم إقتراح مجلس من أبناء القرية بالإنتخاب أوكما ترون يكون مختصا بتحديد ا\أولا بأول متطلبات القرية من شئون وخدمات عامة ويكون أيضا مسئولا ً عن مخاطبة المسئولين مباشرة بكل إحتياجات القرية فى شئون التعليم والصحة والزراعة والرى وكل الإحتياجات حتى نكون أصحاب القرار، لن نكون بوضع رقابى على الإطلاق فهذه ليست من إختصاصتنا، ولكننا سوف نكون أدوات مساعدة ومعاونه لتذليل كل المعوقات وإيجاد مناخ جيد مريح لإنتاج أكثر جودة وفاعلية، .سوف أعرض عليكم أن يتم بـ القريب العاجل دعوة أعضاء كل المجالس النيابية الممثلة للدائرة ومناقشتهم بشئون القرية ، لابد أيضا من الإهتمام من خلالنا جميعا باليتامى والأرامل والمطلقات، رعاية إ نسانية بشكل إحترامى، نشكل لجنه وأقترح برئاسة العمدة، لدراسة كيفية تنفيذ ما قمت بعرضه وما ننتظره من مقترحات لبلورة أفكارنا بحيث تكون قابلة للتنفيذ على أ رض الواقع، أكرر شكرى لكم ولكم حق النقاش، نحن جميعا ننصت لكم على الرحب و السعه.

تعالى التصفيق لوقت طال لدقائق، ولكنه توقف عندما نهض أحد الشباب صارخا

=أستاذ رشدى، قبل أى نقاش حول أطروحاتك، أجبنا أولا لماذا عدت والأن تحديدا، هل لشغل فراغ تعيشه بعد بلوغك سن التقاعد، هل بحثا عن ضوء وأملا فى منصب معين، الترشح مثلا لأحد المجالس النيابية، أو العمودية، وأين كنت طوال سنوات طويلة،

نهض العمدة رافعا يده مشيرا لصاحب التساؤلات.

Edit with WPS Office

=عمر هذا الرجل الجالس أمامكم ما فكر بأي شيء مما قلت، أعذركم لأنكم لم تعاصروه، كان بإمكانك أنت والكل أن تسأل الاب، العم أو أحدا من الكبار عنه،

نهض رشدى وأجلس العمدة.

=إبنناالعزيز لك الحق سوف أجيبك عن كل شيء، أنا لم أنفصل عن قريتى لحظة، حتى وإن كنت بعدت لفترة طويلة ربما تعادل عمرك إلا أننى كنت أتابع وأعرف كل الأحداث عن بعد، أنا يا ابنى حينما إبتعدت كان بعدا عن أحداث شروخ بالقرية لاداعى لذكر أ سبابها، لم أكن بعيدا ولم أكن أرغب بالحديث عن هذا الآن حتى لا يقال أنى أتباهى أو أ كون متفآخرا بأمور كنت فاعلا بها، أنت من جعلنى أتكلم عنها، أنا وآخرون سعينا من أ جل الكثير، مما تراه أمامك وتلمسه، مركز الشباب ومبناه الذى يختلف عن المبانى النمطية، الوحده الصحية بوضعها الحالى، شبكات المياة والكهرباء، تغطية الترع و المصارف، تجميل مدخل القرية وتشجيرة، كنا مجموعة ولست وحدى عزمنا على القيام بما تراه، عدت لان هذه قريتى وهولاء أهلى، لم أبحث عن شغل فراغ كما قلت لأنى لست موظفا أنا صاحب شركات لها إسمها، لا أبحث عن أى أضواء، لأننى ولو أردتها إ سمى وشركاتى وعلاقاتى الممتدة مع كل المجتمع بمستوياته الإجتماعية على إختلاف تعدداتها، كنت وجدتها بل لا أبالغ كانت الأضواء هى من تسعى إلى، ليس هذا غرورا بل حقيقة، ولست ساعيا لأى مناصب ولا أفكر ولن أفكر مطلقا بالترشح لأن العطاء لا يحتاج أى عباءات أو مناصب سامحك الله لانك دفعتنى للحديث عن أمور ما كنت أ رغب بالحديث عنها، أخيرا هل أجبتك وهل أقنعتك.

خرج من الصف الأول صالح الخليلى متحدثا.

=أنا شاهد على هذا من كل الزوايا، بل سأعترف أمامكم بأنى وبعض من الإخوة بعضهم بذمة الله والآخربن أحياء، أننا كنا دوما نسعى لعرقلة مسعاه هو ومن معه، ولكن للحقيقة لم ننجح إلا بأمور صغيرة، كان صبورا لأقصى حد ولكن عندما رأى وتيقن من إ مكانية حدوث أى إنقسامات وتشاحن وتطاحن إبتعد، ولعلمكم رغم بعده لم يتوان عن أ مر من أمور القرية ، من اللحظة الحالية، أؤيد كل مقترحاته وداعم لها، بل سوف أدعو ل لإلتفاف حولها لتحقيقها، ولدى ثقة أنكم تعرفون أن هناك من يحاول إبعاده، بل وصل لعلمى أنهم طلبوا منه الرحيل، وكلكم شاهد مما تم كتابته على الحوائط، بإختصار، القرية تدعوه هو ونحن معه للإستمرار بالبناء.

أعقب حديثه مطالباً الحضور بالمؤازرة لإنجاح ما يتم تخطيطة لأجل القرية، عاود ص الح الحديث من جديد قبل أن يستكمل الحديث إستعرض بناظريه الحضور ثم أعاد الحديث،

=هناك مايثير العجب بحياتنا لماذا نحن نجيد صنع الأله ونفعل لها إنجازات رغم معرفتنا أنها أبعد ماتكون عن ما يجعلها ضمن هذا الإطار، ولماذا نسرع بالترحيب دائما بهدم أصحاب الإنجاز ومن يقومون بدورهم نحو مجتماعتنا بلا إنتظار مقابل من أى نوع، حقيقة هذا أمر متفش للأسف بعالمنا العربى، من أسباب تخلفنا أننا بلا سياسات طويلة وممتدة لعقود وربما لقرن من الزمن، نحن نفعل دون دراسة، نعمل بلا تخطيط بعيد المدى، أتمنى فعليا من اللحظة أن نلتف معا، أن نتوافق أن نخطط لما بعد الغد، لوفعلنا هذا لوجدنا أنفسنا بمنطقة آخرى، أتمنى منكم ان تنقولوا هذا لأهاليكم، وأن

Edit with WPS Office

تكونوا آليات بناء، لو فعلنا بصدق سوف تتمتعون بسلام نفسي وإرتياح كامل، لنتعاهد ا لآن دون إنتظار نحن أبناء لقريتنا نحن طموح لقريتنا، أتمنى أن ينتاب الحسد كل الربوع المجاورة كما كنا سابقا، هل نتعاهد أم لديكم ما يتطلب إرجاء الأمر،

تعالت أغلب الأصوات بالموافقة على التعاهد الآن وقلة دعت للهدوء ودراسة الأمور جيدا، أشار رشدى إلى الجميع طالبا الحديث.

=بداية أشكر لاخى الحاج صالح الخليلى قوله وشجاعته بالإعتراف بما كان وأنا سوف أ ضيف أمرا بسيطا، من اللحظة سوف نرتب مع العمدة ومع الدكتور أحمد عباده، والحاج صالح ومن يرغب بالإنضمام إلينا لقاءات متتابعة مع مسئولى الجمعيات الأهلية على إ ختلاف نشاطاتها للوقوف على كل أمورها وأيضا مجلس إدارة الجمعية الزراعية ومركز الشباب، ومع مدير الوحده الصحية، ومع مديرى ونظار كل المراحل التعليمية ومع أ صحاب الشركات ورجال الاعمال بالقرية، لنناقش كل الأمور، وبعد توصلنا لكل الابعاد سوف نصل إلى صياغة جيدة وورقة عمل لشئون القرية وإحتياجاتها، نحن نكمل بعض، ليس أيا منا كاملا من كل زواياه، لكل منا نواقصه التى تكتمل من الآخر، لنكمل بعضا، لنكن سياجا قويا غير قابل للإختراق من أصحاب النفوس الضعيفة والفكر المشوش، لنتفق قبل ذهابنا على أن نتكاتف بمعنى الكلمة، تذكروا ماضيكم ورجالات الماضى سوف تجدون أنهم تركوا لكم ميراثا جديرا بأن نضيف إليه ونحافظ عليه، أكرر شكرى لمن تواجد هنا ومن خلالكم تصل رسالتنا للجميع، أتوسم من رجال الازهر المعتدلين الدعوة للقاءات دورية لتبصير أبناؤنا وأحفادنا بالمفاهيم الصحيحة لدينا أدعوهم بمتابعة الكتاتيب وما تزرعه داخل صدور وأفئدة أولادنا، تقويم لا رقابة أشكركم مرات وأنتظر منكم خطوات وثابه فيما تحدثنا عنه أمر آخر أننا نعد للقاء قريب بحضور المسئولين لقريتنا ونستعرض سويا كل أمور بلدتنا الحبيبة أكرر شكرى وتقديرى للجميع.

تعالى صوت بعض الشباب قائلا ً.

=أنتم أزلتم الغشاوة والتشويش عن عيوننا وعن عقولنا ونعاهدكم هنا جهرا وبإرادة كاملة أننا معكم بكل شيء نحن من نشكركم،

أخذ الجميع بالإنصراف، سار العمدة ورشدى وصالح الخليلى جنبا إلى جنب يحيط بهم بعضا من الشباب وعلامات الفرح ترتسم وتلقى بظلالهاعلى كل القسمات، مروا على جمع من النساء يجلسن أمام أحد البيوت، فوجئ الجمع بهن يطلقن الزغاريد والتصفيق بشده، السعادة والأمل ينتقلان بعفوية دون إنتظار، الإحساس يتولد دون توجه منحة إلهية يمنحها الله للجميع.

Edit with WPS Office

،،زمان يا حب،،

ودع فتحى الهياتمى وصالح الخليلى وأخذ طريقة بإتجاة المنزل، هو بحاجة ماسة للإ ختلاء بنفسه والتفكير بالخطوات القادمة، لابد من التحرك بسرعة ولابد من تنفيذ سريع على أرض الواقع، كان سيره مصحوبا بالشرود، يتبادل التحايا بشكل عفوى ربما أيضا لا ينتبه الى

اين تذهب تحاياه، أفاق من شروده على صوت نسائى يناديه، صوت يعرفه تماما، هل ما يسمعه حقيقة رغم وجوده من فترة ليست قصيرة إلا أنه فاته عن يسأل عنها، أو ب الحقيقة مؤكد أنه خجل، عاود الصوت نداؤه

=رشدى رشدى،

التفت وجدها جالسة على مصطبه أسمنتية بجوار منزلها، هو لم ينساها رفيقة لعبه الطفولى، كان لا يفارقها إلا عند النوم، لعبا سويا وكبرا سويا، مشاعره كبرت معها وكبر حلمه معها، كان راصدا لتطورات جمالها، عندما بلغ سن الإدراك فهم أن الرجل يحتاج حبيبة ورفيقة وزوجة تمناها وصنع تخيلا لها، عندما غادر القرية لدراسته الجامعية ب القاهرة، كان يعد الايام حتى يعود نهاية كل أسبوع إليها، متهلفا قمة التلهف عليها لم يستمر الأمر طويلا، بإحدى أجازاته جاءة الخبر الذى حطم آماله، تمت خطبتها لعبده المنوفى، مزارع ميسور الحال لحد ما ثم إنه ينتمى لعائلة المنوفى كبرى عائلات القرية ، بكى كثيرا وإعتزل كل شيء لأيام، قرر بعدها الرجوع لكليته على أن لا يعود للقرية إلا على فترات بعيدة، ظنا أن جرحه سوف يلتئم ويندمل وينسى بمرور الأعوام، لم يحدث ما تمناه، بل جرحه كان يزداد نزفا كلما تخيل أن عبده يشاركها فراشها ويشاركها أنفاسها ويشاركها كل شيء، كان يترقب أخبارها مثل كل أخبار عائلته بشكل غير مباشر، عندما كان يأتى للقرية قرر أن لا يمر أمام بيتها مطلقا، كان يأخذ طرقا أخرى لزيارة إخوته، ولزيارة فتحى الهياتمى، الذى صادقه رغم فوارق العمر، حيث أن بيت زوجها كان بذات الطريق إليهم، حتى بعد زواجه كان يتابع أخبارها، بعد زواج خمس عشر عاما علم أن عبده المنوفى توفى أثر ازمة قلبية حادة تاركا لها خمسة أولاد أوقفت حياتها عليهم ورفضت أى زواج، طوال ما يقرب من أربعين عاما لم يرها، ولم ينساها، ما الذى جاء به من هذا الطريق، لا إجابة لديه إلا أنها إرادة الله تكرر النداء إلتفت إليها، ي الله مازالت كما هى الوجه المستدير شاهق البياض مع ظلال من الخمار يكمن داخل بشرتها، نفس العيون الفيروزية، نفس الارتياح على وجهها، ما زاد عليها هو إمتلاء الجسد إلى حد ما، إ قترب منها مد يده مصافحا، عندما تناول يدها إنتفض ما بداخله ندت عنه آهه همس.

=بدور، ي الله ي الله عمر مضى وأنت تزدادين بهاءا، يا الله حقا لا يتغير بنا شيء الإ كوننا دوما مستسلمين للأحزان.

أشارت له بالجلوس ولكنها توقفت وأشارت لأحد أحفادها بأن يأتى بكرسى، إعترض بشده وأقسم أن لا يجلس إلا على مصطبتها كما هى، جلس تبادلا النظرات التى تحمل لوما وشوقا، إستمر الأمر طويلا، لابد أن شريط العمر يمر أمام أعينهم، الكلمات توقفت وتلعثمت، أمرت بعمل شاى لهم، جلس يجاورها، النظرات تروح وتجئ متبادلة على وجوههم بادرته بالحديث،

Edit with WPS Office

=أكتر من شهر وأنت هنا ولم أراك أو تسأل عنى، هل نسيتنى نسيت إبنة عمك، لم أراك من عمر لا أعرف كم ربما من قبل زواجى،

رفع يده قربها من فمها طالبا منها عدم الإكمال،

=أنا لم أنسك ولا لحظة، كيف تتخيلين هذا حتى وإن إبتعدت وإن كنت تزوجت لم أ نساك، تزوجت من ميرفت إبنة الحاج نصر مكاوى، تعرفينها كان بيننا إحترام وموده لم نصل أنا أو هى رحمها الله إلى الحب، إحترام متبادل لم تقصر مطلقا لا معى ولا مع أولا دى، الله يرحم الجميع، لم أنساك، بإمكانك أن تقولى هربت فعلا هو كذلك، حدثينى عنك وعن أولادك، محتاج كلامك وأعرف عن كل أيامك الماضية، محتاج أرى الامس منك.

أطرقت رأسها ناظرة إلى الأرض، تلونت وجنتاها باللون القرمزى الجميل،أسدلت جفونها شردت وقتا ليس بالقليل، وهو إكتفى بتأمل وجهها، رغم الغضون وبعض التجاعيد إلا أ نها لم تذهب بعيدا عن جمالها المعروف، بل زادت جمالا السنون تضيف بهاءا إلى الإنسان بصفاء روحه، تنهدت بشده ثم تكلمت.

=أنت رجعت بى إلى عمر طويل أغلبه مر وقليله حلو رجعتنى لطفولتى، لشبابى الأول لم أنسى لحظة هذه الأيام، لا أنسى أننا لم نفترق منذ أن بدأنا الفهم، كنت أصحو وأ هرول بحثا عنك، لم نفترق إلا عند ذهابنا للمدرسة، أنت أكملت تعليمك وانا أخرجونى بعد السنه الرابعة بحجة أسر هذا الزمن، ولماذا تستمر بالتعليم سنوات قليلة وتذهب لبيت زوجها، جهل كان مسيطر وللأسف مازال هذا الجهل مستمرا بعض الشئ، رغم إ فتراقنا عند زمن اليوم الدراسى إلا أنك كنت معى إلى أن تطمئن على دخولى فصلى، وأ جدك بإنتظارى عند إنتهاء الدراسة، كنا نسير متشابكى الأيدى، السعادة تكاد تقفز من عيوننا ومن وجوهنا، هل تتذكر أن بعض نساء القرية اللاتى كنا نمر أمامهن كنا يضحكن ويشرن إلينا، والله عريس وعروسة ما شاء الله عليهم، كنا نهرول ونضحك، هل تتذكر صعودك للجميزة الكبيرة المتواجدة على رأس أراضى العائلة تصعدها وتحضر لى ثمارها ، وأيضا صعودك لشجر التوت، وتهزه وأنا أجمعه، كنت منتهى السعادة عندما تفعل ما يسبب سعادة لى، لم أنسى مشاجراتك الدائمة مع الآخرين حين يحاولون الإقتراب منى ، وكم من مرة نلت عقابا من أمك بسبب الخرابيش والجروح التى تعود بها، لم أنسى أنى كنت أخترع أسبابا كى أتواجد بمنزلكم، أنى رغم صغر سنى أيامها حلمت أنى عروسك ولكن ليس كل حلم يتحول لحقيقة، ما أكثر أحلامنا التى لم تتحقق، وتذهب مع الأيام، المهم فجأة وجدت أبى وأمى يخبرونني بأن عبده المنوفى قد طلبنى للزواج وأنهم موافقين لأنه إبن عائلة ويمتلك أرضا وبيتا، صدقنى ولو قلت لك أن عبده لم أشاهده إلا مرات بالصدفه، ولم أركز حتى بملامحه، ولكن هم قرروا وما على إلا السمع والطاعة، ولا أنكر أننى ظللت أياما أبكى لعدم تحقيق حلمى، شهور قليلة وكنت زوجة، وأنت لم أجدك ولم أراك ولم أسمع منك كلمة مبروك حتى لو بوجع، أصبحت زوجة، بالبدايات كنت متمردة ولا أطاوعه، إشتكانى لأمى التى أخبرت أبى، أمى نصحتنى مرات ومرات، ولما فرغ صبرها عاودت إخبار أبى الذى أتى وأعطانى علقة لم ولن أنساها للآن، إستسلمت ل لأمر، كنت إلى وقت طويل جسد بلا روح، ولكن مع مرور الوقت والإنجاب جعلنى كاملة ، لأنى أيقنت أنه قدرى، أنجبت خلال الخمسة عشر عاما التى عشتها معه، ثلاثة أولاد وبنتين، كان طيبا معسول الكلام حنونا، يحب أولاده بشكل جنونى، ولكن أصابته لعنة القمار، كان يذهب بعد العشاء دوما إلى دكان عوض الصعيدى، دكان قصب يسهر مع

Edit with WPS Office

البعض من زملائة، يمصون القصب ويشربون البوظة ويلعبون الكوتشينة، هناك بدأ لعب القمار مع البعض منهم أحد أعمامك، لا أعرف للأن كيف أصبح فيما بعد شيخا للبلد، المؤكد أن عمى، والدك بعلاقاته قد إستطاع إنقاذه، ومسح هذه النقطة السوداء من سجله حينما قبض عليهم إحدى الليالى هو وعمك، وإثنان من أبناء القرية،

عاودت الإطراق إلى الأرض مرة أخرى، ولكن بشكل أقرب للسجود، إضطر إلى أن يمد يده ويساعدها على الجلوس بوضع يناسب جلستها، طبطب عليها بعدما لمح دمعتين تنز لاقان على وجنتيها، مسحهم براحة يده، طال إتشاحها برداء الصمت، عيناها تنبأ عن وجع حاد يحتلها ويسيطر عليها، بعد صمت طال، وتنهدت بشده رفعت نظرها له وتابعت الحديث.

=إعذرنى إبن عمى، أحزنتك المهم عبده إنساق لهذه الشلة، حتى جاء يوم تراهنوا فيه على من يستطيع شرب البوظة بكميات كبيرة على رهان عشرة جنيهات، عبده عمل فيها بطل ظل يتجرع البوظة بشكل لا يتخيله أحد حتى سقط مغمى عليه، حملوه أتوا به مت قطع الأنفاس وجهه أزرق تماما، كل ما يصدر عنه حشرجات بصوت عال متقطعة، أ حضرنا الطبيب أخذ يعطيه حقن ومحاليل، إستمر الحال مجرد ساعات وذهبت الروح إلى خالقها، ذهب تاركا خمسة أولاد أكبرهم ثلاثة عشر عاما وأصغرهم عامان، إستمر الحداد لفترة، بالحقيقة الأهل والأقارب لم يتركونا حتى الأربعين هم وبعض من أهالى القرية، خرجت لرعاية الارض هى مورد حياتنا، ومن يومها وأنا أرتدى الاسود أبدله بأ سود، انا من كنت أعشق الألوان الزاهية بملبسى، الإبن الأكبر يعمل خادما بمسجد أقامه أحد أعمامك، الثانى تعلم النجارة والثالث سامحه الله هو الهم والوجع كله ، شرد منى ومن الكل، أخذوه لطريق توهم أنه دعوة للدين ولكنهم علموه الحده والإرغام على تنفيذ أوامرهم ونواهيهم، أرغمنا على أكل ما يحدده وعدم أكل ما لا يريده، هو فرض النقاب على حفيداتى الصغار وعدم الخروج الإ مصاحبين له أو لأحد من المقربين منه، عشنا أ ياما لا معنى لها، كنا مسجونين ببيتنا، بأيام الثورة الأولى يناير غاب طويلا، كانت تصلنا أخباره، أنه مقيم مع من يشبهه خلقا وطباعا، أقول لك الحق دعوت له بالهداية ليس من أجله ولكن من أجل بناته عنده بنتان، ولكن بأيام رابعة طال غيابه، كان يأتى أحيانا بسيارات فخمه بسائق يأتى محملا بأشكال مختلفة طعاما وشرابا وملابس، كان يحاول أن يعطينى منها، كنت أقذف بها فى وجهه لاعنه له، وبعد فض رابعة لم نعرف عنه شيء لفترة طويلة، قلنا ربما مات ولكن بعد شهور علمنا من أحدهم الذى يسير بنفس طريقة، أ نه هرب إلى تركيا ومن لحظتها ولا نعرف عنه شيء عنه، أما بناتى فحظهم من حظى، ترملا بعد سنوات قليلة من زواجهم وتوقفت حياتهم لرعاية ما أنجبوه، الله يعينهم، أنا مثال حى للأسى، سامحنى إن أطلقت همى معك، فأنت غير الجميع عندى، ممكن نخرج من حالة الحزن هذه وأقوم أعد لك أكل أظن انك مشتاقا له، فطير من ريحة جدتى وعسل أبيض وقشده فلاحى، نص ساعة أو أقول لك ساعة ويكون كله جاهز، حاول منعها مع وعد بيوم آخر، أقسمت عليه أن لا يغادر.

=أقل من ساعة أتت متقدمة شابة تحمل صينية، الفطير الساخن والقشده والعسل الأ بيض، جلسنا بمدخل البيت على طبليه، قدمت لى حفيدتها، فاطمة إبنة عبد القادر إبنى الكبير، أكلت بشهيه متناهية لم أعهدها فى من قبل، ولم أهتم بأى تأثيرات صحيه، عادت الإبتسامة من جديد إلى وجهها أضافت إليها جمالا ، شعرت كانها بعمر العشرين، أ خذنا نتذكر أحداثا ماضية، من بين قالته، قالته همسا وخجلا أتمنى لوعدنا صغارا، يدى

Edit with WPS Office

بيدك ونجرى تحت المطر ونتقافز ونغنى أغانى الصغار تحت المطر، يا مطره رخى رخى، ويارب الدنيا تشتى وأروح لستى . ضحكنا جاء الأبناء وأعدنا حكاوينا، وضحكنا جميعا من القلب، إمتد الوقت ولم نشعر به حتى إقترب الليل من الإنتصاف، إستأذنت بالإ نصراف، طلبت من ولداها أن يرافقننى حتى المنزل، خرجنا إبن يسير يمينا والآخر يسارا، بعد مسيرنا بحوالى مائتى متر، فوجئنا برشق بالحجارة من أكتر من جهه من الشوارع والحارات الجانبية مع سباب حاد وبألفاظ سوقية، ألقى الولدان بأنفسهم على الرشق إستمر هذا مع وعيد وطلب الرحيل عن القرية، لولا إلقاء الأولاد بأنفسهم على لكانت إصاباتى جسيمة، على أصوات الهرولة وبعض الحجارة التى أصابت بعض البيوت المحيطة، خرج الناس هرولوا وراء من يقذف بالحجارة أمسكوا بالبعض، أدخلونا أحد البيوت، أصيبت بجروح سطحية بالجبهه وبعض الخدوش المتفرقة، وأيضا الولدان ببعض الإصابات، قام إبن من أبناء الدار طالبا بالطب كما عرفت فيما بعد بمعالجة إ صابتنا، أرسل الحاج فراج العدوى صاحب البيت بإرسال من يستدعى العمدة على عجل، أتى مسرعا، أغلق إحدى الحجرات عليه وعلى من تم القبض عليهم ومعه الحاج فراج، ودخلت أنا بطلب منى رغم رفضهم بالبداية، أخذ العمده بسؤالهم، رفضوا النطق بإصرار لفترة طويلة ولما قال لهم العمدة، إن اعترافهم سوف يؤدى إلى تخفيف الأحكام عليهم أو ربما تتم تبرئتهم، قالوا أن فتحى البندارى إستدعاهم أثناء النهار بعشه متطرفه بأحد الحقول بعيدا عن العيون، وكلفهم بفعل هذا وأعطى كل منهم خمسمائة جنية، الإغراء جعلهم يوافقون حيث لا يمتلكون هذا المبلغ على مدار العام، كلهم قالوا ذات الكلام، العمدة مع بعض من خفرائه أخذوهم إلى مقر العمودية، وتم إبلاغ المركز الذى أتى منه أحد الضباط بصحبته بعض الجنود، تحقق الضابط من الواقعة بسماعه لهم مرة أخرى، أ خذهم وإنصرف، أما رشدى والولدان تم أخذهم بسيارة إلى أقرب مستشفى لعمل اللازم نحو جراحهم، كان معظم الأهل وأهالى القرية قد تجمعوا لمعرفة الحادث، بعض الأهل قرروا أن يثاروا ولكنه رفض وبشده، وقال بصوت عال أمام الجميع، هناك قانون لا نتعامل بأسلوبهم، لسنا بعالم لا تحكمة القوانين، بالصباح أتى مهرولا صالح الخليلى، جلس مع العمدة تناقشوا بالأمر، أصر صالح على ضرورة مواجهتهم وطلب الرحيل من القرية وقال،

=لدي ما يجعلهم يفرون، لدي فيديوهات لأفعالهم اللاأخلاقية، لممارسات جنسية لهم و لحقائب نقود وأسلحة تأتيهم تحت أستار الليل، كيف يا عمدة بين ليلة وأخرى يمتلكون أ راض ِ بلا حصر وبيوت على أعلى مستوى وسيارات ونساء وغيرها، أمهله العمدة وقتا لمعرفة ما تسفر عنه التحقيقات التى من المؤكد سوف تلقى إتهاما مباشرا وقويا على فتحى البندارى كبيرهم وأتباعه، بعدها نستدعى البقية ونطلب رحيلهم عن القرية.

تسارعت وتيرة الأحداث، العمدة ورشدى وصالح الخليلى بدأوا الجولات المكثفة، زيارات للوحدة الصحية، الجمعية الزراعية والمدارس والمعاهد الأزهرية، الجمعيات الاهلية و مركز الشباب الذى كلف فوزى البحيرى يالجلوس مع مسئوليه، تم الوقوف من خلال المسئولين عنها عن معرفة إحتياجاتهم وعن المشاكل التى تواجههم، بل جلسوا مع العديد من رجالات القرية المعروف عنهم الحكمة ومناقشتهم بكل الأمور والاستماع الى ارائهم ، بعدها قاموا بإعداد ورقة بها كل مطالب كل قطاع وتصور للحلول، وبعدها أ كملوا مسيرة الإستقصاء بالجلوس مع بعض المزارعين وبعض الشباب وبعض حملة القرآن، وتم الإتفاق مع أصحاب الدعوة المستنيرين أن يقوموا بعقد لقاءات منتظمة أ سبوعية وأن يوزعوا أنفسهم على كل مساجد القرية، للتوعية بتعاليم الدين الحقيقية

Edit with WPS Office

دون مغالاة أوتطرف، وكلف بهذا الاطار الدكتورأحمد عباده، وله أن يختار معاونيه، بعد معرفة وتحديد كل الأمور، تم الإتفاق على عقد لقاء موسع يتم دعوة نواب المجالس البرلمانية على كل مستوياتها، لوضع كل أمور القرية أمام أعينهم وبين أيديهم، وبحضور بعض أبناء القرية الذين ينتمون إنتماءا جادا لها ويهتمون بالمقام الاول بقضايا بلدهم، وفى نفس السياق تم محاكمة فتحى البندارى ومن تم القبض عليهم وحكم عليهم، أحكام نال منها فتحى خمسة عشر عاما للتحريض وتكدير السلم الاجتماعى، والآخرون بين الثلاث سنوات والعشر سنوات، وذات يوم ذهب صالح الخليلى برفقة العمدة إلى السجن الذى يقضى به فتحى سجنه، طلبا من المأمور السماح لهم بلقاؤه على إنفراد بعض الوقت، وافق جلسا معه حدثه صالح

= طبعا أنت أدرى بما فعلته سابقا، وأمامك سنوات الله أعلم كيف تمر عليك، وربما تخرج حيا أو لاتخرج إلا مجمولا، لذلك أدعوك بأن تدعو رجالك بمغادرة القرية والذهاب بعيدا، وإلا وإلا كررها مرات، ثم إقترب منه وأخرج هاتفه المحمول، وفتح ملف الفيديوهات مقاطع جنسية شديدة السخونه له ولبعض رجاله ومقاطع لسيارات فارهة تقف دوما قبيل الفجر أمام بيوت رجال فتحى وبيته أيضا، تنزل حقائب وأشكال آخرى من الأجوله، الله أعلم بما فيها، ممكن أموال وممكن سلاح، ممكن متفجرات وممكن منشوات، وجه إليه الحديث بعنف، أمامك أمران إما التنازل عن ما تملكته بالسنوات الا خيرة أنت ورجالك وذهاب رجالك بلا عودة، أمامك أسبوع وسنعود تكون أخذت قرارك الصائب، وإلا سوف أذهب بالفيديوهات للأمن الوطنى حينها لا تلوم إلا نفسك لأنها سوف تكون قضية أمن دولة، وأنت أدرى وتعلم ما يكون بعدها، فكر بعقل وأنتظر ردك، أ خذا الطريق بالإنصراف، ولكن فجأة عاود صالح الإلتفات نحو فتحى موجها الحديث إ ليه.

=أحب ان انبهك لعدم فعل عمل أحمق أو أرعن أو غير مسئول، حينها لا تنتظر إلا ردا وفعلا لاتتوقعه، اللهم أنذرتك اللهم فاشهد، وأسرع بالخروج العمدة تعلو وجهه علامات الدهشة والإستفهام، هل حقا تبدل صالح كل هذا التبدل من الشمال إلى اليمين، من الهدم إلى البناء، همس لذاته ربما تكون حقيقة صحوة ضمير ووعى، الله قادر على كل شيء ما بين طرفه عين وأخرى تتبدل الأمور سبحانك يالله، هناك بعض الامور قرر رشدى القيام بها ولتكن مفاجآت اللقاء، عكف إحدى الليالى على ديباجة وصياغة دعوة توجه للسيد المحافظ مع دعوات مماثلة لوكلاء الوزارة بكل المصالح، وعندما إنتهى من وصوله للصياغة المأمولة، عهد بها إلى إحدى المطابع المتخصصة، وإختار الشكل اللائق، وذهب صباح يوم آخر تسلمها ووضع بعض منها بمظاريف أعدها لهذا الغرض وذهب إلى مبنى المحافظة، دخل إلى مدير مكتب المحافظ أعطاه الدعوات، وطلب منه أن تتولى المحافظة توزيع الدعوات على وكلاء الوزارة ومن يرغب المحافظ بمرافقته، وشرح له أسباب اللقاء وأهدافه، وترك كارتا بإسمه وأرقام هواتفه، كان قد تحدد يوم الثالث من أ كتوبر لعقد اللقاء، عاد ولديه شعور طاغ بالحيوية، جلس أمام الحاسوب فتح البرنامج الذى يجعله يتواصل مع أبنائه صوت وصورة، هو حريص على إجراء هذا يوميا، مما يجعله ويجعلهم على تقارب بشكل ما، حريص أن يجعلهم شركاء أحداثه اليومية كان يحكى لهم تفاصيل كل شيء، هذا اليوم قرر أن يدعوهم للحضور قبل بداية أكتوبر، حادثهم ونبه عليهم بالحضور هم وزوجاتهم وأبناؤهم، الولدان متزوجان من أجنبيتين، والإبنه زوجها مصرى، أكد مرارا وتكرارا عليهم، أخذ الوعد منهم، تنهد تنهيدة إرتياح تام، أرسل بإستدعاء شاكر الذى حضر مسرعا، بالايام الماضية إنشغل عنه رشدى بما ينتويه،

Edit with WPS Office

قال له.

= أريد منك أن تاتى برجال العائلة، أرغب منهم أمرا مهما ولا تطلب منى أن أخبرك به، سوف تعرفه معهم، غدا بعد صلاة العشاء، أكد عليه بأهمية الأمر، خلد بعدها للنوم بهدوء تام وظلال السعادة تضئ وجهه، إلتفاف اهل القرية حوله وحضورهم اليه والاستماع الى فكره وأحلامه لهم جعل الجميع من كان على معرفة سابقة معه أو لم يعرفوه من قبل يوقن أن هذا الرجل هو بالفعل أيقونة القرية، تأكدوا أنه فعل وما سوف يفعله بلا مصلحة خاصة له فهو ليس بحاجة لهذا، يمتلك المال ويمتلك العلاقات ويمتلك الفكر، كل يوم يمر يزدادون تقاربا معه، كانوا يسعدون عندما يكلفهم بأى أمر بل كانوا يتسابقون، العمدة والقائمين على العمل معه كانوا ينظرون إليه نظرة تقدير لا متناهي لما يفكر به، أيام تذهب وأيام تجئ، إقترب الموعد، أتاه هاتف من المحافظة يخبره ويؤكد على حضور المحافظ ونوابه ووكلاء الوزارة، مع إعلامه أيضا بتواجد القناة التليفزيونية الإقليمية وبعض العاملين بعالم الصحافة، التفاؤل أصبح سيدا، أخبر الجميع بالخبر، وطلب إعداد جزءا مجاورا للسرادق يخصص لغذاء الوفود، وتم تحديد الطعام ومن يتولى الاشراف عليه، قام مدرسو التربية الفنية بعمل بروفه لمرات عديدة لتلاميذ المرحلة الابتدائية المختارين للإستقبال، وتم إختيار لجنه من كبار القرية وهو من بينهم لإستقبال زائريهم، قبل بداية شهر أكتوبر بيومين جاء الأبناء، كل بسيارته بكامل أسرته، شهد أهل القرية لقاء الأب بالأبناء والعناق الحار، والإندفاع لتقبيل يداه ووجنتيه، والدموع ترافق عناقهم والأحفاد شاركوا في الإحتفال، هو لم يرهم من ما يقرب من عامين ، وقف بهم أمام المنزل وهم يحيطون به وبعضا من أهل القرية على البعد يراقبون المشهد، التف هو إلى أسرته وتحدث.

=هنا كان ميلادكم، وهنا كانت أولى خطواتكم، وهنا كان أول نطق لكم بالكلام، ولكنى أ عترف أنى ذهبت بكم بعيدا، ولم أتى بكم دوما إلى هنا وأعترف أنى لم أنفذ طلب و الدتكم رحمها الله المتكرر والدائم بضرورة التواصل الدائم مع أصولكم وجذوركم، جاء الوقت والزمن الذى هو محدد من الله عز وجل لأن أجدكم هنا، أهلا بكم بأحضان أهلكم وعائلتكم، ثم تبسم إبتسامة القناعة والرضى، وأشار اليهم إدخلوا أول شيء سوف نفعله الغذاء، غذاء لم تعرفوه من قبل، غذاء مصنوع بالحب مغموس بالود وسبقهم بالدخول، وهم ورائه هم يرون أبا مختلفا، أبا لم تغيره السنون، بل وجدوه أكثر شبابا، روح جديدة تبدو من قسماته، من بريق عيونه ومن وقع خطواته، أدخل كل إبن إلى حجرة أعدها له ولإسرته، وكذلك الإبنة وزوجها وأولادها، طلب منهم تبديل ثيابهم والإغتسال لحين إ عداد الطعام، الطعام الذى أعدته إبنة عمه بدور التى ما إن علمت أن أولاده قادمون، أ قسمت ألف مرة أن تقوم هى بإعداد طعامهم طوال فترة وجودهم قالت مداعبة له. هم أبناء الغالى كيف لا أخدمهم.

Edit with WPS Office

غابوا بحجراتهم لأكثر من ساعة ما بين تبديل ثياب وإغتسال، ومحاولة التعود على جديد حياتهم، كانت بدور وبناتها يجهزن الطعام، أصناف عديدة ألوان أخرى من الأكل الريفى الشهى مطهى بالفرن البلدى الذى يضيف مذاقا ونكهة مميزة للأكل، طرق الباب بشده أسرع الى فتح الباب فوجئ بفوزى البحيرى، ووراءه صبية تحمل صينية بادره فوزى

=هل يعقل الأ يكون لى نصيبا بالإحتفاء بأولاد صديق العمر، أعددت لكم خروفا صغيرا مشويا على الفحم محشوا بالارز والمكسرات ألف هنا،

=يااااه يا فوزى لايفتك أي شيء جزاك الله خيرا تفضل بسم الله معنا،

=هذا ليس يومه ولا وقته، اليوم لهم مؤكد هم بحاجة لك وأنت بحاجة لهم،

تعانقا بشده، تم الإنتهاء من إعداد الطعام، أصر هو أن يوضع على عدد من الطبالى المرصوصة مجاورة لبعض نادى عليهم.

=يا وليد يامراد يا سميه تعالوا الاكل جاهز

فتحت أبواب الحجرات تدفق منها الكل، إحتارت زوجات الأبناء، كيف يجلسن وفهم هو المشهد سريعا أتى بوسائد وضعها، أشار لهم بالجلوس قائلا.

=مؤكد بعد الاكل سوف تكونون قمة السعادة وتتمنون تكرار نفس الحال، أعدكم بأنه سوف يكون طقس عائلى دائم طوال وجودكم، أشار اليهم بالأكل، أخذ يوزع الأكل على أحفاده وزوجات الأبناء و زوج إبنته، الزوجات الأجنبيات أصابهن نوع من الدهشة مما يرونه، لم يسبق لهن رؤية هذا الطعام من قبل، حدثهم مباشرة سوزانا، نورهان تفضلوا و الله لن تتنازلوا فيما بعد عن مثل هذا الطعام ألف هنا،

الأحفاد أسرعوا بشهية وعيونهم مليئة بالسعادة رغم جهلهم مسميات الأصناف التى يأكلونها، طلب من أبنائه أن يعرفوا أولادهم صنوف الطعام، الطعام تخلله الحديث عنهم وعن حياتهم، إكتفى هو بلقيمات قليلة ونهض جالسا على الكنبة المفروشة جيدا، عيناه تحيطان بالملتفين حول الطعام، بين اللحظة والأخرى يطلب منهم الأكل، لا أريدكم ترك أ ى شيء، سوف أكتفى أنا بتكحيل عيونى بكم، يدفئنى وجودكم شمسكم أذهبت برد أ يامى ولياليها بحضوركم، الجميع كان يشعر بحالة لم يشعروا بها من زمن، الضحكات المتصاعدة من القلوب بصفاء، بالعيون التى زاد بريقها، بعد الإنتهاء من الطعام وغسل الأ يدى، طلب العصائر والمشروبات حسب رغبة كل منهم، طلب من أحفاده ان يجلسوا بجواره، أجلس أصغرهم إبنه سمية ذات الستة أعوام على حجره والباقين حوله، مد ذراعية يحتويهم ويضمهم، يمرر يده على وجوههم ليتحقق أنه واقع، يمرر يده على شعورهم يميل هنا وهناك لتقبيل أحدا منهم ومنهن يهمس لنفسه، أنتم ربيعى وأنتم حلمى، دخلت بدور عليهم.

=أى طلبات آخرى تحت أمركم بارك الله بكم جميعا،

أشار لها بالإنتظار، وجه حديثه للجميع،

Edit with WPS Office

=مؤكد لا تعرفون من هذه، هذه عمتكم بدور إبنة عمى، لنا معا حكايات الطفولة أصرت على عمل كل شيء لكم، سلموا عليها يا وليد أنت ومراد وسمية قبلوا جبينها، لبوا طلب أ بيهم، إنصرفت وتجمعوا حوله صمت تماما، إكتفى بمزيد من النظرات لهم الأحفاد إ ستكانوا بين أحضانه ، تحدث وليد،

=يا حاج نحمد الله أنكم بصحة وسعادة ، يبدو أن الأجواء هنا أعادت لك الشباب، رغم أننا على تواصل معك يوميا صوتاً وصورة، ولكن الواقع غير العالم الإفتراضى، اللهم لا حسد رأيناك أكثر شبابا وإندفع هو ومراد وسمية إليه يشبعونه قبلات حتى نالت دموعهم المشتركة فرصة وحرية التعبير،هذا المشهد جعل الزوجات يشاركن بدموعهن بإ حتفال الأشواق، قال هناك أمورا لا نعيها الإ حين عودتنا بعد غياب،عندما تجد قلوبا بيضاء، عفوية، عندما تجد أجواءا غير مصطنعه تضخ حياة دافئة أنتم لو لديكم استعداد نتجول قليلا لتتعرفوا على بلدكم وأهلها، لتروا بأعينكم صحة كلامى على أرض الواقع، وأشار الى إبراهيم زوج إبنته الذى إكتفى بتأمل المشهد عن بعد،

=إبراهيم ما بك يا إبنى، أنت منا ولست غريبا عنا، أعتذر إن كنت إنشغلت عنك سامحنى،

نهض إلى أحضانه مقبلا وجنتيه،

=ماذا تقول يا حاج أنت أبى قبل أى شيء، والله أعلم بمكنونى لك، هذا موقف لك ولهم الحق به، وأنا لا أبالغ ان قلت أن كل هذه المشاعر إنتقلت الى، ربنا يبارك بك يا حاج ثم نظر الى زوجته وقال ضاحكا.

=يكفى أنك اهديتنى أجمل هدايا العمر هذه الزوجة الرائعة، أنا من يشكرك إلى آخر العمر على هديتك،

لكزه مراد المعروف عنه من الصغر أنه شقى ومشاغب ويحب المداعبات.

=يا إبراهيم أنت شديد الذكاء، تقدم السبت من أجل باقى الاسبوع، خبيث من يومك.

علت ضحاكاتهم، تساءل الأبناء عن سبب هذه الدعوة العاجلة، لا تتعجلوا سوف تعرفون وترون على أرض الواقع، أولا انتم ما جديدكم

تحدث وليد.

=أنت تعرف عنا كل لحظاتنا، تعيش معنا كل الوقت، الحمد بفضل دعواتك ودعوات أمنا رحمها الله، كل أمورنا مستقرة ومميزة، كل يوم يأتى لنا بخطوات وثابه لم نتوقعها، إ جتهدنا وطورنا من أنفسنا علميا، نحن دوما فى خضم الجديد فى مجال تخصصنا، أنا بعلم جراحات الاورام، ومراد بتخصصه مجال الاشعة، تواجدنا دوما بكل المؤتمرات بـ المانيا أو خارجها، لنا أبحاثنا التى تدرس بجامعات دول كثيرة، ولنا كتبنا التى تؤخذ كمراجع لأبحاث علمية جديدة، والأولاد لهم مكانة مميزة بمدارسهم وهواياتهم، بجانب الدراسة، أكرم إبن مراد عازف بيانو ماهر ومشارك مع فريق يتبع أكاديمية فنيه، وأحمد إ بنى رسام دوما مشارك بمعارض تتنقل بين المدن الالمانية وقريبا سوف يشارك بمعرض بالنمسا، وأمنية ابنتى لها ميول أدبية تكتب القصة، ومع الأيام سوف تجد لها مشاركات

Edit with WPS Office

بصحف ومجلات، بقى رشدى الصغير إبن مرادلاعب فوتبول بإحدى الأكاديميات التابعة لأحد الاندية المشهورة، ربما نراه قريبا نجما بهذا الإطار، وأبناء سميه على مدى علمى ياسر متفوق علميا يعشق معامل الأبحاث، ووسام كما علمت تميل لعالم البالية، لا تقلق يا حاج من كل بستان زهرة، تنهد بعمق وقبل راحتى يده ورفع يده إلى أعلى،

=أحمدك يا الله اللهم باركهم وأسعدهم وأسعدنا بهم، أمن الجميع على دعواته، عاود التساؤل.

=هل لديكم إستعداد لجولة اليوم أم تستريحون وتكون غدا بالصباح الباكر، إختاروا الإ ختيار الثانى، قضوا الوقت فى حكاياه عن الأيام التى عاشها بعد عودته ومابها من أ حداث، إنصرف الجميع إلى حجراتهم، طلب منهم ترك الأحفاد معه لبعض الوقت، أخذ يحكى لهم عن العائلة ورحلتها، العيون شاخصة اليه، يتابعون الحكى بدهشة وسعادة حتى ناموا أمامه نادى أولاده لأخذهم، عندما تحقق من خلود الجميع للنوم خرج قاصدا بيت شاكر الذى كان يأتيه كل يوم مؤكدا على إستعداد العائلة للقاء معه، ولكنه لمرات طلب منه إرجاء الأمر لحين وصول الأبناء الذى يتمنى أن يتواجدوا معه، طرق بابه فتح شاكر، رحب به قال متعجلا.

=لا وقت أطلب منك اللقاء مع العائلة غدا بعد صلاة العشاء بقاعة المناسبات، أكد عليه ا لأمر مرارا، شاركه شرب الشاى وتطرقا للحديث عن لقاء القرية، طلب منه قيام شباب العائلة بالمشاركة مع شباب القرية بالتنظيم وإستقبال الضيوف، إستأذن منه فهو يرغب بالتجول قليلا مع هدوء الليل، رفض شاكر أن يكون بمفرده خرجا سويا، وجدا صالح الخليلى مقبلا عليهم إستقبلهم بقوله،

=أستاذ رشدى هناك أمر هام لا ينتظر

دعاه للدخول جلس ثلاثتهم،

=خيرا حاج صالح

=خيرا بأمر الله، أنا حبيت تكون أنت أول من أبشره، تعرف مسعاى الدائم بالضغط على فتحى البندارى وأعوانه بالتنازل عن بعض ممتلكاتهم ومغادرة القرية، الحمد لله النتيجة أتت بثمارها، تنازلوا كتابة عن أكثر من نصف ما يملكون، معظم العقارات التى أقاموها خ لال السنوات الأخيرة، ورفضوا أن يتركوا الأرض الزراعية التى فوضونا بشئونها شريطة أن نعطى إيرادها لأهلهم ولأقاربهم، وهذا كله تم توثيقه مع محام إختاروه بالشهر العقارى، وهذه هى الأوراق، وأيضا سوف يغادرون القرية مع تعهد منى أن من يعود لصوابه وتأتينا أخباره بأنه بالطريق الصائب أهلا به غير هذا لا،

= مد يده بحافظة أوراق، أخذ رشدى بنظرها بروية، كلما قرأ ورقه زادت مساحات البشر على وجهه إنتهى تنفس الصعداء،

=الحمد لله، أمر جيد ومحمود تشكر عليه أخانا الفاضل، جاءت هذه الامور بوقتها، ما رأيكم أن نجعل من هذه العقارات مراكز تعليمية مجانية، ومراكز صحية، ونقيم ببعضها مشاغل تطريز وخياطة، وبالأدوار الأرضية، ورش إنتاجية للأخشاب، فقط كل هذا بعد

Edit with WPS Office

موافقة المحافظ وأصحاب الشأن

أثنوا جميعا على الفكرة، طالبهم بعدم معرفة هذا الأمر إلا عند اللقاء، ووجه الحديث لصالح.

=أنت من تعلن هذا مع المستندات أمام الجميع، بقى خمسة أيام ويحدث اللقاء الذى نأمل من ورائه الكثير والكثير، نهض شاكر وصالح بالانصراف، دخل فراشه أخذه الفكر بـ القادم تمناه خيرا، وغلبه النعاس فرحب به.

عندما داعبت خيوط الشمس المارة عبر فجوات النوافذ، وأتته زقزقات العصافير متعددة النغمات، إستيقظ نشطا بشكل لم يعتده ، نسى آلام ظهره التى تنتابه بين الحين والآخر، إنتظر قليلا من الوقت، طرق أبواب غرف أولاده، مناديا بهمس أن يستيقظوا للصلاة، أتوا على عجل دخلوا للوضوء، إصطفوا ورائه، وليد ومراد وإبراهيم زوج ابنته، أ ما الأحفاد فطلب منهم أن يشاهدوا طقوس الصلاة لأنهم سوف يتواجدون معهم بالمرة القادمة، أم الصلاة وبعدها كانت الدعوات إلى الله بتسير الأمور وبركتها، أمر الجميع بإ عداد أنفسهم لجولة صباحية بربوع القرية، حتى يتم إعداد الإفطار، تأهب الجميع للخروج، سألهم.

= تحبون أن نسير مشيا أم بالسيارات، هتف الأحفاد مشيا يا جد، نريد أن نرى كل شيء بلا تعجل وافقهم الرأى الجميع سار معهم، دخل بهم بين الحقول، مازال الندى تتساقط قطراته الباردة تداعب أرجل ووجوه الجميع حدثهم الجد.

= هنا كان يبدأ يومنا بالمذاكرة قالوا لنا أن هذه الفترة هى التى تزيد من الإستيعاب و الفهم، لذا كنا نرى أعدادا كبيرة من كافة الأعمار، كل ممسك بكتابة يقرأ همسا أو بصوت عال حسب ما تعود، الأحفاد كانوا يميلون على الزراعات الموشومة بقطرات الندى ويتبـ ادلون الضحكات، كانوا يتسابقون بالجرى بفرح بين فواصل الأراضى، بوصولهم إلى الترعة الكبيرة التى تمر بين الحقول، وقف بهم أمام الشجرة المنحنية والواصلة بين جانبى الترعة، حكى لهم ما حدث له وهو صغير مقاربا لأعمار بعض الأحفاد، حين سقط أثناء محاولة العبور وإختباؤة بين المزروعات لحين جفاف ملابسه الذى إستمر وقتا طويلا، تعالت ضحكاتهم علق مراد،

=أول مرة نسمع هذه الحكاية، الأحفاد يفتحون خزائن الحكايات والماضى، ومال على أ بيه متحضنا إياه بعمق، شاركه الآخرون الفعل إلتفوا حول الجد، طلبوا من ابراهيم أن يقوم بتصور اللحظة بالموبايل، ونفس الحال قام به وليد، ساروا منبهرين بالمشهد، كلهم لم يعرفوا هذا المشهد على الإطلاق، أولاده خرجوا من القرية بأعمار صغيرة وزوج إبنته إبن مدينة، شاهدوا المزارعين يسحبون وراءهم ماشيتهم، البعض يركب الحمار والبعض سائرا، الجميع يلقى التحايا عليهم، تحايا ممزوجة بألفة وحب دون أى تزييف، وقف بهم أمام كوبرى مقام على الترعة، على طريق ممهد يؤدى إلى التوابع والقرى المجاورة، أشار لهم من هذا الكوبرى إلى كوبرى آخر ببداية القرية، كل هذه الأراضى كانت ملك أبى رحمه الله، بعضها ملكه الخاص وبعضها كانت عزبة ملك أحد الخواجات كان أبى يشرف عليها وبين الحين والآخر يشترى جزءا منها، تبقى منها حوالى خمسين فدان، كان ينوى شراءها، ولكن سامح الله أخى الأكبر غير الشقيق، أوعز له أهل زوجته، أن يتصدى لوالده ويتحداه ويطلب منه أن يتنازل له عن مسئوليتها، إختار وقتا يتواجد به كل

Edit with WPS Office

المزراعين المجاورين لهذه العزبه وواجه والده طلب منه هذا، أكيد رفض الأب بشده، فما كان من الإبن ويجاورة عدد من إخوة زوجته أن قام بصفع والده، هذه الصفعة كانت أساس وسبب مرض الأب، تغلغل المرض الخبيث به، عانى به سنوات كانت صرخاته تعلو بشكل مؤلم أنا واثق أنها كانت صرخات وجعه مما أصابه من جراء الصفعة، أعلن تبرؤة من هذا الإبن، وقد كان وبعد موت أبى لم يرتح هذا الأخ مطلقا، نبذه الجميع، قاطعوه، ثم اللّهم لا شماته، مات له على حياة عينه ثلاثة من أبنائه بعمر لا يزيد على الرابعة عشر، مرض بحسرته عليهم، ثم أصابه عدد من الأمراض وعاش منزويا لا أحد يزوره إلا أهل زوجته، ذهبت البركة عن بيته، فرضا الأباء والأمهات من رضا رب العالمين ، ولكننا كنا نرسل لهم الأموال بين الحين والآخر، ومات اللّه يرحمه، نزلت بعض الدمعات من عينيه، واصل بصدق لعلها المرة الاولى التى أبوح بها بهذا، ربما رسالة منى أن بر الوالدين بركة لاتذهب ولا تنتهى إن تمسكنا به للأبد، هذه المساحات الشاسعة تقلصت عاما بعد عام، أبى رحمه اللّه كان كريما فوق الوصف وفوق التصور، أى عامل لديه ينوى الزواج يعطيه مساحة أرض يبنى عليها منزلا ويزرع البقية، كان يفعل هذا بشكل رسمى موثق وأيضا كان يبيع أجزاء لسداد ديون بعض عائلته وأصدقائه، ألم اقل لكم كان كرمه غريبا، وعندما يجادله أحد، كان الرد لا يزيد عن جمله واحده، الملك ملك اللّه، لا نملك منه شيء اللّه يرحمه، الأبناء والأحفاد مذهولين مما يسمعون، طالبهم بالعودة أكيد بدور قد أعدت كل شيء للإفطار، أخذوا الطريق للعودة سعداء وسابحين ببحر تخيل ما سمعوه، وجدوا الإفطار جاهزا، الأمر الغريب أن الزوجات ومعهم سمية يساعدن بتجهيز ه الجبن الفلاحى، طواجن اللبن الرائب بالقشده الطازجة وقشدة بمفردهاعسل أبيض وبتاو، وأيضا ما يطلق عليه إسم العيش الخاص، جلسوا جميعا مع إصرار منه على جلوس بدور وبناتها معهم، تشعب بهم الحديث بأمور شتى، وإسترسلت بدور بالحكى عنه كثيرا، أشارت أن لقب الأستاذ إلتصق به من عمر العاشرة دون طلب من أحد، الضحك الصافى كان شريك طعامهم،

الأحفاد أخذت تحكى ماكان من تجوال وحكاوى الجد، الزوجات كانت تستمعن وعلامات الدهشة تحتل كل مساحات وجوههن، كانت ضحكاتهن تعلو دون إفتعال، على القرب منهن كانت تجلس بدور تسمع وتشاركهن البسمات ولما وجدت أجواء السعادة تغلف المكان، أعطت لنفسها الحق بالتدخل والحكى لزيادة مساحات البهجة،

=من سنوات لا أعرف عددها، كانت القرية لا يوجد بها كهرباء، ما كان يوجد هو قليل من اجهزة الراديو بالبطاريات، وكان عددها قليل ببيوت بعض الأثرياء، كنا نجلس بجوار هذه البيوت على عتباتها وتحت النوافذ، نسمع التمثليات والأغانى، وكانت هناك تسلية آخرى تقام على فترات أحيانا كبيرة وأحيانا قليلة، كانت تقام حاجة تسمى السبتية عرفنا بعد هذا أنها سميت بهذا

الإسم لأنها كانت تقام دوما أيام السبت أمام أحد أضرحة الأولياء الموجودة بالقرية القرية بها ثمانى أضرحة موزعة على كل جنبات القرية، مراجيح، العاب النيشان، باعة قصب، باعة طراطير ومزامير وبالونات، أقنعة وشوش وباعة حلوى من كل الأشكال، مديح، تنورة، رقص، غناء شعبى، كنت تجد القرية قد أفرغت ما بداخل البيوت إلى هذا

Edit with WPS Office

المكان، كنت تجد شيوخا يرقصون، يصفقون، على خلاف ما تعود الجميع معرفته عنهم، كل شيء مبهج، ولكن لأن لكل شيء عيوبه ،كانت السبتيه سبيلا للعبث، تجد شبابا بـ الزحام يتحسسن أجسام الفتيات، تجد شبابت يتخذ بعض الأماكن البعيدة عن الإضاءات المنبعثة من الكلوبات والمصابيح، لينال بعض القبلات والأحضان، وربما مواعدات للأكثر، كانت هذه الليالى وسيلة لتغيير شكل الدنيا ، نحن تعودنا على العمل بالحقول،لا اكثر، الإ ا بعض من يعمل كموظفين، وكانوا يعددون بهذا الوقت قليلا يعد على أصابع اليدين بالأ كثر، ولكن رغم التعب والعناء تجد الضحكات شريكة بكل شيء، إن مررت على حقل تجدهم يغنون، ان رأيتهم عائدين من العمل يجرون مواشيهم وراءهم يغنون، وهم يخبزون واللّهيب يلفح وحوههم يغنون، الغناء عنوان كل حياتهم، هذا كله قل كثيرا، زادت الهموم وزادت المسئوليات، ورغم ذلك الكل هنا لديه كثير من الرضى والقناعة، وهما كافيان لتوافر البركة داخل البيوت،

الكل يسمع بإنصات تام مشمولا بالدهشة، بعض لحظات صمت إعترت الجميع، وجهت حديثها إلى رشدى الذى كان جالسا محتضنا أحفادة بمزيد من الحنان ومداعبا لهم، ق الت،

=لو سمحت يارشدى أتمنى نسهر ليلة مع ضيوفنا زوجات أبناؤك وسمية إبنتك وأولا دهم، نجهز سهرة لهم فقط اليوم إن وافقت وذلك أثناء إنشغالكم مع لقاء العائلة، أعطاها الموافقة، زوجات الأبناء تعانقتا، همستا لبعضهم أثناء العناق، هل هذا عالم غير الذى نعرفه، كاننا بعالم من الأساطير، عالمنا عالم لا دفء به، كله برودة هنا شمس المشاعر دوما ساطعة لا تخبو جذوتها أبدا.

Edit with WPS Office

،،النائب،،

بإحدى أمسياتنا ونحن نجلس على كومات قش الارز بالسطح بصحبة صديق العمر فوزى البحيرى، فاجئنى بفتح آفاق نقاش حول النائب الأسبق، إبن القرية المجاورة، بـ الحقيقة وبلا إدعاء منى إعترانى بعض الإمتعاض، وهذا أمر أشعره كلما ذكره أحد أ مامى، ولكن هناك حقيقة لا يجب إغفالها، أن أبيه رجل صالح يشار له دوما بكامل الإ حترام والإشادة بورعه وتقواه وكرمه، وإحتوائة ورعايته للكثير من العوائل التى طحنها الزمن، يفعل هذا سرا، أيضا حرصه على توزيع حصة من منتجاته من العسل ومشتقاته، وما يحصده من محاصيل على فقراء القريتين قبل أن تدخل إلى مخازنه، إن دخلت إلى قاعة الصالون المتسعة، تجد بالصدارة صورة للأستاذ الإمام محمد عبده، ف الشيخ أحد أحفاد أخواله، ولكن كما يقولون، يخلق من ظهر الحكيم أرعن، ومن ظهر الوارع فاسدا قلت يوما أن الشيخ إن رحل عن الحياة سوف تذهب معه البركة وأضواء هذا البيت رغم ميراثه الإنسانى الضخم وقد حدث بالفعل هذا بعد وفاته لم نعد نرى العشرات من الناس يأتون إلى البيت، من كل المستويات، كان هذا فعليا، كل ما يمر بـ البيت يترحم على صاحبه الذى كان عصاميا بدأ من أسفل سلم العمل حتى صار رائدا بصناعات العسل ومنتجاته، وربما هذا وذاك إبتلاء من رب العزه، النائب، إبن ترتيبه السابع أو الثامن من بين أبناء الشيخ، الذى انجب ثلاثة عشر إبنا وإبنه من زوجة واحدة، الشيخ الأب زرع بأولاده كل سماته، هناك من عمل بها، وهناك من تغافل عنها، النائب مرتضى النمر، كان من بين من شردوا، عاش حياته بالطول والعرض من بداياته، إلتفت حوله مجموعة هدفهم الأسمى هو الإستفادة من أمواله التى لا تعد ولا تحصى، قادوه إ لى طريق غير الطريق، سهرات ماجنة ولكن ما يجب أن نعترف به انه كان جيد التغيير، نهارا جادا ويسير على منهج أبيه وغالبية إخوته، أما ليلا فحدث ولا حرج، يخلع العباءة ويرتدى رداء المجون والعبث، أو كما يشبهونه بعض أهالى القرية ومن يجاورها، أنه ممثل بارع على مسرح الحياة، رفقاؤة ليس يبدون حبا صادقا له، بل بحثا عن مزيد من ا لإنتفاعات والسلطة ممكن تسميته حبا مسبزف الدفع، زرعوا برأسه أن يترشح لعضوية مجلس الشعب، وسمعه عائلته وأباه وعلاقاته المتميزة بغالبية أهالى الدائرة سوف تساعده كثيرا بالنجاح، سارع بناء على نصيحة البعض بالإنضمام إلى عضوية الحزب الحاكم، أغدق الاموال على الحزب على مسمى تبرعات، وللأسف هذا منهج سائد بكل بلا دنا العربية، إستطاع بأموالة أن يتقرب إلى قيادات الحزب بل وصل بهم الأمر الى المجئ عديد المرات لزيارته، وحضروا معظم مؤتمراته الإنتخابية، بالإلحاح أقنعوه، تقدم للترشيح ولأول مرة وربما تكون الأخيرة إلتفت كل القرى حوله، وأنا أيضا حبا بالشيخ وأخ له رفيق دراستى والذى أطلقت عليه إسم محمد إنجلش، لأنه كان يردف كل كلمة عربيه بأخرى إنجليزية، شاركت بحملته رغم عدم قناعتى بفكره ولا بأهليته ليكون نائبا قادرا على التعبيرعن مطالب الأهالى وقضايا الوطن، كنت من يرتب له الدعاية الإعلامية بحكم علاقاتى القوية مع رجال الإعلام، كنت أتأمل الملتفين حوله أثناء جولاته، أجدهم ممن يأكلون على كل الموائد، هتفيه أصحاب حناجر قوية ولكن لكل شئ ثمن، أموال وأطعمه وألبسه وكثير من الأمور الأخرى، وصل الحال ببعض مرافقيه أن أقاموا عقارات ذات طوابق متعددة، ومنهم من إشترى أراض زراعية، ومنهم من فتح محلات تجارية، وأحمد الله أنى فعلت مافعلت دون أن أسمح له أو لنفسى بان يقدم لى مقابلا، سارت الأ مور كما تمناها، نجح نجاحا ساحقا، أقام إحتفالية النجاح، ذبح الكثير من الذبائح وقدم هدايا، أتاه الكثير من رجالات الدولة، بمرور الأيام وجدت جفاءا بالتعامل معى بلا سبب، تجاهل تام كنت أيامها عضوا بأكثر من لجنة من لجان الحزب، ورئيسا لبعضها فوجئت

Edit with WPS Office

بتقلص دورى الحزبى، لم يدر برأسى أنه وراء هذا، ولكن إتضح الأمر حين تقدمت لإ نتخابات لجنة الثلاثين على مستوى المحافظة بالحزب، كنت أقف بجواره لحظة الإ نتخابات، فوجئت بأن أحد رجالة يأتى إليه ويفتح أمامة ورقه بها بعض أسماء المرشحين، لمحت ما بها من أسماء، لم يكن إسمى من بينهم، سمعت همس رجله مبروك ياباشا كل رجالنا ناجحون، لم أعلق، وأثرت الإنتظار حتى تنتهى الأمور، أبلغونى بعد إ نتهاء الإنتخابات بساعات أنى من بين الناجحين، إرتحت لنجاحى رغم ما إتضح من تخطيط لإسقاطى، ولكن بعد ساعات عادوا الإتصال وأبلغونى بأنهم قد أخطأوا وأنى لم أنجح، ساعتها لم أشعر بى إلا مهرولا ً لمقر الحزب والإندفاع الى أمين عام الحزب بـ المحافظة، وإتهمته علانية بالمشاركة بالتزوير، وإنصرفت كاتبا إستقالة مسببه أرسلتها إ لى الأمانة العامة للحزب وللرئيس بإعتبارة زعيم الحزب ولأمين التنظيم ولأمين لجنة السياسيات ولأمين عام الحزب، ولم أفكر بشأنها وما تم بها، إلى أن إلتقيت مصادفة بأ مين عام الحزب الذى طلب منى أن التقى به لتوضيح الأمور، وقال سوف أتصل بك لتحديد الموعد، وللآسف بعد أيام قليلة أصابه المرض، وبعدها غادر الحياة رحمه الله، بإ ستقصاء الأسباب علمت أن النائب هو من كان وراء هذا، بإيعاز من المنتفعين حوله، بزعم بأننى سوف أزاحمه بالمرة القادمة بالترشيح وهو للأمانة أرض خصبة وصالحة لزرع أى أفكار داخلها، لم أترك الامر يمر مرور الكرام، واجهته وإتهمته وأقسمت له انه لن يرى العضوية مستقبلا، وقد كان مرة وحيدة وإنتهت ولكنه أصبح هدفه تشويهى، وضع العراقيل أمامى، كلف رجالة بإطلاق الشائعات ضدى ومنهم كان صالح الخليلى، ضخ أ موال لأجل النيل منى، تأجج الموقف وثارت ثائرة عائلتى وبعض رجال القرية، ولما إ حتدم الأمر ومنعا لمشاحنات مؤكد ستحدث إبتعدت، ومازلت للأن بحالة جفاء معه، نلتقى مصادفة بعزاء أو أفراح نصافح بعض بكل الفتور ومازال الجفاء متصلا للآن،

Edit with WPS Office

،هوامش حياتية

إعتدنا قضاء بعض الليالى بأعلى السطح، بليلة قمرية ليلة تمامه، ذكرتنى بلعب الكرة على ضوء القمر، أخذنا نستعيد بعض المشاهد التى مرت بنا أيام الطفولة وبدايات الشباب، كانت تنتابنا حالات من الضحك المتعالى والهستيرى وأحيانا الدموع التى تطفر من عيوننا، من بين ما ذكرنى فوزى به تساؤله هل تتذكر حبك الأول، رددت مؤكد من منا ينسى حبه الأول، حتى لو كان حب مراهقة وبلا أمل مؤكد أتذكر، كنت بأول الدراسة الثانوية، ربما بالعام الأول، كانت من قرية مجاورة بأواخر

أعوام الدراسة الإعدادية، إبنة رجل له مكانته بقريته المجاورة، عمدة من الذين لهم ثقل، بدأنا بالنظرات المتبادلة عن بعد لأيام ثم أخذت بالتقارب معها، بالجلوس مجاورا لها بـ القطار، أوعزت لك يا فوزى بأن تقفز فور وقوف القطار وتحجز كرسى كاملا لى ولها، ثم أشير اليها بالجلوس، لأيام لم أنطق بكلمة، كنت أكتفى بالنظرات، ثم سألتها فجأة بلا مقدمات ممكن أتعرف بك، إعتلت حمرة الخجل وجنتاها، وأطرقت لأسفل، وهمست بصوت لا يكاد يسمع، ماجدة، قلت متجاوبا وأنا رشدى تحدثنا عن دراستها، عن هوايتها وعن أحلام مستقبلها الدراسى، التقارب حدث بسرعة، أخذت أوصلها حتى مدرستها، وأ نتظرها، نمشى المسافة بين المدرسة ومحطة القطار نتبادل الأحاديث، لم أسمعها كلمة حب، لأنى كنت مؤمنا أن الحب ليس كلمة تقال ولكنه يحس، طال أمرعلاقتنا لمدة تقارب ثلاث سنوات، وفجأة بلا مقدمات وجدتها تبتعد، وتتعمد عدم ركوب نفس القطار، وتصاحب بعض الزميلات أثناء الذهاب أو العودة من المدرسة، صار محالا أن أقترب منها، حاولت مرات ولم أفلح، إلى أن سنحت فرصة ذهابها لدرس، إقتفيت طريقها واجهتها، لم تنكر قالت أنها لا تريد الإستكمال والإستمرار، حاولت أن أعرف السبب لم أ فلح، أهنتها يومها عندما رفعت خصلة الشعر التى تغطى جبينها، وصرخت بها هل تظنين أنك جميلة، إنظرى لجبينك بالمرأة تعرفين ماذا أنت، لست جميلة، وصل بى الأمر ، أن سجلت بكاسيت بعض الشعر عنها، ضحكت ونظرت له هل تتذكره، ضحك بشده أ تذكره بشده يومها وقفت بجوارها وفتحت الكاسيت،

=يا إبنه من كان بالأمس نجارا، وصار اليوم عمدة لا أدرى كيف صارا

، تشابكت ضحكاتنا، وتلاقت أكفنا وإستلقينا على ظهورنا ضحكا بشكل متصاعد أكملت.

=عرفت فيما بعد أنها تعرفت على طالب بكلية الطب ثرى فوق الوصف وسيارة فارهة وبعض الهدايا، ونسيتها أو قل تناسيتها، مرت الأعوام وأنا أتجاهل أى أمر يخصها، حتى إلتقيت بها يوما مصادفة، وجدتها حاملا إقتربت منها هنأتها بالزواج وداعبتها، أتمنى تسمية المولود باسمى وتبادلنا البسمات، هى تزوجت أستاذا جامعيا لأن طالب الطب خذلها وكانت بالنسبة له مجرد وقت، علمت فيما بعد أنها فعلا أسمته رشدىومن يزمها لم أعرف عنها شسئا ولم أكلف نفسى بمتابعة أخبارهاz

صرخ فجأة جد هذا حدث!

أقسمت له بصدقى وقلت له أسأل، أخذنا الصمت وصدور بعض الآهات من صدورنا ربما شوقا وحنينا، وربما ألما لأن أحلام الصبا تضيع دوما،

Edit with WPS Office

ذكرنى بصديقنا منصور الذى كانت كل كتبه وبكل صفاحتها إسم من يحبها، إسمها وما يرادفه من أسماء دلع، وصديقنا الذى كان يكتب بالحجارة أو أوراق الخس أو أى نوع من الخضراوت إسم من يحب أمام بيتها، إلى أن ترصد به أباها ذات ليلة وأمسك به وربطه بشجره أمام منزلة، وتركة من المساء حتى الصباح وناله من الصفعات ما يكفيه عمرا كاملا وأتذكر جلوس فتيات ونساء أرامل ومطلقات بمقتبل العمر يجلسن أمام أماكن إقامتهن يضعن أقفاصا من الجريد عليها صوانى تحمل بعض أصناف الفاكهة و الخضار، على مقربة منهم لمبة نمرة عشرة مضاءة بالجاز، فايأمها لم تصل الكهرباء إلى القرية وغالبية القرى، وتسكع بعض الشباب والجلوس معهم والتحاور معهم إدعاءا ا لشراء سبيلا للحصول على ملامسات وربما يصل الأمر إلى مواعدات للقاءات تحدث بينهم، حكايا وحكايا كانت تنعش لياليا، الحكايا أيا كانت مبهجة أو حزينة فهى تجدد الذاكرة وتنعشها.

Edit with WPS Office

.،أيام دافئة

القرية تعيش أياما تاريخية، الجميع دون إملاء أو توجيه خلية نحل تعمل، حتى أنهم قسموا أنفسهم مجموعات عمل، مجموعة لمتابعة تمهيد الشوارع، مجموعة لمتابعة إ قامة اللافتات الترحيبية بأماكن مميزة، مجموعة للإطمئنان على تجهيز السرادق بكافة متطلباته، مجموعة تستعد لتكون بإستقبال الضيوف وتوجيههم الى أماكنهم، مجموعة تشرف على ما يتم إعداده من أمور الطعام والمشروبات، مجموعة لإعداد الهدايا التى تقدم للمسئولين، مجموعة لتجهيز دروع تحمل إسم القرية تقدم لكبار المسئولين، الكل يريد أن يكون له دور حتى لو بسيطا، تحولت القرية بلا إعداد مسبق إلى الكل فى واحد، العمدة تفرغ تماما للإشراف يشاركة بعضا من شباب ورجال القرية، بلقاءات دائمة مع رشدى وصالح الخليلى لدراسة ما تم وما يستجد، هذه الروح جعلت القرى المتاخمة لها تشاهد على أرض الواقع وبدهشة وإنبهار، الحدث يقترب والكل متلهف عليه وعلى نتائجة المرجوه ، رشدى يروح ويجئ بين التأكد من كل الامور وبين أحفاده، فى المساء وبعد صلاة العشاء، أخذ ولديه وزوج إبنته ذاهبا إلى قاعة المناسبات حيث لقاؤه مع العائلة، وجدهم بإنتظاره، بعد التحايا جلس متحدثا اليهم،

=جمعتكم اليوم لعده أمور تخص العائلة وتخص القرية، حتى لا أطيل، أول أمر هذه القاعة، من الغد تعد صورة كبيرة لجدنا الاكبر الشيخ حسن الصلاحى، تكبر إلى حد كبير ويتم تعليقها على القاعة مكتوب عليها قاعة الشيخ حسن الصلاحى وعائلته ثم لندرس تجديدها من كل شئ، ثانيا نحن كعائلة لابد لنا من كيان قائم على أرض الواقع يظل شاهدا تاريخيا على عائلتنا، ومن أجل هذا أرجو أن نبحث عن قطعة أرض بمساحة كبيرة لا تقل عن عشرة قراريط، لإقامة مؤسسة آل الصلاحى للخدمات الإنسانية، بها مستشفى مجهز من كل شيء، غرف عمليات على تعدد أنواعها، حضانات أطفال و تخصصات شاملة، معامل تحاليل ومراكز أشعة، وبالأدوار الأولى ورش إنتاجية، ملابس وتطريز وأشغال يدوية، ودار لتحفيظ القرآن الكريم، وما يطرأ من أفكار، هذه الأرض سوف يتم شراؤها من خلال العائلة وكل حسب مقدرته، أما الإنشاءات بكاملها سوف أ قوم بها أنا، هذا أمر أرجو أن تساعدونى عليه وأن يكون واقعا ملموسا بأقرب وقت، أما ا لإشراف الطبى سوف يقع على عاتق أبنائى دكتور وليد ودكتور مراد، سوف يتناوبان المتابعة بإستمرار بالتواجد بصفة دورية كل منهم يأتى كل شهرين مرة مصاحبا بعض المقربين منه من أطباء العالم، والإشراف المالى بعد إذنكم للدكتور إبراهيم زوج إبنتى با عتبارة أستاذا للمحاسبة بالجامعة ويستعين بأبناء العائلة من خريجى ذات التخصص، أ نتظر منكم النقاش حول هذا إن كان لديكم أى تساؤلات تفضلوا نهض شاكر،

=بداية أنا أجزم أن الجميع كان يحلم بهذا، وأتمنى من الجميع أن يبادر ويقدم ما يملك من جهد ومال للإسراع بهذا، أنا من عندى سوف اتبرع بعشرين الف جنية وبجهدى بلا حدود، أنتظر منكم أن تعلنوا مدى إستعدادكم، لن نتعجلكم، خذوا وقتكم، وننتظر فقط ا لأمر عاجل، لأن رشدى مؤكد يود أن يعلن هذا خلال لقاء القرية، ونظر إلى رشدى الذى أمن على قوله، وافق الجميع، وقالوا كل منا سوف ينظر إلى مدى إستطاعته، وسوف ن حضر إلى الأستاذ رشدى ونقدم ما يمكن تقديمة، وهذا عمل لصالح عائلتنا فكيف نتقاعس

بذات وقت تجمع العائلة كان هناك تجمع آخر، نساء صغيرات وفتيات أحضرتهن بنات

Edit with WPS Office

بدور لعمل حفل صغير، تجمعن بالصالة الكبيرة بالمنزل، عددهن ما يقرب من عشر، أتت لهن زوجات الأبناء ببعض الفاكهة، ومكسرات لوز وجوز وعين جمل، الكثيرات منهن لم تكن لديهن معرفة سابقة بها، بعدها بدأن بالتصفيق والغناء المصحوب بالرقص البلدى كانوا قد جئن بأردية مزركشة زاهية الألوان، الغناء والرقص أشعلوا المكان فرحا ومشاعر حتى زوجات الأبناء وجدن أنفسهن يندفعن للمشاركة، دخلا دائرة الرقص، تشابكا أخذن يقلدن مايرون، الأحفاد أعينهم جاحظة متسائلة ما هذا، ولماذا لا يرونه بغربتهم، إقتربت منهم بدور جلست بجوارهم إحتضنتهم، همست لهم أكيد لم تعرفوا هذا بالبلاد التى تعيشون فيها، أنا أسمع عنهم أنهم لا يعرفون الإ الجدية، حياتهم عمل لن تجدوا إلا هنا الدفء والحب والود والاحتضان، الغربة لها ثمنها الغربة تميت المشاعر ربنا يسعدكم قبلت كل منهم، تواصل الرقص والغناء، غنوا البنت دى قامت تعجن فى الفجرية، ياللى على الترعة حود على المالح، أما نعيمة وأغان كثيرة تحمل الطابع الشعبى، فاجئت إ حدى الشابات الحضور بغناء، بلدى أحببتك يا بلدى، بعدها أشارت لهم بدور بالإكتفاء، فبعد الغناء للبلد لا يحق لهم أى غناء آخر، إنتهوا كما أمرت رغم إلحاح الزوجات والأولاد بالإستمرار حتى أن بعض الأحفاد أمسكوا بجلبابها طالبين الإستمرار، وعدتهم بفعل هذا مرارا، إرتموا فى أحضانها، أشعرتهم أنها أما لهم ومنهم وأنهم يعرفونها من زمن بعيد،

عشية اليوم المرتقب جلس العمدة متوسطا رشدى وصالح الخليلى د.أحمد عباده وبعض من أساتذة الجامعة وبعض الشباب المتحمس، يراجعون كل الأمور المتعلقة بالغد، من تنظيم وإستقبال وضيافة واللافتات وصور الرئيس مع صورة المحافظ، ومن يصاحب الوفود الإعلامية، إتفقوا على أن يكون رشدى هو صاحب الكلمة نيابة عن القرية، الأهم كان التأكيد على ضرورة إصطحاب المحافظ ومرافقيه من وكلاء الوزارة للمرور على كل المنشات بالقرية مع عدم التحدث عن أى مطلب إلا بالمؤتمر، لندعهم يرون الوضع برمته على أرض الواقع، ولكل حادث حديث سوف نعد ملفا بكل متطلباتنا يقدم الى المحافظ، ونسخ منه الى النواب، لن نطيل بالكلمات حتى لا نأخذ وقتا طويلا من المسئولين، المشاهدة سوف تضعهم أمام واقع الامور، جاء إليهم فوزى البحيرى حاملا صندوقا كرتونيا متوسطا، وضعه أمام العمدة مباشرة، وجه حديثه إلى رشدى هذه شهادات التقدير كما طلبت، وضعت بمظاريفها وبالترتيب الذى إتفقنا عليه، أعلام القرية والأوائل وأسماء الشهداء على مدار الحروب، الأمهات اللاتى صنعن النوابغ من أبناء القرية، أ صحاب الفكر، أساتذة الجامعة، المتفوقين دراسيا، حفظة القرآن الكريم، حصلنا على الأ سماء من أصحاب الشأن المختصين بمعرفة هولاء، وبداخل كل مظروف بجوار شهادة التقدير مظروف به مبلغ مالى متدرج، منحة من الأستاذ رشدى وسوف نخصص أحد أ ركان السرادق لهولاء المكرمين تتقدمهم لافته تكريم، عليك ياعمدة ومعالى المحافظ القيام بمهمة توزيعها، معد كشف بالأسماء حسب الترتيب الذى عرضته، إلتفت العمدة معانقا لرشدى، هكذا أنت دائما لابد من بصمة خاصة بك، المسألة سكت ونظر ضاحكا، فهموا المغزى أكملوا بصوت واحد،

=المسألة سلامات يا رشدى، عودا حميدا تعالت ضحكاتهم مجلجلة أزاحت هدوء الليل تفرقوا على وعد أن يكونوا حاضرين الفجر للتاكيد على مسار كل الأمور، بداخلهم فرح مشوب بالقلق، يحلمون بغد يحمل تاريخا جديدا يضاف إلى تاريخ الأمس،

من المؤكد أن الليلة التى تسبق الحدث الكبير، كانت ليلة إستثنائية، مؤكد أن الأغلبية لم تنم، كان الحديث الغالب على كل الجلسات، على موائد الطعام، على لحظات السمر، حتى

Edit with WPS Office

المصطبة الكبيرة أمام دكان شحاتة بدر، البقال الأكبر بالقرية، والتى يسميه أهل القرية ذو الوجهين، وجه نهارى عندما يتجمع الشباب وبعض الكبار على مصطبته، يتبادلون فيما بينهم قراءة الصحف القليلة التى يأتى بها كل صباح، شوقى بائع الصحف، بالليل، حيث يتجمع العجائز من الرجال من يقاربونه عمرا، تجاوز أغلبهم الستين، والمعروف عنهم السخرية والنميمة، لا يتركون أحدا دون أن يقلدوا حركاته وطريقة إخراج الكلمات ، وصوته، ولا تمر بهم أى سيدة إلا أن يطلقوا سهامهم، كلاما، وتلميحا جنسيا، وربما يقتنص أحدهم إمراءة تعرف نواياهم ويعرفون نواياها فالنوايا يجب أن تكون متبادلة، وأيضا تكون لها بعض الحاجات للعبث فتروح وتجئ تلقى شباكها، تجد أحدهم ينسحب بهدوء ويتابع خطواتها، ثم يجاورها يتبادلان الهمس وبعدها تدرك إلى أى اتجاه تسير وا لأغلب منهم يجئ لشحاته، بحثا عن جوزة الطيب وبعض الوصفات لإشعال جذوتهم الجسدية التى خبت وتكاد تصل إلى الإنطفاء الكامل بفعل الزمن والشقاء الحياتى، فهو ماهر بوصفاته، هذه الليلة تغيرت أحاديثهم وإن كانت تحمل أيضا أسلوب السخرية الملا زم لهم دوما، وكأن بينهم وبين السخرية عقد زواج كاثوليكى لا إنفصام له، البعض منهم كان يتحدث بتفاؤل وأن النتائج المرجوة سوف تاتى لهم بخير وافر يسهل من أمورهم الحياتية، والبعض الآخر يسفه منها، الأطفال الصغار شاركوا بهذه الإحتفالية لعب وضحك وعدم رغبه بالنوم رغم نداءات أهاليهم يطلبونهم للنوم، مؤكد هذه ليلة مختلفه تجمع بين الأمل والحلم وبعض من التخوفات.

Edit with WPS Office

،،الحدث،،

منذ الصباح الباكر، إندفعت كل مجموعة من مجموعات العمل لمتابعة مسئولياتها، إ ندفاع مغلف بحب وحماس تلقائى، الكل يأمل أن يكتمل العمل بشكل يلفت الأنظار، سبق كل المدعوين وفد إعلامى، صحف وإذاعة وتليفزيون، إنتشروا بين أهل القرية يسأ لونهم عن الحدث وأحلامهم ومتطلباتهم، كل مسئولى الإعلام بعد جولتهم وبين المواطنين، طلبوا اللقاء مع رشدى والعمدة وصالح الخليلى تحدثوا عن سبب فكرتهم وعن الأهداف المرجوة، وعن القرية وتاريخها وأن القرية جزء من الدولة، وأنهم يضعون فكرتهم أمام الجميع للتكاتف لإعلاء شأن الوطن، جاء الخبر إلى العمدة من خلال إتصال تليفونى، أن المحافظ ونوابه ووكلاء الوزارة سوف يحضرون عند الحادية عشر، القرية بكاملها إزدانت، بوابات من أول الطريق تحمل لافتات ترحيب وصور للرئيس والمحافظ، قام بها كل رجال الأعمال بالقرية تطوعا، الأغانى الوطنية تنبعث من كل البيوت المتاخمة للطريق، عند العاشرة والنصف وقف العمدة ورشدى وصالح الخليلى ود.أحمد عبادة وفوزى البحيرى ومشايخ البلد وبعضا من أساتذة الجامعة أمام الكوبرى المتواجد بمدخل القرية، على جانبيه وبمقربة منهم فرقة الألأت النحاسية، طلبوا من الفرقة أنه عند وصول المحافظ ورفقائة، أن يكون السلام الوطنى بالإستقبال، بعضا من الأطفال الصغار بزيهم المدرسى الموحد، كل منهم يحمل ورده أو لوحة ترحيب مصغرة، صفين مجاورات للجنة الإستقبال، إختيرت فتاة لتقديم باقة ورد إلى المحافظ، بدأت وفود المدعوين بالتواجد، تستقبلهم لجنة الضيافة، تجلسهم بأماكنهم المحددة، إتصل رشدى بأ ولادة مؤكدا حضورهم مصاحبين أولادهم وزوجاتهم، عند الحادية عشرة وصلت سيارات المسئولين تتقدمهم كالعادة الدراجات البخارية، طقس مصرى معتاد بدات الموسيقى النحاسية بالعزف بداية بالنشيد الوطنى وموسيقات وطنية تقدموا لمصافحة المحافظ ومن يرافقه، تقدمت الفتاة تقدم له باقة الزهور، ربت على وجنتيها، سار بين صفوف أطفال المدارس، تقدموه إلى مبنى مركز الشباب الواقع قريبا من الطريق، غصه أصابت رشدى عندما فوجئ بأن اللوحة التذكارية التى تحمل تاريخ إ فتتاح المركز، والتى تحمل إسمه قد رفعت، تذكر أن الإفتتاح تم أربع مرات عن طريق أ ربع محافظين وإثنين من الوزراء، كلما جاء وقت الاحتفال بالعيد القومى للمحافظة إ ختاروا المركز للإفتتاح لتميزه الإنشائى، الغصة أخذت وقتا قصيرة فلا داع لما يعكر صفو اليوم، تفقد المحافظ المركز بقاعاته، حمدا لله مازالت اللوحات الرخامية التى تحمل اسماء مجلس الإدارة الذين تم الافتتاح بعهدهم موجودة، مازالت المكتبة تحمل إ سم أحد أدباء مصر الكبار، المكتبة التى أحضرها من قرية قريبة منهم، مسقط رأس هذا الاديب الذى هاجر لألمانيا لأرائه التى إعتبرها المسئولون حينها أنها ضد سياساتهم، ولكن الكتب تناقصت بشكل كبير، أيضا هناك حاجة ماسة لأعمال صيانة داخل المركز، وتمت زيارة الجمعية الزراعية والوحدة الصحية والجمعية الشرعية التى أقيمت بالكامل بالجهود الذاتية لأهل القرية، ومروا أيضا ً على مجمع المدارس، وبعضا من الجمعيات ا لأهلية، كان المحافظ يملى ملاحظاته لأحد موظفيه، كلما مر على البيوت التى تصادف جولته، كانت النساء يطلقن الزغاريد، بل إن البعض كان يقذف البنبون عليهم ، طوال الطريق كانت الأغانى الوطنية تصدح من كل البيوت، أبناؤهم سارعوا لإقتناء الشرائط الوطنية لإضفاء قيمة ومعنى الإنتماء للوطن، إنتهت جولتهم بعد أكثر من ساعتين، المحافظ بين اللحظة والآخرى يميل هامسا لأحد مرافقية، أتمنى لو كل قرية تحذو ذات النهج، أخذوا طريقهم إلى السرداق.

Edit with WPS Office

أسطح البيوت وشرفات البيوت القريبة من السرادق إمتلأت عن آخرها بأهالى القرية، الرجال والشباب والاطفال بالأسطح، النساء والفتيات بالشرفات اللافت للنظر أن الصغار يحملمون أعلام مصر يلوحون بها بتلقائية، كلما إقترب الوفد من الإقتراب كلما تصاعدت الزغاريد، وعلا التصفيق، إعتلى المحافظ ونوابه والعمدة ورشدى وصالح الخليلى المنصة، نهض الجميع مع تصفيق حاد ومتصاعد ومتناغم، أشار العمدة للجميع بالهدوء، الصمت فعلا أعلن سيادته التامة، قام أحد أساتذة الجامعة، بالترحيب ثم أعطى الكلمة للدكتور أحمد عباده ليفتتح اللقاء بآيات من القرآن الكريم، مجرد دقائق معدودة وبعد إ نتهائه، عاد وتلى بسم الله الرحمن الرحيم،إن الله يحب إن عمل أحدكم عملا ً فليتقنه، صدق الله العظيم، تم تقديم رشدى متحدثا عن القرية،

= بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الامين، بالأصالة عن نفسي وعن جميع أهالى قريتى الحصة، نرحب بمعالى المحافظ ومرافقيه، نرحب بكل الحضور ونرحب بأهالى الحصة لوعيهم وحرصهم على العمل بإتقان وتفان من أجل إ نجاح هذا اللقاء، لم ندع لهذا اللقاء من أجل مطالب القرية فقط، مطالب القرية سوف توضع بين أيدى معالى المحافظ ومسئولى المحافظة كل بتخصصه وأيضا نواب الدائرة، ولكننا أردنا أن نوجه بعضا من الرسائل إلى كل ربوع مصر، حقيقة نحن قرية من الآف القرى التى تنتشرعلى طول الخريطة المصرية وعرضها، ونفخر بأننا ننتمى لهذا الوطن الغالى مصر، الحصة قرية لها صفات خاصة، هى قرية الشفاءين، كما يطلق عليها الجميع، من تعامل مع أهلها ومن القرى المجاورة، هى فعلا قرية القرآن والعسل وكلاهما شفاء القرآن شفاء للروح والمقصد هنا الإسلام كما تعلمناه من كتاب الله ومن سنه رسوله صلى الله علية وسلم، القرآن الذى به شرح لكل أمور الحياة دون غلو أو تطرف، والعسل شفاء للأمراض الجسدية، وهذا تميز من الله عز وجل، ما من بيت من بيوت القرية يخلو من حفظة القرآن، وهذا بالطبع يؤدى للرضى والقناعة، وإن توافر الرضى والقناعة، مؤكد ستكون البركة هى رداء هذه البيوت، قرية بها العلم أرض تنافس دائم للوصول لأعلى المراتب العلمية، كل هذه الهبات الربانية كانت سياجا قويا لحماية أخلاقيات وأعراف وقيم القرية التى تواجدت على مدى التاريخ ضد أى نزعات تطرف، نعترف أننا عانينا من هذه الموجه التطرفية، ولكن وبفضل الله إستطعنا بفهمنا وبتكاتفنا، وبفكرنا أن نزيح إلى حد كبير وبشكل غير متوقع هذه الأفكار والنزعات الهدامة، أهم أسباب نجاحنا أننا ن ستلهم قوتنا من التاريخ، التاريخ به من الإشارات القوية للبناء، فما نراه اليوم من تصاعد وتيرة البناء والتنمية والتحضر مؤكد ليس وليد اليوم أو الصدفة، هو ميراث حقبات تاريخية متعاقبة، بنت وعمرت وفكرت لأجل أجيال بعدهم متتالية ، مؤكد ان لكل حقبه متغيراتها ومفاهميها التى كانت مواكبة لعصرهم، ولكن ما جعل قريتنا تحديداً تحتفظ بنفس الطباع والسمات، هو سيرها على نفس الطريق المعرفى،الاخلاقى والقيم و العادات، مؤكد كان لكل موجات رياح التغيير العالمى تأثير، ولكن هذا التاثير كان بعد إ ستفادتنا من جوهر التغيير، لا مظهره وبريقه الخارجى، التمسك بالتاريخ يجعلنا متفهمين لهذه المتغيرات، العولمة والنظام العالمى الجديد هى أمور جديرة بأن نرحب بها مثلنا مثل كل العالم، دون أن ننسى هويتنا وقيمنا، للأسف إندفع الغالب الأعم نحوها فاتحا ذراعية وعقله مرحبا دون تمعن ودراسة ، وبالتالى تاثر بالقشرة الخارجية دون أن يدرس محتواها، دون أن يقرأ ويفهم الجوهر، فكان التفكك الاجتماعى، وخلق طبقة مجتمعية جديدة، وماتت أهم طبقة ، الطبقة المتوسطة، ولكننا أهل هذه القرية إنتبهنا على الرغم من بساطة أهالينا إلى شرها، فكانت القدرة على العلاج والتصدى شرها، ونلنا شهد جوهرها، من هنا أقول للجميع، عليكم الإلتفات للتاريخ ودروسه ورسائلة، إن إ

Edit with WPS Office

ستوعبتم هذا سوف تكونون جيوش بناء، جيوش فكر، جيوش إبداع تنهض به بلدنا الكبيرة، من هنا أدعو كل قرى مصر أن تعود قرى منتجة لا مستهلكة، أن تعود الى التكاتف والمساندة لوطننا بالمزيد من العمل والإنتاج، رحلة الصعود المجتمعى على كل ا لأصعدة تبدأ من كل بيت، من كل نجع وعزبة وقرية ومدينة، إن كنتم ترغبون بأمان ورغد معيشتكم ووطنكم، عليكم أن نكون جميعا الكل فى واحد وواحد فى الكل، التاريخ التاريخ الأف المرات عودوا للتاريخ، هو وقود اليوم والغد أمة بلا تاريخ، هى ليست أمه لأنها بلا أساس، أكرر شكرى لكل الحاضرين وأعلن أنى وعائلتى قررنا إقامة مؤسسة آل الصلاحى للخدمات الإنسانية، مجهزة بكل ما يمكننا فعله لأجل خدمة قريتنا ، ومؤكد عندما ننتهى من الدراسات لها حينها مؤكد ندعو ونتشرف بأن يكون معالى المحافظ هو من يضع حجر الأساس، القرية لنا وبنا تنمو وتتحضر، قبل أن أنهى الحديث أدعو أخى الحاج صالح الخليلى لتقديم ما لدية من مستندات سوف تكون مصدر سعادة لأهلنا، فليتفضل ويقدم ما لديه لمعالى المحافظ الذى نحن مؤكد بإنتظار كلمة منه، تقدم صالح من المحافظ مادا يده بملف به بعض الأوراق هامسا لمعاليه.

=أدعو معاليك بالإطلاع عليها ثم إعلانها للحاضرين،

أخذ المحافظ يقلب بالأوراق وكلما مرت عيناه على محتوى الورقة تلو الآخرى كانت ترتفع أهدابه وترتسم أمارات الدهشة على قسماته، بعد إنتهى وجه حديثه إلى صالح الخليلى،

=كيف تم هذا أمر مدهش تنازل بعض الأشخاص عن أملاك لهم لصالح المنفعة العامة للقرية، أرجو معرفة تفاصيل هذا.

=معالى المحافظ، مثلنا مثل أى مكان بمصر عانينا من بعض الذين يدعون أنهم أصحاب شريعة ودين والحقيقة أنهم يفسرون الأمور على هواهم، هؤلاء كانوا ينغصون على القرية هدؤها وحياتها الطبيعية، وزاد طغيانهم بعد صعودهم للسلطة وللحكم، أحكموا السيطرة على الكثير من مناحى الحياة، حدثت مناوشات وإشتباكات كثيرة بينهم وبين أهالى القرية، وجدنا صعودهم المالى بمرور الوقت وجدناهم أصحاب أطيان وتجارة وعقارات فخمة، بعضها يقترب من الفلل والقصور، تستطيع القول أنهم هيمنوا على مقدرات القرية وأمورها الحياتية لحد كبير، إستمر الأمر كذلك لسنوات ما بعد ثورة يناير ، ولكن بلا مبالغة كانوا منبذوين، كأنهم جزر منعزلة، بعد ثورة يونيو تقلصت قوتهم، وبدأوا بالإكتفاء بإطلاق الشائعات وتشويه أى عمل وإنجاز تقوم به الدولة، ولما إشتد حصارهم، وإبتعاد أهل القرية عن التعامل معهم، بعضهم هرب خارج الوطن، بعضهم ذهب إلى العمل بشركات قيادات لهم، وهذا لم يمنع من قيامهم بممارسة بعض الأعمال المناهضة للدولة، آخر ما قاموا به وهذا السبب بحصولنا على هذه التنازلات منهم، هو قيامهم برشق الاستاذ رشدى بالحجارة وإصابته بإحدى الليالى عن طريق شباب فقير دفعوا له للقيام بتنفيذ هذا، تم القبض على بعضهم، وإعترفوا عليهم وحكوموا بتهمة تكدير السلم الإجتماعى، والإعتداء على الأستاذ رشدى وبعض الاشخاص بجروح، مما يؤكد شبهة محاولة القتل، حكم عليهم بأحكام مختلفة كبيرهم عبد الله فتحى كان من نصيبة خمسة عشر عاما، بالضغط عليه نفذ هو ورجالة ما أردناه وتم توثيق تنازلاتهم رسميا بواسطة محام يتعامل معهم، وها هى الأوراق بين يدى معاليك، نتمنى أن نحظى بموافقتكم على أن تكون مراكز خدمية، تعليمية، صحية، ثقافية لصالح القرية

Edit with WPS Office

= أعدكم بدراسة الوضع من الناحية القانونية، وعمل مذكرة إلى رئاسة الوزراء ووزارة التنمية المحلية لإتخاذ القرار المناسب. ما حدث ينم على شدة وعيكم وعلى وضع تنمية قريتكم نصب أعينكم، حقيقى أحييكم

نهض أحد الشباب طالبا الكلمة،

=معالى المحافظ أولا نكرر الشكر بتواجدكم هذا اليوم، الأستاذ رشدى تجرد كعادته من أى أمور شخصية، هو كما سمعنا عنه من أبائنا وأجدادنا لا يهمه مطمع شخصى له أو لعائلته، كل ما رأيته معاليكم أثناء تفقدكم لبعض المصالح بالقرية، له بصمة وراء وجودها، عانى كثيرا من معاول الهدم، تحمل وأنفق جهده وماله دون بخل، إلى أن هبت رياح مهاجمته من جهات عده، قرر بعدها الإبتعاد ليس هربا بل حتى لا تحدث إنقسامات بالقرية، هذا الرجل فعل ما لم يفعله نواب برلمان، وأكرر هذا مرارا، مما جعل نواب هذه الفترة يشاركون بالعديد من الوسائل للنيل منه، للأسف معالى المحافظ كان من بينهم نوابا شارك هو بنجاحهم، وبتلميعهم، أستاذ رشدى إسمح لى نيابة عن شبابنا بل وأهلنا أ ن نعتذر لك، أذرعنا مفتوحة، قلوبنا مفتوحة، عقولنا مفتوحة، تدعوك بأن تضع يدك مع أ يدينا لصناعة تاريخ جديد يستمد قوته ودعائمة كما قلت من التاريخ وكما قلت من لا يملك تاريخا فلا أساس له من الآن ومن اللحظة نحن ظهيرك، معالى المحافظ، هناك مطلب ربما لن تجده بحافظة الطلبات المقدمة إليكم، هناك بمدخل القرية مصرف تمت تغطيته عن طريق وزارة الشباب والرياضة أثناء تولى الأستاذ رشدى مسئولية مركز الشباب، وحكوا لنا أنه أثناء التنفيذ هوجم بكل وسائل الهجوم من الأهالى التى تقع بيوتهم على هذا المصرف، هو كان يفكر بمتنزه للقرية، قام بالتغطية والتشجير، للأسف ا لآن قام بعض الأهالى بالاستيلاء على مساحات منه، وعمل مشاريع خاصة بهم، دون إ عطاء الدولة حقها، ومن هنا وأعرف أن طلبى هذا يفتح أبواب الهجوم على، ولكن حق البلد أهم هذا ما تعلمناه من أحاديث أهلنا عن تفضيل الأستاذ رشدى للمصلحة العامة وليست الخاصة. أدعوكم معالى المحافظ إلى إتخاذ الإجراء المناسب وإستغلال هذه المساحة واقامة محلات أو أكشاك خشبية لأنشطة تجارية ترتبط بطبيعة البيئة الخاصة بالقرية، بهذا نساهم بحل لمشكلة البطالة عن طربق تأجير المحلات والأكشاك أوتمليكها، على فكرة معاليكم هذا الوضع قائم بكل قرى ومدن المحافظة، قبل أن أختم حديثى أ تمنى ومعى كل القرية أن يتم تكريم هذا الرجل بشكل يناسب عطاءاته، وأشار الى رشدى، أشكركم ومرة أخرى وجودكم أسعدنا،

طفرت الدموع عفويا من أعين رشدى وبعض المقربين منه.

أخذ المحافظ الكلمة،

=للحقيقة ما أراده اليوم وما لمسته من فكر ومن أن الغالبية مع تغليب مصلحة الوطن فوق أى أمر آخر، يجعل أى كلام أقوله لا يعبر عن أحاسيسى كما أحسها وأشعربها بلحظتنا هذه ومؤكد إنتقل هذا إلى كل التنفيذين، أنتم ذكرتونى بطفولتى، أنا فلاح من قرية مثلكم، مؤكد لعبت ألعابكم، مؤكد كانت لى طموحات مثلكم، مؤكد حلمت مثلكم، حقيقة ما قاله الأستاذ رشدى، بضرورة إسترجاع التاريخ وإستلهام دروسه أمر حقيقى ومهم، كل ذره تراب، كل حارة، كل شارع، بها تاريخ صنعه الأجداد الأولون، بدأوا البناء رغم صعوبة حياتهم، أصروا وكافحوا وبذلوا عرقهم ودمائهم دون بخل أو تقاعس أو ق الوا القول الشائع للأسف هذا الزمن، وهل نحن من سنصنع ونعيد المائل لحالة المستقيم،

Edit with WPS Office

نعم نستطيع نعم نفعل، لو وضعنا وطننا نصب أعيننا، لوغلبنا إرادة المجموع على إرادة الفرد، لو تكاتفنا لو كانت لنا إرادة تحقيق أحلامنا والإصرار عليها، حقيقة أنرتم دواخلنا بفكركم وإيثاركم البلد والقرية عن أى هدف آخر، ودعونى أحلم معكم، بعودة الريف إلى ريفيته، إلى عفويته، إلى تراحمه، إلى المشاركة بالأحزان قبل الأفراح، أحلم بعودة الجلوس أمام الافران وعمل العيش والبتاو أحلم بأن أرى الأطفال الصغار جالسين بعيدا عن الأفران ينتظرون رغيف الخبز المملوء سكرا أو عسلا وأحلم بهرولة الرجال والنساء بعد صلاة الفجر إلى حقولهم يحملون أحلام محاصيل وثمار تبهجهم، أحلم بالندى الصباحى يعاود مداعبة الوجوه، ما رأيته معكم اليوم يجعلنى أشعر بإقتراب وسماع خطوات الحلم تصرخ، تعلن أنها قادمة وأن إنتظار النداء لم يعد له مبرر، أهلا بكم، أهلا باحلأمكم، أهلا بأفكاركم، أهلا بنقاء وصفاء قلوبكم، أماعن طلباتكم المشروعة سوف تدرس جيدا وسوف ترونها على أرض الواقع قريبا، أشكركم ودعونى أشكركم بطريقتنا، أشار لنوابه ولوكلاء الوزارة والتنفيذين المصاحبين بالصعود للمنصة، إصطفوا جنبا إلى جنب، أحنوا الرؤوس ووضعوا أيديهم على صدورهم وكرروها مرات، رد الفعل كان تبادل العناق كل يلقى نفسه بين ذراعى الأقرب له والدموع تحتفى أيضا معهم، و التصفيق الحاد الذى ساد لوقت طويل، قام بعدها المحافظ والعمدة بتكريم أبناء القرية، الأمس والحاضر والمستقبل.

أخذوا طريقهم إلى الجانب الذى خصص للطعام، أشرفت على إعدادة بدور وبناتها وحفيداتها، وبعض من نساء القرية، الارز المعمر والفطير المشلتت، العسل بنوعيه الأ بيض والأسود والقشدة الفلاحى والبتاو، بعض أطباق اللحم المشوى، جلس المحافظ و الذى طلب من رشدى مجاورته، أقبل الجميع على الطعام بشهيه من جراء تداعيات اللقاء والمشاعر المصاحبه له، كان المحافظ يتبادل أطراف الحديث مع رشدى بألفه وكأنهما يعرفان بعضهم من زمن، بعد الإنتهاء من الطعام جلسا إنتظارا للمشروبات، خاطب المحافظ رشدى،

=أستاذ رشدى بعدما رأيت مدى الحب النابع بصدق من كل قريتك لك والذى أحسدك عليه ومن الواضح ثقافتكم العالية والثاقبة، أنا شخصيا سعيد بمعرفتك، وأتمنى أن نكون على لقاءات دائمة لابد من نقاشات بيننا حول الكثير من الأمور،

=معالى المحافظ لى عظيم الشرف، القلوب تتألف وتنادى بعضها، بأمر الله تتوثق علا قتنا وأستفيد من حضرتك وفكركم وثقافتكم بأمر الله

آخرج المحافظ بطاقه من حافظته أعطاها له،

=هذه كل أرقامى الخاصة، أنتظر سماع صوتك دوما وأضاف ،

=بأمر الله ما رأيك نلتقى غدا مساءا بالإستراحة لنا حديث لم ولن ينتهى،

=معاليك تؤمر ونحن نلبى، فقط أرى التأجيل لأن وقت معاليك دوما مشحون،

=من يرى ويبصر إنسانا يملك كل هذه القلوب لابد أن يسعى إليه سريعا، غدا أنتظرك،

الحديث الهامس بينهما لم ينقطع طوال جلستهم، الجلوس الجميع جمعتهم ألفه وود بلا

Edit with WPS Office

حدود، نهض المحافظ ومرافقيه للمغادرة، صاحبهم أهالى القرية حتى سياراتهم، ودعوهم بحفاوة بالغة، الحدث كان حديث القرية، والقرى المجاورة، القرية إرتدت حلة جديدة من النشاط والحيوية، الأحفاد الصغار إستقبلوه عند عودته بالأحضان، وعيونهم تلمع بريقا وتباهيا بجدهم، الأبناء وزوجاتهم بريق عيونهم يشى بما يجيش بدواخلهم من أحاسيس كانت بعيدة عن أعينهم للأسف لوقت طويل وطويل جدا،

دخل إلى حجرته، إستلقى على الفراش ممعنا النظر لسقف حجرته، مستعرضا أحداث اليوم، متسائلا وماذا بعد

نام كما لم ينم من قبل خلال سنوات، علامات البهجة تغلفه بالكامل، أه أه ما أجمل العطاء دون إنتظار مقابل، هى جملة والده التى لا تغادر سمعه مطلقا، همس وهو بحالة عدم اليقظة الكاملة،

=أعدك أبى أن أظل حاملا كلمتك بين عروقى، طال نومه، لم يقترب أحد من إيقاظة، يعلمون أنه بحاجة إلى إستعادة اليوم وتحديد ماذا بعد، هكذا هو دوما أى حدث يمر به فرحا أو ألما، يجعله بحالة وهج فكرى، محاولا إستشراف الخطوات القادمة، ودراسة الكيفية وتأثيرها وتبعاتها، لكل خطوة حساباتها حتى لا تهرب الخيوط من يديه، صحا على أصوات أحفاده، يحكون للمرات التى لا تعد ما شاهدوه، إبتسم، فقد تحقق حلمه حين فكر بوجودهم، لابد أن يتعلموا الإنتماء، لابد أن يعرفوا مجتمعهم كاملا، بجغرافيته ، بعاداته، بتعاليمة، بناسه على إختلاف شرائحهم، سمح لهم بالأيام الماضية مشاركة أطفال القرية ألعابهم، وكم كانوا سعداء حمدالله، نهض وإغتسل صلى ما فاته، كرر شكره للمولى على نعمه الحب الذى يلمسه كل لحظة، خرج ملقيا الصباح على الجميع، تناول إ فطاره، وكوبا من الشاى الساخن، وقام قاصدا الخروج، طلب الأحفاد مصاحبته، لم يستطع الرفض الأحفاد دوما نقاط ضعف محببه، سار بهم يتجول بلا تخطيط، يا الله، ما هذا، الشوارع نظيفة، على رؤوس الشوارع والحارات أوعية فخارية موحدة بها زهور متعددة الاشكال والألوان، كيف تم هذا ومتى لم تطل به الدهشة جاءه شاب أخبره،

=أستاذ رشدى المحافظة قامت ليلا بإرسال ما تراه ، ونحن أكملنا العمل على الشكل الذى تراه.

إستجابة على الفور، هذا محافظ مغاير عما نعرف، لابد من توجيه الشكر له، أخرج هاتفه المحمول، أجرى الاتصال.

=صباح الخير معالى المحافظ، أتمنى أن لا أكون إتصلت في وقت غير مناسب، ولكن وجب علينا الشكر لمعاليك لهذا الرد الجميل منكم،

=عفوا أستاذ رشدى هذا رد فعل طبيعى لما رأيناه، أنتم فعلا بلا مبالغة نموذج أتمنى أن أجده دوما ومحتذى به من الجميع، هل قرأت صحف اليوم، بها ما يثلج قلبك ، أنتظرك اليوم بالخامسة، سوف أرسل لك سيارة اتفقنا.

=تحت أمرك معالى المحافظ، لا نثقل عليك سوف أحضر مع دكتور وليد إبنى بسيارته، سوف نكون بالموعد تحياتى. مع السلامة معاليك

Edit with WPS Office

إتصل بوليد طلب منه أن يذهب لإحضار كل صحف اليوم، أكد عليه أنه يرغب حينما يعود أن يجدها،

سار بكل الشوارع، التحايا تلقى عليه من كل الجوانب، البعض يندفع إليه معانقا،عادت الكلمة إلى مسامعة، الورد لا ينتج شوك، الأحفاد يتقافزن على الأرض بفرح، هم لم يعتادوا على ما يروه، هناك هم بجزر منعزلة من المنزل إلى المدرسة، بعض الهوايات و التمرينات، ثم العودة للشرنقة، أكثر من ثلاث ساعات وهو يتجول بكل شوارع القرية، عاد متلهفا لقراءة الصحف، تناولها قبل أن يجلس، وجد بإحداها، عنوانا بارزا بصفحة المحافظات، قرية مصرية ترسل رسائل إلى قرى مصر، وأخرى الحصة تستعين بالتاريخ لإعادة الوعى، وغيره من عناوين وصور للقطات من اللقاء، إزداد سرورا، حمد الله، جاءة فوزى البحيرى أنفاسه تسبق خطواته صارخا،

=أعدتنا للأيام الجميلة عادت قريتنا إلى تميزها، الكل هنا وهناك لا حديث لهم إلا عن اللقاء وأحداثه، بارك الله بك،

تناقشا بأمور عده، حكى له عن رغبه المحافظ بلقائه الليلة،

=أمر جيد أن تتوثق العلاقات معه، وواثق أن هناك خيرا قادما، إسترح وإستعد ورتب أ فكارك، وأنتظرعودتك لتحكى تفصيلات اللقاء، عند الرابعة والنصف أمر وليد أن يعد نفسه للذهاب الى المحافظة، المسافة بين القرية والمحافظة لا تزيد عن ربع ساعة ب السيارة، وصلا إلى ديوان عام المحافظة، وجدا تعليمات لدى الامن بقدموهم، سار بهم أحد موظفى الأمن إلى حيث مدير مكتب المحافظ، الذى قابلهم بمنتهى الحفاوة ،

=أهلا أهلا، نورتم يا فندم معالى المحافظ بإنتظاركم، مشيرا إلى مكتبه، لم يطرق الباب فتح على الفور، بمجرد أن فتح الباب، وجدا المحافظ واقفا بالمنتصف منتظرا لهم، مرحبا فاتحا ذراعيه، تقدمهم الى الصالون، جلسوا طلب لهم القهوة، أهلا بك أستاذ رشدى وأهلا بمن معكم،

=أهلا بك معالى المحافظ، هذا إبنى الاكبر دكتور وليد تخصص الأورام وجراحتها بكبرى جامعات ألمانيا من سنوات طويلة، وأيضا محاضر بعده جامعات دولية، نشكر معاليك على الدعوة الكريمة،

=بسم الله ما شاء الله، أمر يفرح أن نجد أبناءنا متميزين ومتقدمين صفوف العلم ب العالم بارك الله بهم

=آمين يا رب العالمين أخيه مراد أيضا متخصص بعلم الأشعة، ونحمد الله على تميزه العلمى أيضا ووجوده كعالم بمجاله الحمد لله

=بعد القهوة لنا جولة بسيطة بمبنى المحافظة، ثم الغذاء بالإستراحة، ومؤكد لدينا نقاش طويل بأمور شتى إن سمحت بوجوده،

=يشرفنا معاليك أن نتناقش فكرا، لأنى مؤمن أن التلاقى الفكرى يفتح أبواب العلاقات ا لانسانية على مصراعيها.

Edit with WPS Office

=صحيح، أصبت هى فعلا كذلك أستاذ رشدى، أعرف أن بداخلك تساؤلا، كيف بهذه السرعة أطلب اللقاء معك، سوف أجيبك، أولا أنا تربيت على أمر هام، علمنى إياه الوالد رحمة الله عليه، هو أن نسير وراء الإحساس والشعور الأول، إن أحسسنا بإرتياح فمؤكد هو خير، وإن شعرنا بضيق وعدم إرتياح فلنبتعد من البداية حتى لا نجد أنفسنا رهن مطبات وتبعات لا نريدها، ثم أنا تابعت كلمتك وتمعنت بكلماتك التى تلقى عفويا دون ورق مكتوب، ثم هذا الإنصات الجيد لك بشكل لم أعهده من قبل، وكلمة الشاب الذى تحدث عنك بنبرة حب، جعلنى أعود لطبيعتى المهنية، أنا أساسا لواء شرطة تدرجت بـ السلم الشرطى كاملا، للأمانة طلبت تقريرا عاجلا عنك، ليس لشيء غير تأكيد حدسى عنك أنك مختلف ومتميز، التقرير كان قليله من قريتك وكثيره من القرى المجاورة و للحقيقة، فوجئنا بما قدمت وما بنيت، علمنا بالحرب الضروس التى لا تبارح أى مكان به إنجازات أو نجاحات، حتى صديقكم صالح الخليلى وتحوله من خصم إلى صديق يدافع عنكم، أمر لم أعجب له، فهناك أناس دائما يبحثون عن أضواء، عن أبسطة مفروشة يسيرون عليها ويختالون عليها كالطاووس، يتغيرون حسب المتغير دون إنتماء حقيقى وصادق ، أو بإختصار مات الملك عاش الملك، وأردف هذا بضحكة مجلجلة.

جاءت القهوة إرتشافها بهدوء النظرات متبادلة بينهم، داعب المحافظ وليد،

=أظن يادكتور لا تجد مثل هذه النكهة بقهوة ألمانيا،

إبتسم وليد،

=والله معالى المحافظ حياة الغرب أقول أنا عنها، أنها حياة والله معبأة، معلبة سابقة الإ عداد والتجهيز، بمقادير ومواصفات معينة، لا طعم، لا لون لا رائحة، اللهم الا التمتع بـ النظام المتوافر حولك ومحيط بك دائما، وأنت مجرد ترس من تروس الحياة ، أو كلا عب سيرك يؤدى نفس الأداء بصفه دائمة وبذات الوتيرة، فعلا هى كذلك، بغربتنا نفتقد علاقات الود، الألفة، الدفء الإنسانى، بضخ الدماء الساخنة بعروقنا حتى نعيش، ولكن غـ البيتنا يتقبل هذا سعيا للعلم ولتجارب متاحة، والتمنى أن نعود لبلادنا حاملين آفاقا علمية أكثر رحابة وأكثر إفادة، أماعن القهوة فليست هى الوحيدة التى نفتقدها، أفتقد الكشرى بالدقة والشطة المصرية، أفتقد الفول والطعمية، أفتقد أن أسير بالشوارع كما أ ريد ووقتما أريد، كثير وكثير معالى المحافظ، ولكن هذه الدنيا نحن رهن مشيئة الله ومشيئتها،

=بالفعل دكتور، أنت لخصت كل شيء بمنتهى الموضوعية، هيا بنا لجولة بسيطة لعلها تسعدكم،

رد رشدى،

=مؤكد هى تسعدنا مثلما أسعدتنا دعوتكم تفضل،

تقدمهم، دخل إلى المركز الاعلامى للمحافظة، وجد لوحة كبيرة عليها صور فوتوغرافية للقاء من زوايا شتى، وصور للقاءات مع بعض أبناء القرية، طلب من المسؤول عن المركز عرض فيديو مختصر للقاء، وحدد أجزاء محددة، لقاءات مع شباب ورجال ونساء القرية، هو لم يعلم بوجودها، طلب لقاء مع شاب معين، الشاب بحدود العشرينيات، يتكلم

Edit with WPS Office

بتلقائية بنبض يظهر جليا من كلامه،

=هذا رجل أعطى دون إنتظار مقابل، لم يتقاعس لحظة عن أى أمر يسعد أهله، هو ميراث من الزمن، سمعنا عن عائلته، أنها كانت نفس المنهج، نفس الطريق السعادة بسعادة الآخرين، الميراث الطيب يثمر طيبا، ربما نجد كل فترة من يبتعد عن الطريق لأ سباب متعددة ومختلفة ولكن تتم عودته حتى لو طال الأمد، هكذا هو الأستاذ رشدى وعائلته، أطال الله عمره، لو كل إنسان غادر مسقط رأسه، حمل بين جوانحه أن يعطى بعض الإهتمام لبلده، لتغيرت أمور كثيرة ببلدنا، تمت إعادة المشهد مرات، الدموع إ نسابت من عيونه، خضبت وجهه ربت المحافظ على كتفه،

=هذا المشهد كان سببا قويا لإصرارى على معرفتك، لأنه مشهد غير مصطنع أو مفتعل، الشاب مؤكد لم يعرفك من قبل، ولم يتعامل معك، مؤكد سمع من أبيه ومن جده، فقط كونه يتكلم بهذه الروح، فهو عن رجل يكن له الغالبية حب وتقدير، ذهبا بعدها إلى مدخل المحافظة، وقفوا أمام بابها، أشار إلى لوحة مضيئة تتحرك وتعرض، وجد العرض لقطات من اللقاء، وجملة ترتفع فوقه قرية تقود الغد بفكر، لم يشعر رشدى إلا بإندفاعة إلى معانقة المحافظ، وتقبيله،

=هذا كثيرا والله، توجت أعناقنا بفضل لا يقد، نشكركم.

=العطاء لابد أن يقدر وأن يوضع فوق الرؤوس، هيا بنا مؤكد الطعام يناديا، توثيقا للعيش والملح لعلاقة إنسانية لا تندرج تحت مسمى المصالح تفضلا،

قادهم إلى الإستراحة، المائدة معده، جلسوا يتنالون الطعام، وقليل من الكلام يتخلله كثير من نظرات متبادلة تحمل بها كثير من الود الفكرى والإحترامى، إنتهيا ساروا إلى أحد الصالونات، جاءتهم أطباق الفاكهة متعددة الأنواع، أعقبها القهوة وعبارات الإمتنان متبادلة بينهم بدأ المحافظ حديثه،

=للآن لم تعرفنى أنا كانسان بعيدا عن الوظيفة، أنا حامد إبراهيم الصفطاوى، قروى وأ عتز بهذا اللقب أكتر من كونى لواء أو محافظ الريف هو من صنعنى وشكلنى وأعطانى ميراثا من القيم والأخلاق والأعراف والمنهج الفكرى الشفاف، أبى رحمه الله فلاح بسيط إمتلك خمس أفدنه من الإصلاح الزراعى بعد ثورة يوليو، قبلها كان أجيرا، لولا هذه الأفدنه وريعها ماكنا تعلمنا، أصرعلى أن نكون متميزين علميا، كان يصطحبنا كل يوم إلى مدارسنا، وينتظر خروجنا ليعود بنا، حتى بعد وصولنا إلى الثانوى كان يفعل هذا، الله يرحمه، نحن من قرية إسمها شنره البحرية مركز السنطة، كانت غالبية أراضيها ملك للمنشاوى باشا، وله وقف كبير أيضا بطنطا، مؤكد إسم القرية مرتبط بذاكرتك بعبده خيرالله ، والد الأستاذ الإمام محمد عبده، والده كان هاربا من السلطة الإنجليزية ومن قراءة سيرة الإمام، أعرف أنه ولد بقريتكم وتعلم القرآن الكريم بكتابها، المهم أمى رحمها الله كانت فلاحة مثلها مثل الكثيرات، لا عمل لها سوى توفير الراحة بكل سبلها لابى ولنا، كبرنا تحت جناحيهم، يطموعننا ويسقوننا الحنان، الود والإحترام، السعى نحو العلم بعشق، والحمد لله الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، أخى الأكبر كان سفيرا هاما ب الخارجية ورشح عدة مرات للوزارة، وأنا تدرجت بالعمل الشرطى حتى وصلت لدرجة لواء، بعدها عملت محافظا لعدة محافظات حتى جئت إلى محافظتى، والأصغر أستاذا جامعيا بمجال الاقتصاد، وأستاذا بعده جامعات مصرية وزائرا بشكل دائم للجامعات

Edit with WPS Office

العربية. نحمد رب العالمين أن حققنا حلمهم وأنهم شاهدوا حلمهم على أرض الواقع وعلى حياة أعينهم، تعرف أننا كنا نعود من مدارسنا وجامعتنا ووظائفنا، نتاول لقيمات سريعة ونهرول إلى الحقل تساعد أبانا، ونحن بأسعد لحظاتنا، وفعلنا هذا ونحن نعتلى المناصب على تدرجها، حتى الآن عندما نذهب جميعنا إلى المقابر لزيارتهم نقف خاشعين نحنى رؤوسنا تقديرا لعرق بذل من أجل أن نكون، لا نزرف الدموع، بل ولك أن تتعجب، أن وجوهنا تزداد إشراقا، وكأنهم أشعة شمس تزين وتتعامد على وجوهنا وترحب بنا،

=أضاف رغم سكناى بأرقى الأماكن ومدى الرفاهية التى أعيشها إلا أن أجمل لحظاتى هى ذهابى للموعد الشهرى الذى نلتقى به جميعا كإخوة بأسرنا كاملة مهما كانت مشاغلنا، حتى من يكون مسافرا أو بعمل قد لا يمكنه من الإتيان يترك كل شئ يأتى مهرولا، صار طقسا دائما، نجتمع نلبس جلاليبنا ونعال خفيفة معنا أولادنا ونسائنا فقد أصر الوالدين رحمهم الله على زواجنا من بنات القرية حرصا على عدم وجود فجوات تؤدى بشكل أو آخر تؤدى إلى إنفصالنا مع الأيام عن أصولنا، وأردف هذا بضحكة قصيرة وقال، وأنت تعرف تأثير النساء، نتجول بين أهلنا وبين الحقول، نتناول طعامنا جلوسا على الأرض، نشم رائحة الأرض والطين، نشعر أنه يضخ بداخلنا أوكسجينا نقيا بلا أى تلوث، تعرف بين الحين والآخر،أجلس بين أولادى أحكى لهم حكايات الأمس، وأبسط يدى أمامهم

وأريهم عروقى النافرة من جراء أعمال الحرث والزرع والرى وخلافه وأتباهى، وأحيانا أ ريهم قدماى المتشققة والخشنه، وأقول لهم كلمة، أن العمل بحب وإخلاص هو أساس النجاح، هوباعث الأمل والحلم والارادة، لا أخجل مطلقا لفعل هذا، بل كل هذا تيجان شرف، العفوية تفتح كل الأبواب، بإختصار كلما قارنت بين القرية والمدينة، أحن إلى خبز أمى هذا أنا أستاذ رشدى، لقد عريت نفسي أمامك لكونى أشعر أننى ربما أعرفك من زمن أو كنت منتظرا لك لتلتقى أفكارنا

=أريد أن أوجه لك سؤالا ، من ثقتى بثقافتك ، كيف ترى واقع المجتمع الدولى الا ّن، وإلى أين نسير، أسمعك واثق أن إجابتك سوف تكون ثاقبة مع موضوعية ومنطقية، أ ود أن أسمعك بإنصات تام، تفضل أخى المحترم، على فكره أعرف بعضا من تاريخ أ سرتك المشرف الذى أتى الينا من التقارير، تفضل كلى شوق للإنصات إلى زخات فكرك،

إستغرق وقتا صامتا، أخذ يرتب أفكاره، ويسترجع قراءته ثم أطلق عنان حديثه،

=بالحقيقة هذا موضوع يحتاج لوقت طويل للنقاش حوله ولكنى سوف أحاول بما يمكننى إيجازه، العالم هو هو على مر الحياة، لا يتبدل ولا يتغير، فقط تتبدل الأفكار و الرؤى والمخططات وسبل التنفيذ، هناك فصيل لا يفكر إلا بالجانب الإستعمارى، البدايات كانت بإستعمار البلدان بالكامل أرضا وشعبا ومقدرات والهيمنة على ثرواتهم لتغطية نواقصهم من الثروات، ثم إختاروا أثناء وجودهم أيضا إحتلال المعتقدات، بداؤا بارسال التبشيرين لتوجيه العقول حسب أهوائهم، وحسب ما يريدونه، زرعوا بداخل أبناء هذه الشعوب أنهم يأخذون بهم إلى عالم الفكر والتحضر، وأنهم يمهدون لهم حياة جيدة متحررة من أغلال صفدوا بها قرونا، قاطعة المحافظ، أتفق معك فيما قلته ولكن لنعترف أيضا ان التبشيرين كان لهم إسهامات بناءة من أعمال إنسانية وإجتماعية، صحية و ثقافية، لكل رياح تهب آثارا سلبيه وأخرى إيجابيه، لكى يكون هناك طعم للحياة لابد من شقى الرحى الحلو والمر، العذابات تعطى للثمار الناتجة مذاقا خاص، اليس كذلك، هز

Edit with WPS Office

رأسه موافقا على مداخلاته وأكمل.

=ولكى ينجحوا إختاروا شعوب أطلقوا عليها مسمى العالم الثالث أوالشعوب النامية، و البداية الأساسية كانت بمجاهل إفريقيا السوداء، التى معظم أوطانها، قبائل، لكل قبيلة أ سلوبها الحياتى والإنتماء الدينى والفكرى، زرعوا الفتن بين القبائل لزيادة مساحات سيطرتهم، ثم تطور الأمر إلى إحتلال الأفكار بإنشاء جمعيات لها مسميات مبهرة وبريق يخفى أهدافها، يدسون السم بالعسل بحرفية متناهية، إستقطبوا بعض أبناء الشعوب، رجالا ونساءا عن طريق منح دراسية وتدريبية بمناهج معدة جيدا تعطيهم الفرصة لإ حكام السيطرة على مدى قريب وبعيد على مقدرات الشعوب، الهدف الأول لديهم الثروات وكلنا نعلم مدى ثراوت افريقيا، عندما يزرعون هولاء فى كل جانب من جوانب الحياة، ويتحول هولاء الدارسين والمتدربين إلى عرائس ماريونيت تتحرك وفق رغبه من يمسك خيوط اللعبة ينفذون كل التعليمات بكل الدقة وبشكل تدربوا عليه جيدا، وبالعصر الحالى الجديد والملئ بالمتغيرات السريعة لحد الجنون، أطلقوا سهام التكنولوجيا، تكنولوجيا ظاهرها الرحمة وباطنها الدمار للعقول وللأفكار، جعلت الغالبية تهرول إليها متوهمين بحياة من الرفاهية، هذا مخطط من قرون مضت، لو فتحنا أبواب الغرف السرية لهم، لوجدنا تخطيطا لا ينتهى أبدا، بل كل لحظة يضيفون له جديدا من التصور، تكنولوجيا جعلت الفلاح ينام للظهيرة، لا يهتم بتطوير زراعته، جعلت الموظف طول الوقت منشغلا بتكنولوجيا جاءت إليه على شكل موبايل وتليفزيون، وألعاب أ لكترونية يداعبها طول الوقت، أطفالنا أيضا لم يعد لهم إهتمام بالدراسة إندفعوا للألعاب والتقليد لما يشاهدونه، ألعاب عنف، مخاطبة غرائز، أرسلوا أعاصيرا من المنتجات الغذائية ذات المسميات المختلفة البراقة لا نعرف تكوينها ومحتواها، والوكلاء لا يعينهم إلا جنى مزيدا من الأموال حتى لوعلى حساب صحة ودماء الشعوب، حتى بعض الكتاب صاروا على نهجهم، كتابات تثير الشهوات، تطيح بالقيم، وللاسف نجحوا تماما بدس أذنابهم بكل مكان، الإغراءات أطاحت بهم لأن إيمانهم ضعيف، حولوا مجتماعاتنا إلى مجتمعات مستهلكة لا منتجة، حتى الريف نسى ما تربى علية، النسوة يذهبن لشراء الخبز من المدن وكذلك طعامهم، نسوا الخبيز ورائحته نسوا تربية الطيور، نسوا حتى م لابسهم التى أصابتها رياح ما يسمى بالإنفتاح، الإنفتاح له جانب إيجابى واحد، هو زيادة المشروعات الإستثمارية، أما عن جوانبه السلبية فحدث ولا حرج، الإنفتاح كان يجب دراسته دراسة مستفيضة وعلمية، لتحديد كيفية وجوده. نجحوا بإختراق الفن بكل أنواعه، بثوا وأكثروا من تصدير أفلام الرعب والقتل والدموية والجنس، نجحوا بتشويش العقول، بدأوا مؤخرا بسلاح فتاك، السلاح البيولوجي أخطر من كل الأسلحة، يرسلون أفواجا من الأمراض، ضمن أغذية وأدوية، تجعل من يقترب منها مسلوب الإ رادة والهوية، ثم سلاح اللعب على النوازع الدينية، تأجيج الصراعات العرقية يطلقون بين الحين والآخر مسميات غريبة، الشرق الاوسط الجديد، الربيع العربى الذى مسماه الحقيقى الدمار العربى، إنهاء الهوية العربية والإسلامية هدفهم الأكبر، للأسف بعض الساسة سلموا ذقونهم وعقلهم لهم بفعل الإغراء المادى والسلطوى ومن يخرج عن دائرة اللعب يطاح به، لن يهدأوا مطلقا، هم يعيشون حلم الهيمنة وإعادة تقسيم الغنائم بينهم، هم أشبه بدريكولا. ولكن بنمط جديد، هو إستمرار إشعال الحرائق، هم يتنفسونها بديلا عن الأوكسجين، هذا هو الفصيل الاول، الفصيل الثانى رغم عدم إمتلاكة الأدوات للمجابهة ولكن سلاحة الاول والأخير، وهو إيمانه، وتمسكة بمقدرات وطنه، وتاريخة، رغم أن البعض يراه سلاحا لا يقدر على المواجهه إلا أننى أراه سلاحا قويا، لأنه نابع من الداخل وعن يقين، التاريخ سيدى هو السلاح الأقوى بالمواجهة، فقط علينا إعادة قراءته

Edit with WPS Office

من جديد والوقوف أمام دروسه، وثق أننا رغم أننا دوما على المحك، إلا أننا كشعب يـ رضع حليب الحرية والكرامة قادرين على التصدى، المتسربلين بالدين هم ليسوا مع الدين بل هم عالة على الدين، إنكشفت الأعيبهم وحيلهم وأسلوب حياتهم الشهوانية كان نجاحاتهم محدودة ولفترات قليلة فقط ولكنها نذير خطر هو تحويل مشاعرنا التى دوما تستشرف القادم إلى مشاعر بلهاء لدى البعض تتخبط بحثا عن بقعة ضوء تسترشد بها الطريق، ثق أن الغد أفضل، بفضل دين وسطى راسخ داخلنا، وشعب واعى يجيد قراءة ما بين السطور، حضرتك أثناء حديثك تحدثت عن قريتك وعن المنشاوى باشا الذى إ حتضن عبده خير الله والد الأستاذ الإمام، هذا أمر للأسف أيضا مر ويمر بمرحلة تزييف حقائق الإمام فعلا وهذا منصوص علية بكتب كثيرة، للأستاذ العقاد وحضرتك تعرف مدى دقته فى المعلومة، وغيره كثيرون أعلنوا بكتبهم أنه فعلا ولد بالحصة إضافة إلى مذكرات الأستاذ الإمام ونصه على هذا بمذكراته الخاصة نحن لا ننكر أن والده من مواليد محلة نصر بالبحيرة، ولكن مكان مسقط الرأس أين هذه إحدى طرق تزييف التاريخ والوعى، نوع من البلبلة وهناك العديد من هذه الأمثلة، أكرر دوما التاريخ يكتب حسب الأهواء وحسب رغبه من يملك القرار كثيرا، هذا أمر يؤسف له، التاريخ هو الهوية لذا يجب أن يكتب بحقائقة، حتى يكون نبراسا وإضاءات لكل الأجيال، ويكون درسا مستمرا نستلهم منه يومنا وغدنا، هذا تفكيرى لعله أصاب الحقيقة وأصاب بعضا من تفكيرك، بالأخير نحن نتعرض دوما لحالة حرب شرسة هدفها الأوحد طمس ومحو هوية وقيم ومعتقدات الشعوب ومقدراتها وحروبهم لن تنتهى ، أجيال من الحروب والموجات وبمسميات متعددة أسف للإطالة

=بل أوضحت عن ثقافة رؤية موضوعية للأمور، فعلا نحن مستهدفين دين وثقافة وهوية وإرادة لا تلين، حفظ الله بلادنا، ولابد لنا من التصدى لهذه الاكاذيب بمزيد من الإ ستناره الفكرية.

نهض الأستاذ رشدى طالبا الإذن بالإنصراف فقد أخذهم الحديث وتشعباته، رافقهم المحافظ حتى سيارتهم، قال لهم، بأيام قليلة لديكم مفاجآت،

تبادلوا التحايا والعناق، مع وعود متبادلة بلقاءات دائمة.

Edit with WPS Office

،،الوقوف على عتبات الأمس،.

تحولت القرية إلى خلية عمل، بكل القطاعات ، قامت المحافظة بإزالة التعديات على المصرف المغطى، وبسرعة لم تتخيل أنشات عددا كبيرا من الاكشاك الخشبية متساوية المساحات، والتصميم، وأطلقت عليها بشائر الخير، تمهيد الطرق ورصف ما لم يسبق رصفه، إعادة الرصف والترميم، التشجير، تدعيم الإضاءات، إضافة أقسام هامة إلى الوحدة الصحية، أهل القرية كانوا متعاونين بكل الحماس، إعداد الشاي بشكل متتالي، الطعام، السجائر، السهر مع العمال وتبادل الأحاديث، الشباب يتابع ويذلل أى معوق، فى ذات الوقت أتى بعض أبناء العمومة يتنازلون عن قطعة أرض مقابل نصف سعرها، دعى المحافظ لإرساء حجر الأساس بصحبة النواب والتنفيذين وسط إحتفال مهيب، نحرت الذبائح، صدحت الأناشيد الوطنية والدينية، رقصات تنورة، يوم بهيج من أيام القرية ، وبدأ البناء فوجئ رشدى والعائلة بقدوم عديد من السيارات تحمل مواد بناء، حديد و طوب، أسمنت ورمال، وكل سيارة يأتى معها رجل أوشاب ذو مهابة، يندفع مصافحا بحرارة وكأنه واحد منهم، يقدم نفسه ويقرن هذا بالقول،

=نحن جئنا ردا ً لمعروف أبيك وجدك، لم يرفضوا طلب لنا، حقيقة من يزرع الخير يجده حتى بعد أجيال.

الكل كرر نفس الجملة، المحافظ أرسل بعضا من مولدات الكهرباء وبعضا من المهندسين للإشراف على البناء، العمل يتواصل ليل نهار، يجلس ليلا بين الأحفاد يحكى لهم تاريخ العائلة يزرع بهم الإنتماء لأهلهم، كان يصاحبهم دوما بكل جولاته، يجلس معهم على مصاطب أهل القرية، إلى أراضيهم القديمة وحقول أقاربه يطلب منهم شواء الذرة على الحطب، يحكي ويحكي وهم سعداء بالحكي ويتساءلون، وصل به الأمر أن طلب من بدور أن يجلسوا بجوارها وهى تقوم بالخبيز،هى مازالت تفعل هذا، وطلب منها صناعة العيش المحتوى على السكرا والسمن وتقديمه لهم، كانوا فرحين فوق التخيل، وطلب منها أيضا بعد إنتهاء الخبيز وهدوء نار الفرن أن تفرش بساطا رقيقا، ويجلسوا أعلاه، حكى لهم أن هذا فعل كان الكل يفعله، يذهب به تعب اليوم وآلام الظهر، حكايات وحكايات، جاء إليه الأبناء طالبين الإذن بالعودة لأعمالهم، أذن لهم على وعد منهم بـ الحضور على فترات متقاربة وبالتناوب، طلب منهم قبل المغادرة أن يصاحبوه أولا بزيارة قبر والدتهم بعزبة الأبعدية، الأخوال الأحياء وأبناؤهم إستقبلوهم بشوق بالغ، عادوا رغم إصرار أهل العزبة بضرورة البقاء لوقت أكبر، ذهب بهم بعدها إلى مقابر العائلة، يقف أمام كل قبر، يحكى عن صاحبه، مر بهم على منازل العائلة للوداع، وقف بهم أمام المنزل، وجه الحديث لهم،

=رسالة هامة وهامة جدا، تأملوا بكل تجرد كل بيت، كل شارع، سوف تبصرون حكايا وحكايا الأماكن تسكنها أرواح ساكنيها، تحمل أنفاس من غادروها، تأملوا وإنتبهوا فإن الأ مس هو أساس اليوم والغد،لا تسمحوا بطمس التاريخ أوتشويهه، التاريخ هو الدرس الدائم ، من لا يملك تاريخا لا يملك يوما أو غدا ، لذا وجب علينا دوما الوقوف على عتبات الأمس، ليكون دافعا لأحلامنا ولرؤانا، لتخطيط دائم لقادم الأيام، هذه وصيتى لكم، دائما الأمس لا تنسوا الأمس، التاريخ ملك لكم فلا تدعو من يكتبه يكتبه على هواه، وبإملاء لصالح آخرين، هنا تاريخكم، دوما تاتون إليه، ترتمون بأحضانه، يمنحكم أوكسير

Edit with WPS Office

الحياة، أنا هنا لن أغادر، أنتظركم دوما، تعودون بمزيد من الأحلام نسعى لتحقيقها على أ رض الواقع، عانقهم وعانقوة، بكوا فرحا بأبيهم، بتاريخهم ، بأهلهم ، بكل شيء كانوا بعيدين عنه، أتوا بأمتعتهم، ركبوا السيارات، غادروا تصاحبهم تحايا الأهل، وأهل القرية، الأطفال ينظرون من الزجاج الخلفى للسيارات ، عيونهم مليئة بالدموع ، هم وجدوا دفئا وحياة رحبه لم يعتادوها من قبل، ولكن أصبح لديهم مخزون من الحكايات والتاريخ مؤكد سيظل راسخا بداخلهم لزمن طويل ، ظلت أيديهم تلوح حتى إختفوا تماما عن الأ نظار ، جلس هو على عتبه المنزل متأملا ، شاخصا للمدى البعيد ، همس.

=أبى، ها أنا عدت ، وسرت على دربك، أرجو أن أكون قد إستطعت ، سامحنى إن كنت سهوت زمنا، لن أغادر بعد الآن، لدى أحلام تسكننى، أتمنى أن يهبنى المولى عمرا لأحققها ، ما أجمل أن ترسم بسمه فرحه على الوجوه ، ما أجمل أن ترى مشاعرا تنتفض لا إراديا تستقبلك بعناق روحانى ، ما أجمل أن تعيش حياة بلا ملوثات عصرية، أيقنت ان بلدى هى أوكسجينى النقى، طال به الجلوس والجميع دون طلب ترك له مساحة الإنفراد والإ ختلاء بالنفس، وما أحلى الرجوع إليه، أمسيات ليلية مع أصدقاء الأمس وبعض الشباب أتى ليتعلم من حكمتهم، بعض اللقاءات المتعددة والمتقاربة مع المحافظ ، تبادلا الزيارات كل بقريته، تعرف على كامل أسرة المحافظ، تناول معهم الطعام وسط الزراعات، وتبادلوا الحكايا ووجهات النظر بمتغيرات السياسة والحياة ، وما يحلمون به لأولادهم وأحفادهم طقوسه اليومية الصباحية صارت على نحو تمناه طويلا ً طوال عمره ، الصحو باكرا ً والخروج للتجول بين الحقول يداعبه ندى الفجر، يلبي دعوة رج لا ً لشرب الشاي معه على مصطبته، يتجول بالشوارع، يصافح كل ما يلقاه، ملامسة ا لأيدى تزيده صحة، تضخ دماءا دافئة بأوصاله ، يذهب إلى مكان مؤسسة الصلاحى للخدمات الانسانية، يتأمل بشوق زيادة إرتفاع أعمالها ، يرنو إلى يوم أن تكتمل، وأن تكون سبيلا لخير قريته، ثم يقف أمام صورة الجد الأكبر، حسن الصلاحى التى تعلو دار المناسبات، يضع يده على موضع قلبه، يحني رأسه قليلا ً، مرات ومرات، يتمتم، أنت علمتنا أن الصدق طريق منير دائما ً، ونحن نسير على دربك ، ثم يعود لتناول إفطاره، مع سماع من خلال الكاسيت أغنية بلدي أحببتك يا بلدي، حبا باللّٰه وبالوطن ، بالأيام التاليةعاد للجلوس أمام المنزل ، أمامه مائدة صغيرة بها أنواع عده من الحلوى، ينادى على الصغار ويعطيهم، يجالسه بعض الأصدقاء والأهل ورجال القرية والشباب ، على المائدة عدد من الصحف والمجلات وبعض الحلوى تنادى من يريد القراءة ومن يرغب بقطعة حلوى، يرتدي جلبابا وأعلاها عباءة ، وعصا أبنوسية، وعلى المائدة طربوشا، إ شارة إلى التاريخ،

النقاش الدائم حول القرية وما يحلمون به، كثيرا ً ما كان يأتى المحافظ إلى جلستهم حتى بعد مغادرته المحافظة لمحافظات آخرى، التاريخ يعيد نفسه، ودوما ً ما كان يهمس لنفسه، ما أحلى الرجوع إليه.

تمت

طنطا.. 9مارس2021

Edit with WPS Office

أحمد السيد طايل

مواليد 1956/7/23

حصة شبشير – طنطا – مصر

عمل بالقطاع المصرفى لمدة أربعين عام

له إصدارات – حوارات أدبية

- على أجنحة أفكارهم
- شواطئ ابداعية
- الوقوف على عتبات الأمس
- متتالية حياة
- المتشابهون
- شئ من بعيد نادانى
- رأس مملوء حكايات
- أيام بعيدة جدا
- قيد الكتابة..
- أنثى الفصول الأربعة
- عمل بأخبار الأدب مع الراحل/ أ. جمال الغيطانى
- عمل بقسم الأدب بصحيفة الرأى للشعب
- أعد العشرات من اللقاءات الأدبية لقامات أدبية مثل

واسينى الأعرج – خيرى الذهبى – محمد الغربى عمران – مكاوى سعيد – د. ثائر العذارى، وفاء عبد الرزاق، خضير ميرى ، سعد جاسم، خالد البري، محمد الفخرانى، د شريف حتاته، لينا الطيبى، وآخرين.

أقام احتفاليتان لكل من.

* الكاتب الكبير الراحل (إبراهيم أصلان) بقريتة (شبشير الحصة مركز طنطا محافظة الغربية) عام 1999

Edit with WPS Office

* الكاتب الكبير الراحل (سعيد الكفراوي) بقريته (كفر حجازى مركز المحلة الكبرى محافظة الغربية) عام 2000

أجريت معه العديد من اللقاءات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية عربيا ومصريا

أجريت العشرات من الدراسات النقدية عن رواياته من نقاد عرب ومصريين.

=========

رواية الوقوف على عتبة الامس

للروائي المصري احمد طايل

الاحتفاء بالماضي؛ للبقاء على قيد الطفولة والنقاء

عقيل هاشم

كاتب عراقى

احتلّت صور الماضي بنية السّرد المعاصر بما توثقه من ذكرياتٍ تحمل في طيّاتها شوقًا لذيذًا وألمًا عميقًا على ما مضى. ويبدو أنّ اندفاع الروائيّ لبثّ عاطفة الحنين إلى الماضي في روايته؛ إيمانًا منه بمدى تأثيرها على الذّائقة العامّة للمتلقّيين وانفعالاتهم. ومن هنا فإنّ الحنين الى الماضي عبارة عن شعورٌ له وظيفة إيجابيّة؛ إذ يُحسّن الحالة المزاجيّة للمتلقّي؛ لانتمائه للماضي بما فيه من أحداث، وشخصيّات وأماكن؛ فالحالة المزاجيّة تتحسّن حينما نكون في الأماكن التي نحب، ومع الأشخاص الذين تربطنا بهم ذكرياتٍ

Edit with WPS Office

حميميّة، وأحداث لا نملّ من استرجاعها في كلّ لقاءٍ يجمعنا بهم.

وعليه أنّ الحنين الى الماضي تعدّ آليّةً دفاعيّةً يستخدمها العقل لرفع المزاج وتحسين الحالة النفسيّة، خاصّة عندما تزخر بالملل والشعور بالوحدة، وعليه فإن الذكريات تساهم بشكلٍ فعّال في مواجهة التحدّيّات الحاليّة. ولصد الا كتئاب والشعور بالحزن والألم.

بالطبع لكلّ إنسان ذكريات سارّة وأخرى مؤلمة تربطه بالماضى؛ فكثيرًا ما يسترجعها الكاتب بخياله، ويتمنّى لو أنّها تعاد؛ كى يستمتع باللحظات الجميلة التى جمعته بمن تربطه بهم علاقة حميميّة، أو أن يتصرّف بشكلٍ أفضل ممّا فعل فى الأحداث المؤلمة واللحظات الصّعبة التى مرّ بها وعليه فقد تبيّن أنّ الدّافع الحقيقىّ وراء هذا الحنين هو تألّم الشّخصيّة وشعورها بـ التّوتّر والغربة جرّاء ماضٍ مفرح مفعّم بالذّكريات الحميميّة. وحاضر سىء لا يُلبّي رغباته؛ لذا فهو ساخطٌ عليه، متبرّمٌ منه.

رواية الوقوف على عتبة الامس , للروائي احمد طايل , هي رواية سيرة ذكريات الكاتب ، واسترجاع رسائله المخبّأة من أرشيف ماضيه. فام بسردها بتوظيف تقنيّات سرديّة خاصّة تتعلّق بالشّخصيّة الرئيسية . مثل: المونولوغ الدّاخليّ، والصّراع مع الزّمان والمكان، مع انتقاء الشّخصيّات التي تعمّق الإ حساس بالغربة ذاتيا. واختيار الأمكنة التي تتعلّق بحميميّة الذّكريات: بيت العائلة الاول ومن خلال تصويره حالات: القفد، والحرمان، والحنين والشوق التي تصيبه وأثارت في النفوس مشاعر مختلطة ما بين السعادة والألم و الشجون والحزن وأحيانا الندم.

(ثلاث ليال متتالية واجد نفسي اثناء نومي اليقظ اعود لمشاهدة ايامي الماضية منذ بدايات حياتي . كنت أتخيل أنها سوف تكون ليوم او يوم آخر , ولكنها تكررت لمرة ثالثة , ومن هنا اندفع القلق ينتابني وتساؤلات تحتل

Edit with WPS Office

راسي هل هو نوع من الحنين للماضي ام دعوة لمن ذهبوا من الاحبة وغادروا حياتي لا لحق بهم؟, والغريب اني أشاهد هذه الرؤى وكأننى أشاهد عرضا سينمائيا ولكني أخذت قرارا أراه كان لابد أن يتخذ من سنوات طويلة أن أذهب إلى قريتي التي غادرتها منذ عقدين من الزمن...)

هي حنين إلى الأشخاص الذين فقدهم الكاتب، القرية - أيام الطفولة البريئة، إلى أصدقاء الزمن الجميل، إلى العلاقات الإجتماعية القوية، إلى بساطة الحياة، وإلى التفاصيل الصغيرة التي طوتها دفاتر الأيام. ومن جهة أخرى قد تكون انعكاسا للخوف من سرعة مرور الأيام والأحداث، أو رغبة في العودة إلى هذه الأزمان والأماكن .

في الغالب يشعر الفرد بالأمان النفسي والراحة والاطمئنان بالعيش في الماضي الذي يألف أحداثه وأشخاصه، بينما قد يشعر بالخوف أو التوجس من المستقبل لعل التغيرات فى هذا العصر والذى نجم عنها ظاهرة الاغتراب النفسي وصعوبة التكيف . فيصبح الإنسحاب من الحاضر أسلوب حياة

اختار الكاتب في روايته أن يحكي سيرته الماضوية وقصص الآخرين وفوق ذلك نراه يتعمّق بالتفاصيل التي تثير الانتباه، إنّه يبحث عن الوتر الأكثر حساسية ليلعب عليه بكلماته، الإحساس بالغربة، الانعزال، الرغبة بتحقيق الذات من جديد

(ممكن ننطلق الان الى الشوارع وحواري وأزقة بلدتنا أود ان أتأمل التغيرات وأتأمل الناس لأري مدى إصابتهم بعدوى التغير ثم لنذهب إلى بيوت الأهل أعود معهم للأعوام التي عشتها بينهم وأيضا التي غبت فيها عنهم وهو ما حدث كل بيت ندخله , الترحاب . الحرارة الحميمية نتذكر بعض الأمس من حكايات الاباء والأجداد ...)

تتوالى الحكاياتُ في الرواية على لسان رشدي تحكي على معطيات الواقع المتشظّي التي عبّر عنها السرد من خلال وجوده الحضري في المدينة، ثمّ الغوص عميقاً في العقل الباطن حيث منطقة اللاشعور التي تنطوي على الكثير من الإشارات والدّلالات المعبّرة عن رؤيةٍ الحياة العصرية والتي تتخطّى الواقع القائم وتؤسّس للممكن الآتي

لذلك فقد كان الكاتب حريص على التعامل مع الجانب الإنساني للقصص من

Edit with WPS Office

دون أن تؤثِر التفاصيل السلبية على التسامي الشعوريّ الذي بودُ الكاتب طرحها في روايته

يسعى الكاتب في روايته كذلك إلى أن بدير دفة الإهتمام تلك القضايا التي واجهت ردّات فعل مختلفة عند اهالي القرية ، ولا سيّما أنهم مازالوا محمّلين بعاداتهم وتقاليدهم، بدينهم، بلغتهم، فكانت فكرة الإندماج يسيرة معهم. لذا استطاع رشدي واستطاعوا تجاوز العقبات التي تعيق الإندماج.

(تعرفون جميعا اني افكر لكم وبكم وانا معكم لأنى منكم , قد يكون لي شأن مميز لديكم بفضلكم أنتم علي ولكني أولا وأخيرا واحد منكم ولكم من هنا أفكر من فترات طويلة أن لابد لنا من الإستقرار والسكينة بدلا من حياة التنقل والترحال , كل فترة بمكان نتعرض للعديد من الصعاب المعيشة ...)

ولعلّ الكاتب استخدم عتبة الأمس في عنوان الرواية لتصبح دلالة العنوان بوصفه عتبةً نصيّةً كونها تمسح الغبار عن تلك الصّور الحميميّة القديمة، وتسترجع شريط الذكريات الجميلة أو المؤلمة له، وتعيد بناء الماضي بـ الكيفيّة التي ارتآها

ومن هنا تبدو أهمية القصة الإطار-الرحلة الى الماضى -فى التكريس الكبير لثيمة الحنين للقرية ، ففى القصة الإطار نجد الذات الساردة تكتب عن ذكريات مَرّ عليها زمن بعيد وتنفض نفسها على الورق وتقلِب ذكرياته عليه. ولذا نجد حرارة الحب للقرية-الوطن الذي يتسرب إلى كل ذرة من كيانه، وظّف الكاتب المونولوغ الدّاخليّ الذي يعتمد على التّفكير الطويل المباشر؛ ليكون هدفه الحقيقيّ استحضار تدفّق غير منقطع من الأفكار التي تمرّ عبر كيان شخصيّاته في تداعي الذّكريات من خلال المونولوغ الداخليّ؛ ممّا يدفع المتلقّي لأن يُكثّف تركيزه في الصّوت الوحيد الذي يستدعي كلّ الأصوات .

(بسم الله الوهاب الرزاق وبالصلاة على سيد الخلق والمرسلين سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم إجعل تجمعنا تجمع للخير والعمل الصالح اللّهم أبعد عنا أي وساوس وأي ريح خبيثة .. أقسم بالله إني ما أحسست من لحظة وضع قدمي الأولى على هذه الأرض الطيبة ...)

وبدو رشدي صادق ومخلص لعالمه الصوفي –فهو الصائم المصلي حافظ الا ذكار والأدعية ليل نهار حتى في أشدّ منعطفات رحلاته من قسوة. في فصول الرواية يواصل الكاتب سرده الروائي عن عالمه بتفاصيلها، فيقدم لنا حكاية طويلة، شيقة، في سردها ولغتها، يستعرض حيوات شخصيات عديدة ، لكنها تبقى أسيرة ذلك العالم العائلي الطيب من علاقات وأمان وسلم اجتماعي نفتقده ولقد تسلل ذلك الشّعور للقارئ من خلال البنية الفنّيّة

Edit with WPS Office

للحكي

ربما بكون التّضارب النّفسيّ الذي تعيشه الشّخصيّة جرّاء إحساسها بالقلق الدّائم الذّي يسري في متن السّرد، واشتدّت وتيرته مع إيقاع الزّمن، وتفاوت ا لأحداث ما بين ماضٍ مليء بالذّكريات، وحاضرٍ معاش، ومستقبلٍ مبهم، ويبدو أنّ هاجس التّوتر من الزّمن سمةٌ بارزةٌ في إبداع أدباء العصر، بل ويبقى عالقًا في أذهانهم طيلة عمليّة الإبداع، ومردّ ذلك هو التّطوّر السّريع الذي تشهده الفترة؛ لهذا كلّه فإنّ الصراع مع الزّمن له دورٌ فعّالٌ ومباشرٌ في سير الأحداث، وتصوير الشّخصيّة وعوالمها؛ ورصد اضّطراباتها.

(لك الحق أنت تعرف أن القرية غالبية أبنائها ملتحق بالتعليم الأزهري وكل بيت به من يحفظ القران الكريم ويجوده ولكن دون تطرف هذه سمة قريتنا ولكن بالسنوات الأخيرة وجدت مجموعة تدعو للتشدد صارت تنهي وتمنع وتحرم وتأمر بما تراه من وجهة نظرها صائبا حتى سنحت لهم الفرصة يهاجمون مظاهر المستجدات : التليفزيون ...

وهنا فقد خلق الروائيّ حركةً نفسيّةً مونولوجيّة، تعكسُ إحساسًا دلاليًا عميقًا مُثيرًا للدهشةِ، بتوظيفِ الصّورة المجسّمة أو المشخّصة للأشياء؛ ممّا يساهم في شحن حكايته تشكّلات حسيّة تنبض بالحركة، ومن هنا كان لا بدّ أن تكون علاقة بين الخيال المتمثّل بالاستعارة وحركيّة الصّورة، ذلك لأنّ التّصوير "لون وشكل، ومعنى وحركة، ممّا يمنح الصّورة فاعليّة وحركة؛ كونها مزيّنة با لأفعال التي تشيء باستمراريّة استرجاع الذّكريات وديمومة تأثيرها عليه

رواية "الوقوف على عتبة ال أمس" تعجّ بالعديد من الموضوعات الاجتماعيّة والنّفسيّة؛ ورغم ذلك إلّا أنّ الكاتب حاول أن يستفرد بموضوع "القرية" كموضوع نفسيّ بالدرجة الأولى، وإنّ المتأمّل للحكي يوقن أنّه قد جنح إلى تقنيّة: التّراسل الحسّيّ المفعّمة بالحركة؛ قاصدًا مفاجأة المتلقّي وإبعاده عن توقّع الصّورة التّقليديّة المألوفة، الأمر الذي يغني الصورة ويوسّع من آفاقها الجماليّة والتّأثيريّة.

(وعند عودتي رايت شبابا ورجالا يرتدون جلاليب قصيرة أسفلها بنطلونات وسراويل متعددة ال أطوال أيقنت أن التغيير الديني قد أصاب القرية ال أمر يحتاج للإيضاح لفت نظري أن بعظهم يتجمع إثنين أو ثلاثة ينظرون بتمعن حاد إلى موبايل أحدهم يقلبون به مرات أيقنت من متابعتي لمنهج هؤلاء أن تعليمات تأتيهم مؤكد سوف أفهم ...)

وقد وجد الروائى فى نفسه القدرة على إقتراح منجز روائى نقدى ، التى تنطلق من موضوعة التناحر الديني التي تبرز الآن بحدة، وأكثر من أي وقت

Edit with WPS Office

مضى فى مجتمعاتنا ، حيث تقود إلى خطر تمزق ثقافى وصراع دينى وحروب طائفية قد تأتي على الأخضر واليابس، وتهدم تماسك المجتمع.

وفى الختام تستبطن المتون الحكائية المتعددة فى الرواية، والتى تتمفصل حول موضوعات السفر والكتابة والألم والفقدان والغربة، أطروحة بارزة لا يخطئها القارئ اللبيب، وتتمثل فى نقد الواقع الحالى الذى ترزح تحت نيره التناحر الدينى، وما دام الصراع البشرى منذ القدم يدور فى أساسه حول المعتقد الدينى، فإن لهذه الأطروحة الروائية قيمتها الإشكالية وراهنيتها الفكرية، حيث يسعى الروائى، من خلال الحوارات بين الشخصيات المؤثثة للمتن الروائى، والمتفاعلة فكريا وعبر ترسيخ مبدأ التسامح الدينى، وتحالف الفكر العقائدي من أجل نبذ العنف، وتفادي التمزق المؤدي إلى دمار الإنسانية،

(أبي ها أنا عدت وسرت على دربك أرجو أن أكون قد استطعت سامحنى إن كنت سهوت زمنا لن أغادر بعد الآن لدى أحلام تسكننى أتمنى ان يهبنى المولى عمرا لأحققها ما أجمل أن ترسم بسمة فرحة على الوجوه , ما أجمل أن ترى مشاعرا تنتفض لا إراديا تستقبلك بعناق روحانى . ما أجمل أن تعيش حياة بلا ملوثات عصرية...).

لم تغب اللغة الشعرية عن السرد الروائى مع حفاظ الكاتب على فنية الكتابة ، وقد كانت غزيرة المعنى وفيض من الوعى وهى تحمل مضامين ناقدة للتابو –الاجتماعى والسياسى والدينى . مما جعل من يقرأ الرواية يندمج فيها فلا يصيبه الملل، وهذا يهدف إلى كسب ود القارئ وتعلقه بالرواية من خ لال تحقق المتعة لنصه مما نجح في كسر الحاجز النفسي بين روايته وقارئها.

قراءة في رواية "الوقوف على عتبات الأمس"

<u>للأديب: أ./ أحمد طايل</u>

تتشكل ملامح وقسمات هذا العمل بطابعها السرد التأملي والذاتي المنطلق نحو الغير في أطر التمحور والتخطي الدلالي لمواجيد الآخر من خلال الذات، حيث يركز على استحضار الذاكرة وتفكيك مفاهيم القيمة الحقيقية، كالثراء

Edit with WPS Office

المعنوي، في مقابل العوارض المؤقته أو الزائلة، كالمال والنفوذ والسلطة، بحيث تسيطر على النص جمالية الحنين والوجد ومحاولات استعادة الزمن الجميل الماضي ولو بصفة مرآة للحاضر أو إشراق للمستقبل.

ويمكن تلمس محاور هذه القص الروائي من خلال الصور الجمالية في القص الروائي، والأساليب البلاغية الروائية، والدلالات الانفتاحية ودوائر المعاني في الحكي القصصي، ومن ذلك:

أولا: الصور الجمالية في القص الروائي (Aesthetic imagery in narrative fiction**):**

يرسم الكاتب صورا متحركة ومشهدية شاخصة من خلال التعبيرات، مستعملا بمهارة تقنيات الفن الحكيي والقصصي في الرواية، بداية من العنْونة في عنوان الرواية، بحيث تعتمد الجماليات في هذا العمل على الصور الذهنية المستمدة من الذاكرة والخبرة الحياتية، مع خلق تضاد بين المادي و المعنوي، فيبدو هذا منسحبا ومنسجما على طول العناوين، وكذلك على متون السرد والحوار، مما يدعم دمج القارئ في أحداث العمل، بل قد يصل أحيانا إلى جعل القارئ أن يتمثل نفسه أحد الأشخاص الفاعلين، أو هو الشخص المراقب ف الرواية. ومن ذلك:

العنوان "الوقوف على عتبات الأمس":

هو في ذاته صورة بلاغية مبتكرة، حيث إن العتبات تُشير إلى البدايات، والمداخل والحد الفاصل، بينما الأمس كناية عن الزمن الماضي و الذكريات، وبما تضفيه من حنين وجداني مشوق، والوقوف عليها، بما يعني التأمل الواعي بين الماضي والحاضر واشترافات المستقل القلق، وكأن الكاتب يحاول دخول الماضي مجدداً أو استحضار روحه لمعايشة الحاضر أو محاولة ولوج المستقل.

صور: الثراء الإبهاري وجمالية التفاضل:

dazzling richness and the aesthetics of) :(differentiation

فصورة مثل الميراث المعنوي، والتي تُصوّر الثروة بغير المال والسلطة،

Edit with WPS Office

بل ب-القيمة من حيث "الأغلى والأثمن:.

وكذلك التصوير الحسي، حيث يتجسيد هذا الثراء في صورة السماح النفسي للغير "العطاء بلا حدود" و "محبة الناس"، مما يحوّل المشاعر والأ حاسيس والقيم إلى أصول معيشة متحركة ومحركة للمواجيد والأحداث، فهي رأسمال حقيقي يضاهي المال ولربما أكثر قيمة.

صور النستولوجيا: الحنين للماضي واسترجاعات الزمن الجميلة:

Nostalgia for the past and beautiful memories of bygone) days):

لا شك أن الزمن الماضي له عبق خاص في مكنون الإنسان، وبخاصة تلك الذكريات الجميلة، أو الأشخاص المحببين، ويحرك الكاتب تلك المواجيد الغائرة في الوجدان بصورة متحركة وبتفاصيل متقنه بحيث تبدو وكأنها مشهد سينيمائي متحرك، ويجري به تشبيه الذاكرة بمشهد متحرك مرئي حي، له صوت وألوان، مثل قوله: "أشاهد هذه الرؤى وكأنني أشاهد عرضا سينمائيا"، هذه الصورة البصرية ليس مجرد سرد كلامي، بل تضفي في الذهن الواعي استدعاءات الماضي وصفة الحيوية والوضوح النابض، وتجعل القارئ شريكاً في المشاهدة وصناعة الحدث والإحساس الوجداني.

وكذلك رسم المعاني المعنوية من خلال الإحاءات المادية الدالة، كما في صورة "بكارة الريف"التي لم تكن مجرد عبارة في الإهجاء، ولكنها ترسم للقارئ خارطته في إلهاميات الكاتب، وتوجهه نحو الخط الوجداني والقيمي في الرواية، ففيها الإشارة إلى قيم القرية وأنها ما زالت "تحمل بكارة الريف" التي هي كناية عن الصفاء والنقاء والبراءة التي لم تفسدها المدنية، وهي رمز لذلك الماضي الجميل الذي يسعى الكاتب لاستعادته ومعايشته.

ثانيا: الأساليب البلاغية الروائية (Narrative rhetorical

Edit with WPS Office

:(techniques

ذخر النص الروائي بعدة أساليب، بحيث نوع الكاتب فيها ليتمكن من رسم جمالياته حتى يهيمن على ذهين المتلقي ومخيلته في ولوج الرواية، ولعل من أبرزها أسلوبا التوكيد بالمفاضلة، والاستفهامي التأملي. ومن ذلك:

أ. أسلوب التوكيد والمفاضلة (The style of emphasis and comparison):

أسلوب النفي والتوكيد (Negation and affirmation): وهو أسلوب بلاغي يفيد في فتح الدلالة في المعنى المطلق، وإحكام المعنى الضيق على الصورة المصاحبة، مثل تصديره في مقطع "ميراث": حيث يستخدم أسلوب النفي المؤكد، في قوله: "لم يورثني أبي مالا وسلطة"، ثم يؤكد بعبارة رديفة بقوله: "ورثني الأغلى والأ ثمن"، ثم يردف توكيدا معنويا لفظيا لإعلاء القيمة الخطابية بـقوله "وهذا يقينا هو الثراء الحقيقي"، هذا الأسلوب البلاغي العميق يعزز الرسالة المركزية للعمل حول القيم المعنوية، لا المادية.

الأسلوب الاستفهامي التأملي (The reflective interrogative style):

يميل الكاتب إلى تقنيات الاستفهام بأنواعه المتعددة، مما يدخله في حوار ذهني مع المتلقي، وأحيانا يكون الاستفهام مزدوجا للدلالة على القلق والا ستمرار في التساؤل الأهم أو الوجودي، مثل: "هل هو نوع من الحنين للماضي، أم دعوة لمن ذهبوا من الأحبة وغادروا حياتي لألحق بهم؟".

وهذا الاستفهام ليس لطلب إجابة، بل لتنظيم الوعي الداخلي من الكاتب للمتلقي، ويشرك القارئ في عملية التأمل في دوافع الرجوع للماضي، و الحنين أو القلق مما هو قادم، أو من الموت المادي أو المعنوي.

أسلوب بلاغة الإيجاز الدلالي (The rhetorical style of semantic brevity):

ويعتمد الكاتب على جمل قصيرة ومكثفة، مثل حواراياته، ومنها: "نحن إخوة، وما حدث، كان إستجابة لنداء الله، أي والله، أنا ما تعودت على السير

Edit with WPS Office

بهذا الطريق، على الإطلاق، ولكنها إرادة الله، نشكر الله على هذا، وعلى سلا متك" حيث نلحظ بساطة الجمل وقصرها، وهو ما يسمى بالإيجاز البليغ، الذي يزيد من قوة الأثر اللفظي والمعنوي للعبارة.

ثالثا: الدلالات الانفتاحية ودوائر المعاني في الحكي القصصي:

(Open-ended connotations and circles of meaning in narrative storytelling):

تتداخل الدلالات فتنفتح أحيانا وتنغلق أحيانا، حسب مقتضى القص الروائي، وقد أحسن الكاتب في استعمال تلك التقية ببراعة تجذب القارئ وتدخله في أحداث الرواية وأحاسيسها كأنه واحد من بين تلك الأحداث أو ا لأشخاص. ومن ذلك:

قواله:

"خرجت دافئًا موجوعًا بالذكريات الأبوية أخذت أتجول بشوارع وحواري قريتي أزيد من مساحات التذكر والذكريات، الكل يسارع لتحيتي، من هم من جيلي أو من أجيال سابقة أو لاحقة".

هذا التوازي في العبارات والإيجاز في وصف الوجد الأبوي،ما يمنح الذكريات وقواعد حاكمة للحياة وتطلعاتها والتمسك بمواجيدها الآتية من ونحو الماضي، وتكمن في التصوير الدافئ الذي يحدد مصدر القيمة الأخلا قية للأحداث، كما يمثل العهد والوفاء لمن منحوه الأساس الذي يقف عليه و الدافع والسند والتأمل نحو ما وراء للأمام.

قوله:

"رياح التغير والعولمة والعالم الذى صار قرية صغيرة، قد أحدث فعله بكل شيء، قررت أن أجعل قدماى تقودنى حسبما تشاء، سوف أسير بعفوية دون أى ترتيب لن أحدد أى وجهه ابدأ بها، لن أرافق أحدا أحاول أن أستعيد معرفتى بالشوارع والبيوت والبشر، خرجت كان الوقت صباحا يقترب من الظهيرة، دخلت شارع دائر الناحية شارع يلف كل القرية أشبه بسور يحدد أبعادها وخريطتها".

يستعمل الكاتب هنا فنيات التقابل أو الطباق ما بين العفوية والترتيب، و العالم والعولمة، الصباح والظهيرة، ثم هو قلق بن تلك الرياح المطلقة، وذلك

Edit with WPS Office

السور الحديدي وتلك الحدود التي هي القيود، فما يبين الزائل وصحبة الناس وإمكانيات العطاء، وما هو الباقي، مما يرفع القيمة المعنوية لمعرفة الطريق، الهداية الهوية الذات، ويمثل هذا المقطع قلب العمل الفكري وفكرته الأساسية ، فليست مجرد الحنين إلى الماضي، بل هو الحنين والبحث عن الهوية.

قوله:

"كانت هذه الليالى وسيلة لتغيير شكل الدنيا ، نحن تعودنا على العمل بـ الحقول،لا اكثر، ..... بعض من يعمل كموظفين، وكانوا يعددون بهذا الوقت قليلا يعد على أصابع اليدين بالأكثر، ولكن رغم التعب والعناء تجد الضحكات شريكة بكل شيء، إن مررت على حقل تجدهم يغنون، ان رأيتهم عائدين من العمل يجرون مواشيهم وراءهم يغنون، وهم يخبزون واللّهيب يلفح وحوههم يغنون، الغناء عنوان كل حياتهم، هذا كله قل كثيرا، زادت الهموم وزادت المسئوليات، ورغم ذلك الكل هنا لديه كثير من الرضى والقناعة، وهما كافيان لتوافر البركة داخل البيوت،

الكل يسمع بإنصات تام مشمولا بالدهشة، بعض لحظات صمت إعترت الجميع، وجهت حديثها إلى رشدى الذى كان جالسا محتضنا أحفادة بمزيد من الحنان ..."

في هذا المقطع دلالات الاستعارة الزمنية، حيث يصبح الزمن هو تلك الليالي متتالية، يشير بها لما قبلها من ليالي الموالد وما يحدث فيها من أشياء جميلة ومحببة، وكذلك لأشياء قبيحة يستغلها ضعاف النفوس أ الفئات المنحرفة، التي هي ليس من الشيوخ ليست مما يدل أو يشير على الماضي، بينما يظهر استخدام عبارة "الانصات / الضم الحاني للأحفاد" وهو صور بلا غية فريدة تشير إلى حالة ذهنية بين الحلم والواقع، وهي حالة التأمل العميق أو الشفافية الروحية، وأهمية الماضي وجيله المتمسك بالقيم وهو الحضن وهو النجاة وهو الحاضر الذي ينبغي أن نعيش من خلاله، وهو البوابة للمستقل وهو الهوية الجميلة التائهة في الواقع المرير.

وتكمن لفتة جمالية في تصوير الماضي على أنه قوة مُلحة لا يمكن تجاهلها، ولا تجاهل حنانها وحضنها الحامي والواقي، وتكرار الرؤى هو ما يحرك السرد من مجرد الحنين.

Edit with WPS Office

إن هذه الرواية الأكثر إبداعا في مواجيد البحث عن الهوية، وتعلق الإ نسان بها.

*****

أ.د./ محمد أحمد شحاتة

أستاذ ورئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة فاروس

شاعر وناقد – عضو اتحاد كتاب مصر

عضو مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة

==========

الزمن المترسب في الذاكرة: قراءة نقدية في سرديات العودة في نص "الوقوف على عتبات الأمس" لأحمد طايل

د. أحمد كرماني عبد الحميد

يأخذنا نص "الوقوف على عتبات الأمس" لأحمد طايل في رحلة سردية مدهشة، تمثل مزيجًا من الحنين والألم والبوح الشخصي، حيث تتحرك الذاكرة مثل جدول مائي يتدفق عبر تضاريس الزمن، حاملة معها رواسب المشاعر والأماكن والوجوه التي تشكلت على ضفافها. منذ الصفحة الأولى، يدرك القارئ أنه أمام نص يتجاوز كونه حكاية عن رجل عاد إلى قريته بعد غياب طويل، ليتحول إلى مرآة عاكسة لهشاشة الإنسان أمام الزمن، ولحالة الاغتراب التي يعيشها كل من اقتلعته الحياة من جذوره وألقت به في دوامات الغياب. السرد هنا ليس مجرد بوح عابر، بل هو فعل استحضار قلق، حيث تُستعاد الذكريات وكأنها طقوس تعميد للروح الممزقة بين ماضٍ لم يعد، وحاضر فقد ملامحه. في هذا الإطار، لا يبدو العنوان "الوقوف على عتبات الأمس" محض استعارة بلاغية، بل هو مفتاح تأويلي للنص بأسره، حيث تصبح العتبة رمزًا للتماهي بين ما كان وما لم يعد ممكنًا، بين الذكرى والواقع، بين البقاء والغياب.

لغة السرد التي يستخدمها أحمد طايل لغة محملة بالشجن والتفاصيل الحسية الدقيقة، لغة تتسلل إلى ثنايا المشهد بأبعاده البصرية والسمعية واللمسية والذوقية، لتخلق نصًا هو أقرب إلى فسيفساء وجدانية يتداخل فيها الخاص والعام، الحكاية الفردية والحكايات الجماعية، مشاعر الوحدة والحنين، وصور الطفولة التي تسكن الجدران والطرقات. في لحظة استرجاع، يقول السارد: "أجد نفسي أقفز وكأنني بعمر العشرين برغم أني أحمل على كاهلي أكثر من ستين عامًا من العمر، أخذت أرتدي ملابسي على عجل، ومثلما تعودت واعتادها أهل قريتي، بدلة كاملة بكرافت وحذاء مناسب شديد اللمعان". هنا ، نلمس التوتر بين الجسد الذي أثقله العمر والروح التي تحاول استعادة فتوتها، وكأن السارد يحاول مقاومة الزمن عبر ارتداء طقوسه القديمة، إلا أن هذه المقاومة تظل شكلية، إذ سرعان ما يعود القلق ليطغى عليه: "شرد ذهني للحظات، نزعت نظارتي، فركت عيني، ضغطت على جبيني بأصبعي، تساءلت ، وماذا بعد؟ وهل؟ وهل؟ وألف هل؟". هذا التساؤل الوجودي الذي يتكرر بصيغ متعددة في النص يكشف عن حالة من التشظي النفسي، وعن إدراك مرير بأن العودة لا تعني استعادة ما فقد، بل مواجهة قاسية مع أثر الفقد، ومع المساحات الفارغة التي خلفها الزمن.

Edit with WPS Office

التفاصيل التي يسردها النص لا تأتي عشوائية، بل تشكل بنية متماسكة تسعى إلى الإمساك بالزمن المتسرب، سواء عبر استحضار الطقوس اليومية القديمة أو وصف الأمكنة التي تغيرت أو سرد الحكايات الشعبية التي كانت تشكل الذاكرة الجمعية للقرية. في أحد المقاطع المؤثرة، يقول السارد وهو يصف مشهد المقابر: "شعرت بنداء قوي يأخذني إلى أخذ هذا الطريق، كلما اقتربت من المقابر أجد اضطرابًا داخليًا يمسك بتلابيبي، سؤال وأكثر يلف ويدور داخلي: كم من الأقارب والأصدقاء والأ هل، كم منهم غادر دون معرفتي؟ عرق غزير يكسو وجهي، ارتعاشات تنتاب أطرافي". هذه الصورة المركبة، حيث يتقاطع البعد المكاني (المقابر) مع البعد النفسي (الاضطراب والخوف)، تمنح النص كثافة دلالية تجعل من الأمكنة شخصيات حية تتنفس وتتذكر وتبكي مثل البشر، فيتحول الحجر إلى شاهد على الزمن، والجدار إلى كتف يسند دموع العودة.

الحوارات في النص، سواء بين السارد وأبناء عمومته أو مع أهالي القرية، لا تُعطى وظيفة تواصلية سطحية فقط، بل تتحول إلى مرآة للفجوات الزمنية والقيمية بين الأجيال. حين يلتقي السارد بابن عمه عبد الله بعد سنوات طويلة، تتفجر المشاعر الدفينة: "مد ذراعه واحتوى كتفي، قال: كنا ننتظر هذا اليوم من سنوات، وكنا جميعًا على ثقة أنك عائد، عائد، فالأيام لا تمحو ما فعلت حتى إن بعدت لعقود حزنًا على تغييرات حدثت ما كنت تتوقعها". هذه الجملة البسيطة تختصر جوهر النص: أن الذاكرة، رغم كل شيء، لا تُمحى، وأن ثمة خيطًا خفيًا يربط الإنسان بأهله وأرضه، حتى وإن توارت الم لامح وتبدلت الأسماء. ومع ذلك، فإن السارد يعترف بمرارة: "أنا فعلًا آسف، بجد آسف، لا أتذكر، ولكن الملامح بيننا مشتركة، واحتضانك لي أخبرني عنك". هنا، يضع النص القارئ أمام مفارقة موجعة: أن الحنين لا يكفي وحده لاستعادة الذاكرة، وأن التغيير لا يقتصر على الأمكنة بل يمتد إلى الوجوه والعلا قات والمشاعر.

تتجلى في النص قدرة لافتة على تحويل التفاصيل الصغيرة إلى رموز كونية، إذ يصبح الفطير المشلتت مثلًا رمزًا للدفء العائلي والكرم الريفي، وتتحول كومة القش على سطح المنزل إلى صورة مكثفة عن الطفولة والبراءة. في مشهد دال، يقول السارد: "كنت بحاجة ماسة للخلود لنفسي، تمنيت لو وجدت كومة القش التي كنت أتشقلب عليها وأنا صغير، وكثيرًا ما تباريت مع أولاد أعمامي على من يستطيع الشقلبة لفترة طويلة وبشكل سريع". هذه الصورة البسيطة تختزن إحساسًا عميقًا بالزمن الضائع، وتكشف عن الرغبة المستحيلة في استعادة ما كان. كذلك، نجد المشاهد المرتبطة بالأب تمثل ذروة العاطفة والبوح، كما في المشهد الذي يقول فيه السارد: "أبي سامحني على غيابي عنك، رغم أنك لم تغب عني مطلقًا بصدق، رغم غيابك عني من أكثر من نصف قرن، إلا أني أراك رفيقًا دائمًا حين صحوي وحين منامي، حين أكلي وشربي، كل أوقاتي". هذه المشاعر الكثيفة لا تأتي بوصفها مشاعر فردية معزولة، بل هي صدى لجراح جماعية تشترك فيها أجيال كاملة، ولعل هذا ما يجعل النص يتجاوز إطار السيرة الذاتية إلى مساحة أوسع هي سرديات الحنين الجمعي.

التكرار الذي يعتمده السارد في بعض المقاطع، سواء في الكلمات أو الصور أو المشاهد، ليس تكرارًا لغويًا فارغًا، بل هو تقنية دلالية تعكس دوران الذاكرة حول نفسها، وعجزها عن الإمساك بالزمن الذي يتآكل. التكرار هنا يشبه نفسًا متقطعًا لشخص يحاول اللحاق بظل لم يعد له وجود، كما في تكرار عبارات مثل: "آه، وآه، وآه، لو نعود أطفالًا من جديد"، أو في استدعاء الأمكنة بأسمائها القديمة كطقس

Edit with WPS Office

لإعادة تملكها رمزيًا. حتى الحكايات الشعبية التي يرويها النص – مثل قصة نزاهة المنوفي، أو تفاصيل الزواج والخيانة والشرف – ليست مجرد حكايات مسلية، بل هي تمثيلات سردية لتاريخ القرية، ولما تحمله الذاكرة الجمعية من قصص مختلطة بالخرافة والتأويل والرغبة في الفهم، وهي أيضًا شواهد على التبدل القيمي والزمن الذي لا يرحم.

يتأمل النص في أكثر من موضع فكرة التحولات الاجتماعية التي عصفت بالمجتمع القروي، سواء فيما يتعلق بعلاقات الرجال والنساء، أو شكل الحياة اليومية، أو حتى في شكل العمران والزراعة. يقول السارد في مشهد مؤثر: "يا الله! هذا الطريق الذي كنت أسير به ذهابًا وعودة لسنوات طويلة، كان مجرد حقول على الجانبين، الآن لا وجود لأي نوع من الزراعات". هذه الملاحظة العابرة تحمل بين طياتها نقدًا ضمنيًا لعصر العولمة، وللتبدلات الاقتصادية والاجتماعية التي مزقت نسيج القرية التقليدية، وجعلت الفرد أكثر انعزالًا وأقل ارتباطًا بجذوره وأرضه. كذلك، فإن وصف الفتيات بملابسهن الحديثة، والشباب وهم يحملون الهواتف المحمولة، ليس مجرد رصد بصري، بل هو تأمل في فقدان البراءة وتراجع القيم القديمة أمام زحف الاستهلاك والمظهرية.

إن نص "الوقوف على عتبات الأمس" هو نص عن الإنسان والزمن والهوية، عن القرية بوصفها ذاكرة جمعية، وعن العودة التي لا تعيد شيئًا إلا الوجع. هو نص يكتب الحنين لا كحالة رومانسية عابرة بل كجرح مفتوح، كفقدان لا يلتئم، وكحوار متقطع مع ماضٍ لا يمكن الإمساك به مهما امتد البصر. إنه نص ينتمي إلى تقاليد الكتابة التي ترى في التفاصيل الصغيرة – الأسماء، اللمسات، روائح الطعام، أصوات الخطوات – مجازات كبرى عن الوجود الإنساني، وعن هشاشة هذا الوجود أمام جرف الزمن. في كل مشهد، في كل حوار، في كل ذكرى مستعادة، يصر النص على أن العودة إلى القرية ليست استعادة للزمن، بل مواجهة لفقدانه، وأن الزمن ليس خطًا مستقيمًا، بل دوامة تعيدنا إلى البدايات فقط لنكتشف أننا لم نعد كما كنا، وأن الأمكنة أيضًا لم تعد هي، وأن القرية التي نحملها في ذاكرتنا ليست القرية التي نقف على عتباتها الآن. النص بهذا المعنى هو مرثية طويلة، قصيدة حب حزينة إلى زمن لن يعود، واعتراف صريح بأننا جميعًا، مهما بعدت بنا الطرق، نعيش في ظل ماضٍ نحمله في داخلنا، ونسكنه كما يسكننا، حتى ونحن نمضي في اتجاهات لا تشبهه، ولا تشبهنا.

الحنين بوصفه كتابة وجودية: مقارنة بين "الوقوف على عتبات الأمس" لأحمد طايل و"الأيام" لطه حسين و"العودة إلى الطفولة" للطاهر بن جلون

ينفتح نص "الوقوف على عتبات الأمس" لأحمد طايل على مساحة زمنية مشبعة بالحنين والبوح، حيث تصبح العودة إلى القرية بعد غياب طويل ليست مجرد حدث مكاني أو رحلة عابرة، بل طقسًا روحيًا تتماهى فيه الذاكرة مع الأرض، والوجوه مع الأصوات، والماضي مع الحاضر، في توليفة سردية قوامها استعادة الذات من خلال استعادة الأمكنة. هذه الكتابة التي تنتمي إلى سرديات الحنين، تجد امتداداتها الجمالية والفكرية في نصوص أدبية أخرى مثل "الأيام" لطه حسين و"العودة إلى الطفولة" للطاهر بن جلون، حيث يصبح الحنين، في هذه الأعمال الثلاثة، ليس مجرد نزعة عاطفية تجاه الماضي ، بل هو سؤال وجودي عن الهوية، والزمن، والانتماء، وعن ما تبقى من الإنسان حين يعود إلى فضاءات الطفولة. إذا كان أحمد طايل في "الوقوف على عتبات الأمس" يستعيد طفولته وذكرياته في القرية المصرية عبر تفاصيل شديدة الحسية، فإن طه حسين في "الأيام" ينسج طفولته من خلال منظور عة لاني وتأملي، بينما يقدم الطاهر بن جلون في "العودة إلى الطفولة" طفولة مسكونة بألم التمييز والا

Edit with WPS Office

اغتراب، فتتعدد زوايا النظر إلى الذاكرة، ويتباين أسلوب استحضار الماضي بين العاطفة الجياشة، و التحليل الفكري، والمرارة الساخرة.

تتجلى في "الوقوف على عتبات الأمس" قدرة السارد على تحويل التفاصيل اليومية إلى شواهد وجودية، حيث يتبدى الفقد لا بوصفه حدثًا عارضًا بل كحالة متجددة ترافق الإنسان في كل خطوة نحو الأمس. حين يقول السارد: "شعرت بنداء قوي يأخذني إلى أخذ هذا الطريق، كلما اقتربت من المقابر أجد اضطرابًا داخليًا يمسك بتلابيبي، سؤال وأكثر يلف ويدور داخلي: كم من الأقارب والأ صدقاء والأهل، كم منهم غادر دون معرفتي؟ عرق غزير يكسو وجهي، ارتعاشات تنتاب أطرافي"، فإن هذه الصورة تلتقي في جوهرها مع مشهد طه حسين في "الأيام" حين يستعيد لحظات الطفولة الأولى في القرية، حيث يقول: "كان الصبي يذهب إلى الكتاب في الصباح، فيسمع صوت الشيخ وهو يقرأ القرآن قراءة عذبة تثير الشجن"، لكن الفرق بين النصين أن طه حسين يستعيد الماضي بنظرة تأملية تحليلية، متفحصًا دور المعرفة والتعليم والدين في تشكيل وعيه، بينما أحمد طايل ينغمس في التفاصيل الحسية بحنين محض، حيث الريح، والغبار، ورائحة الطعام، وصوت الأب، كلها تتحول إلى عناصر صوتية وشمية ولمسية تشكل بنية النص الحنينية. في "الأيام"، تتحول القرية إلى مكان للتأمل في العلاقة بين العلم والجهل، بين السلطة والمعرفة، بين الدين والطفولة، بينما في "الوقوف على عتبات الأمس"، تصبح القرية مسرحًا للحكايات الصغيرة التي تتشابك لتشكل نسيجًا شعوريًا، حيث كل زاوية من البيت، وكل شجرة في الحقل، وكل جدار في الطريق، هو شاهد على زمن ولى، وحنين لا يخفت.

أما في "العودة إلى الطفولة" للطاهر بن جلون، فإن الطفولة تستعاد من خلال عدسة الألم والتمييز، حيث تصبح العودة إلى الأمس مواجهة مع مجتمع قاسٍ لا يرحم، فتبدو القرية فضاءً غامضًا مزيجًا من الدفء والألم، من القيم المتوارثة والقيود المفروضة. يقول بن جلون: "أعود إلى الطفولة لأنني لم أستطع أن أعيشها كاملة، كان الفقر والجوع والتمييز يجعلون من طفولتي نصفها ألم ونصفها حلم". هذه العبارة تكشف عن طبيعة الحنين عند بن جلون: هو حنين ممزوج بالمرارة، فيه شوق إلى لحظات الصفاء القليلة، لكنه حنين لا يخلو من نقد اجتماعي صارخ، حيث يصبح الماضي مرآة للخذلان و الحرمان. في المقابل، نجد في "الوقوف على عتبات الأمس" حنينًا أكثر دفئًا، حتى وإن كان مشوبًا بالأ لم، فالأب في نص طايل مثلًا هو رمز للأمان والحب والقيم العليا، بينما الأب في سرد بن جلون غائب، والمجتمع قاسٍ، والطفل هو الحلقة الأضعف في سلسلة من القيود الاجتماعية والتمييز الطبقي.

تتباين تقنيات السرد في النصوص الثلاثة بما يعكس اختلاف منظور كل كاتب تجاه الذاكرة. طه حسين يعتمد على اللغة العقلانية والتوصيف الواضح، مستخدمًا ضمير الغائب أحيانًا والضمير المتكلم أحيانًا أخرى، ليخلق مسافة بين الذات الساردة والطفل الذي كانه، وكأنه يكتب سيرته من موقع الحكيم المتأمل في طفولة مضت، فيقول: "كان الصبي يجلس إلى جانب أمه في صمت، يسمع صوت الشيخ وهو يتلو القرآن، وكان قلبه يخفق بخوف من المستقبل الذي لا يعرفه". هذه اللغة التأملية تبتعد عن الغنائية وتذهب نحو التحليل الفلسفي، في حين أن أحمد طايل في "الوقوف على عتبات الأمس" يستخدم ضمير المتكلم بإصرار، يغوص في التفاصيل الصغيرة دون مسافة تأملية واضحة، فيقول: "أنا فعلًا آسف، بجد آسف، لا أتذكر، ولكن الملامح بيننا مشتركة، واحتضانك لي أخبرني عنك"، في حين أن الطاهر بن جلون يختار ضمير المتكلم لكنه يدمج بين صوت الطفل وصوت الراوي البالغ، مما يخلق توترًا سرديًا بين البراءة والمعاناة، بين عالم الطفولة المغلق وعالم الكبار القاسي. في جميع الحالات،

Edit with WPS Office

يصبح الضمير السردي جزءًا من الرؤية الفكرية والجمالية لكل نص: طايل يغرق في الحميمية والبوح، طه حسين يميل إلى التحليل، وبن جلون يراوح بين السرد الاعترافي والنقد الاجتماعي.

فيما يتعلق بالمكان، تظهر القرية في "الوقوف على عتبات الأمس" بوصفها كائنًا حيًا، تتنفس وتبكي وتفرح، مكانًا للذاكرة والحنين، يتحدث السارد عن البيت فيقول: "هذا البيت الذي كان يعج بالأصوات، صار صامتًا، حتى الجدران لم تعد هي، وحتى رائحة الطعام التي كانت تعبق في أركانه اختفت". هذا التشخيص المكثف للمكان ككائن حي يشبه ما يفعله الطاهر بن جلون حين يقول عن القرية: "في هذا البيت تعلمت أن لا أحد يسمع الطفل حين يصرخ"، لكنه يختلف عن طه حسين الذي يرى القرية بوصفها فضاءً للمعرفة والسلطة في آن معًا، فيقول: "كان الشيخ يجلس في ركنه، كأنه قاض، وكانت عصاه هي القانون، وكل حركة منه كانت درسًا في السلطة والطاعة". هنا نجد أن المكان في نص طايل مشبع بالعاطفة والذاكرة الجمعية، بينما هو عند طه حسين مساحة للتأمل في البنية الاجتماعية و المعرفية، وعند بن جلون مسرح للخذلان والمعاناة.

يتقاطع النصوص الثلاثة في الثيمة الكبرى وهي الحنين، لكنها تتباين في صياغة هذا الحنين: عند طايل هو حنين دافئ، مشوب بالألم، لكنه مفعم بالتفاصيل الحسية التي تمنح النص عمقه الوجودي، كما في قوله: "كنت بحاجة ماسة للخلود لنفسي، تمنيت لو وجدت كومة القش التي كنت أتشقلب عليها وأنا صغير"، في حين أن الحنين عند طه حسين هو استعادة للعالم الطفولي بعين الفيلسوف، حيث يتحول الحنين إلى أداة لفهم المجتمع والعلاقة بين الأجيال، أما عند بن جلون فهو حنين جريح، لا يخلو من الغضب، حنين يعيد طرح الأسئلة عن العدالة والمساواة والحق في الحب والاحتفاء بالحياة. ومع ذلك، فإن المشترك بينهم جميعًا هو أن العودة إلى الطفولة ليست استعادة بريئة، بل هي مواجهة مع الوجع، مع الفقد، مع ما ضاع ولن يعود، مع إدراك أن الزمن لا يمكن استعادته بل فقط كتابته، وأن هذه الكتابة هي وحدها القادرة على مقاومة النسيان.

في ضوء هذه المقارنة، يبدو أن نص "الوقوف على عتبات الأمس" يحمل نكهة خاصة تميزه، فهو لا يسعى إلى التنظير أو التحليل بقدر ما يسعى إلى التقاط اللحظة الهاربة، إلى الإمساك بالزمن عبر الصور الحسية، إلى إعادة بناء الماضي في صورة لوحات نابضة بالحياة، حتى وإن كانت هذه اللوحات مغمسة بالحزن. هو نص يكتب الحنين كحالة حسية، حيث الطعام، والرائحة، والصوت، والملمس، يصبحون جميعًا وسائل لاستعادة ما لا

يمكن استعادته. في المقابل، نجد عند طه حسين حنينًا عقلانيًا تأمليًا، وعند الطاهر بن جلون حنينًا مأزومًا مسكونًا بالأسئلة الكبرى حول الظلم والهوية والانتماء. هكذا، يصبح الحنين في النصوص الثلا ثة ليس مجرد توق إلى الماضي، بل كتابة وجودية عن معنى أن تكون إنسانًا، عن محاولات الإمساك بـ الزمن وهو ينفلت، عن الكتابة كفعل مقاومة للعدم، وكحيلة صغيرة لمواجهة الفقد والغياب، وكصرخة في وجه الصمت والزوال. هذه النصوص، على اختلاف لغتها ورؤيتها، تتقاطع في كونها شهادات حية على هشاشة الذاكرة الإنسانية، وعلى أن العودة، مهما كانت محملة بالحب، هي دومًا عودة إلى أطلال، وأن أجمل ما في الحنين أنه يعلمنا أن الماضي لا يعود، لكنه يظل يسكننا، كلما مشينا في طرقاتنا، أو وقفنا على عتبات بيوتنا، أو شممنا رائحة الفطير في صباح بارد، أو سمعنا صوتًا يذكرنا بمن رحلوا وتركوا ظلالهم في الذاكرة.

ومن ثم ؛ يتضح لنا أن الحنين ليس مجرد مسعى عاطفي لاستعادة الماضي، بل هو فعلا ً وجوديًا

Edit with WPS Office

يعبر عن حالة إنسانية مركبة مليئة بالتوترات بين الفقد، الذاكرة، والزمن. يقدّم كل من طايل وطه حسين وبن جلون حنينًا مشبعًا بالأسئلة الوجودية عن الهوية والذاكرة، وإن اختلفت طرق التعبير عنه. ففي حين يعمد طايل إلى الغوص في تفاصيل الحياة اليومية، محاولًا استعادة الزمن الضائع عبر حاسة اللمس والشم والسماع، يأتي طه حسين ليكتب طفولته بعين الفيلسوف، متأملًا العلاقة بين المعرفة والسلطة، بينما يكتب بن جلون طفولته من خلال عدسة الألم والتمييز الاجتماعي، فيطرح سؤال الهوية في مواجهة المجتمع القاسي. تكشف هذه النصوص عن فهم عميق للزمن والمكان باعتبارهما ليسا مجرد خلفية للأحداث، بل هما عاملان رئيسيان يشكلان الذاكرة والوجود الإنساني ذاته. إن العودة إلى الطفولة في هذه الأعمال ليست مسعى للوصول إلى زمن مفقود، بل هي محاولة لا ستحضار الماضي كمرآة يمكن من خلالها فحص الحاضر والتفاعل معه. في هذا السياق، تصبح الكتابة عن الحنين والماضي أكثر من مجرد سرد تاريخي، بل هي تفاعل مع الزمان والمكان على مستوى روحي وفكري، ووسيلة لمقاومة النسيان. وبهذا، يظل الحنين في الأدب أحد أبرز الوسائل التي يعبر بها الأدباء عن التوتر بين الذات والزمان، وبين الإنسان وما فقده، في محاولة دائمة لكتابة الذكريات قبل أن تذوب في الرياح.

==========

العتبة والحنين: قراءة شعرية في رواية الوقوف على عتبات الأمس لأحمد طايل"

بقلم الأستاذة الدكتورة وسام علي الخالدي/ العراق

"الوقوف على عتبات الأمس" للكاتب أحمد طايل رواية تنبع من رحم الذاكرة، وتزهر على ضفاف الحنين، فكل صفحة منها مرآة تتأمل ملامح الذات المنكسرة تحت وطأة الزمن، وكل سطرٍ فيها زفرةُ قلبٍ يتهادى بين أطلالٍ لمّا تبرح روحه.

هي ليست رواية بالمعنى التقليدي، بل قصيدة سردية طويلة، يُمليها الحنين وتحرّكها رعشة الشعور، وتُصاغ بلغة عابقة بالشجن النبيل. يمشي الكاتب بين الحروف كمن يعود إلى قريته القديمة، لا ليستقر، بل ليبحث عن ماضيه بين الحارات والطرقات، بين الجدران والشواهد، بين الذين مضوا والذين انتظروا عودته.

وينسج الكاتب نصه بضمير المتكلم، كأنه يكتب اعترافًا طويلًا على لسان وجعه، صوت داخلي يكاد يكون مناجاة لنفسه أولًا، ولأبيه الذي غاب جسده وبقي طيفه حاضرًا بكل تفصيل، وللقرية التي تخلّت عن بكارتها حين باعدت السنوات بينها وبينه. فالعودة إلى

Edit with WPS Office

القرية لم تكن عودة جسد، بل عودة وعي، وارتطام بحقيقة الاغتراب النفسي الذي يصيب الإنسان في عالمٍ يتحول بوقاحة تحت راية العولمة، ويمحو ملامحه الأصلية لتزرع مكانها قشرة حداثية باردة.

ان شعرية النص تتجلى في أسلوبه الوصفي المكثف، وفي قدرته على أن يجعل من التفاصيل اليومية مسرحًا شعوريًا عميقًا. الطفل الذي كان يلعب في "الجرن" ويصطاد "أبو الرعاش" يكبر فجأة ليقف أمام قبور أهله، فتمتزج في عينيه دموع الندم بأدعية المسامحة. هذا التداخل بين الطفولة والمشيبة، بين الماضي والحاضر، يصير حجر الأ ساس لأسلوب طايل الفني، حيث يُرى الزمن لا على خط مستقيم، بل كدائرة يدور فيها ا لإنسان على غير هدى، يظن أنه يبتعد، لكنه في النهاية يعود إلى ذات النقطة التي انطلق منها.

الرواية أيضًا تنبش في علاقة الإنسان بأصله، بأهله، بجذوره التي رغم الجفاء لم تيبس، بل كانت تنتظره في صورة ابن عم، أو بيت قديم، أو حتى جذع شجرة في طريق الطفولة. إن البُعد هنا لم يكن نسيانًا، بل خوفًا من مواجهة مرايا الماضي التي لا تجمّل شيئًا، بل تضعك أمام حقيقتك عاريًا من كل ادّعاء.

ويحضر الأب في الرواية لا كشخص، بل كرمز، كذاكرة جمعية وأخلاق موروثة، كحارس للقيم النبيلة في زمن تلاشت فيه الخطوط بين الخير والمصلحة، وبين العطاء المجاني والمقايضة الخفية. فكل مشهد يستحضر فيه الراوي أباه هو مشهد يُراد له أن يكون نشيدًا أخلاقيًا من الطراز الأول، كأن الكاتب يصرّ أن ما ورثه لم يكن أرضًا أو مالًا، بل طريقة في النظر إلى الحياة.

ما يجعل الرواية أكثر سحرًا هو قدرتها على الغوص في القاع النفسي للشخصيات، لا من خلال التحليل المباشر، بل عبر الحوارات الداخلية والتفاصيل الصغيرة التي تقول الكثير بصمتها. اللمسة الشعرية تمتد إلى الحوار أيضًا، حيث الحنين ليس مجرد شعور، بل لغة، تقف بين السطور لتقول ما لا يُقال.

الرواية، من فرط صدقها، لا تبحث عن الحبكة المتشابكة ولا عن الأحداث الدرامية المفتعلة، بل تعتمد على انسياب الشعور، وعلى تلك التفاصيل التي لا تُرى إلا بالعين الداخلية: نظرة أمّ، رائحة فطير قديم، ملامح مَن ماتوا في صورٍ مُعلقة، خفقات القلب حين تعانق الجدران القديمة.

إنها رواية العودة لا إلى المكان فحسب، بل إلى الذات، إلى الجذور، إلى "عتبة الأمس" التي نقف عليها حاملين أعمارنا وأوجاعنا، نطلب الغفران ممن مضوا، ونسأل الحنين أن

Edit with WPS Office

يمنحنا لحظة نقاء نادرة في عالمٍ ضجّ بالزيف.

ان أحمد طايل لا يكتب رواية، بل ينقش ذاكرة، يرسمها بماء القلب، ويجعل من الحنين وقودًا أدبيًا طريًا، يبكيك من فرط صدقه، ويصالحك مع ماضٍ كنت تحسبه مجرد زمن مضى، فإذا به الوطن الحقيقي.

وإذا كانت الرواية تتوسل إلى القارئ بلغة ناعمة، فإنها في جوهرها تحمل صرخة مكتومة ضد الاغتراب، لا الاغتراب المكاني فحسب، بل اغتراب الذات عن ذاتها، حين تبتعد عن منابع الطمأنينة الأولى، عن الأصوات التي صنعتها، عن الملامح التي شكلتها، عن الأيدي التي أمسكت بها يومًا لتقودها إلى الحياة. الكاتب لا يعود إلى قريته بحثًا عن ذكريات، بل ليقيم حدادًا داخليًا على أزمنة انتهت ولم يُعلن موتها، على علاقات لم تمت لكنها لم تعد تنبض، على حنينٍ ما زال يحفر أنفاقه في القلب.

ثمّة طهارة شعورية في سرد طايل، تذكرنا بالصلوات الأولى، بالبراءة الأولى، بالطفولة التي لم تفسدها المدينة ولا علل العصر. وهو في سرديته لا يُجمل الواقع، بل يواجهه بقلب طفل، وبعين شيخ. تتمازج في صوته خبرة السنوات مع دهشة البدايات، فيصير الراوي شاهدًا ومشاركًا، ناقدًا ومحكومًا، يعترف في حنينه كما يعترف في تقصيره، ويغفر كما يطلب الغفران.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن النص في بنيته ينتمي إلى ما يمكن تسميته بـ"الرواية التأملية"؛ إذ يتضاءل الحدث أمام الفكرة، وتذوب الشخصيات في طيف الراوي، فيتحول النص إلى نشيد داخلي طويل، تتوالى فيه الصور والمشاهد بوصفها ارتجاعات وجدانية لا أحداثًا متسلسلة. نحن أمام رواية زمنها هو الذاكرة، ومكانها هو الشعور، وعقدتها الحقيقية ليست في الخارج، بل في دهاليز الروح.

ويبدو ان الشخصية النسائية في الرواية وإن لم تحضر بصفتها فاعلًا محوريًا في الحبكة، فإنها تحضر كظل، كصوت حنون، كوشم قديم على جسد الأيام، الأم، الجدة، العمّة، هؤلاء النسوة هنّ الذاكرة الحامية، اللاتي تبقين حتى بعد الغياب رموزًا لحضن الوطن، ودفء الماضي، وسكينة الزمن الجميل.

ولعل أبرز ما يميز هذا العمل، هو القدرة على تطويع اللغة، حيث تنساب العبارات كأنها صلوات مكتوبة، يتناوب فيها الحرف على حمل المعنى والعاطفة معًا. لغة تبتعد عن التعقيد والتزيين الفارغ، وتقترب من بساطة الحقول، وصدق التراب، وشفافية الدمع.

Edit with WPS Office

ان "الوقوف على عتبات الأمس" عمل لا يُقرأ كحكاية، بل يُعاش كحالة. هو نداء داخلي لكل من حمل الحنين في قلبه، ولم يجرؤ أن يعود. هو وثيقة اعتراف، ومحاولة مصالحة مع زمنٍ فقدناه، وربما فقدنا معه أنفسنا.

إنها رواية للذين لم ينسوا، ولا يريدون أن ينسوا. رواية تُكتب على الورق، لكنها تُقرأ بـ الدموع.

==========

جدلية الهوية والاغتراب في خطاب ما بعد العولمة

قراءة تكاملية في رواية "الوقوف على عتبات الأمس" لأحمد طايل

د. نجلاء نصير

تسعى هذه المقاربة النقدية إلى تشريح رواية "الوقوف على عتبات الأمس" عبر منهجية تكاملية تمزج بين **(البنيوية التكوينية)** و (التحليل النفسي) و (سيميائية النص).
تنطلق الدراسة من فرضية أن الرواية ليست مجرد سردية للحنين، بل هي "وثيقة إدانة" لآثار العولمة المتوحشة على البنية القيمية للريف المصري، ومحاولة لإعادة بناء "الهوية الجريحة" عبر استدعاء الذاكرة الجمعية.

المحور الأول: سيميائية العتبات وفلسفة العنوان

لا يمكن العبور إلى متن النص دون تفكيك شفرة العنوان **"الوقوف على عتبات الأمس"**، الذي يشكل "العتبة النصية" الأولى والموجهة للقراءة:

دال "الوقوف": يحيل إلى الثبات، التأمل، والمقاومة. هو فعل إرادي يرفض الانجراف مع تيار الحاضر المتسارع، ويمثل لحظة "البرزخ" الفاصلة بين زمنين.

Edit with WPS Office

دال "العتبات": العتبة هي مكان حدّي (Liminal Space)؛ ليست في الداخل تماماً ولا في الخارج تماماً. البطل يقف على الحافة، لا يملك العودة الكلية للماضي (لأنه مضى)، و لا يستطيع الانخراط الكلي في الحاضر (لأنه مشوه).

دال "الأمس": في عرف الرواية، "الأمس" ليس زمناً فلكياً انقضى، بل هو "يوتوبيا" (مكان مثالي) يهرع إليه البطل احتمائياً من "ديستوبيا" الحاضر.

المحور الثاني: البنية السردية وتقنيات "الزمكان" (كرونوتوب)

يدرس هذا المحور كيف وظف الكاتب البنية الفنية لخدمة المضمون الفكري:

1. هندسة الزمن (المفارقة الزمنية): لم يعتمد السرد على الزمن الخطي (كرونولوجي)، بل لجأ إلى تقنية **"الاسترجاع" (Flashback)** المستمر. هذا التكسير للزمن يعكس الحالة النفسية للبطل؛ فالحاضر "ممزق" و"مضطرب"، بينما الماضي يأتي ككتلة واحدة متماسكة. الزمن هنا دائري؛ يبدأ من الحاضر المأزوم ليعود للماضي، ثم ينتهي بمحاولة "تجديد الماضي" في المستقبل.

2. تحولات المكان (من الألفة إلى الغربة): يقدم النص ثنائية مكانية حادة:

مكان الذاكرة (القرية القديمة): فضاء "الجرن"، "بيت العائلة"، "الحقول". يتسم بالا نفتاح والدفء الإنساني.

مكان المسخ (القرية المعولمة): حيث حلت الخرسانة محل الخضرة، والمصلحة محل المودة. يبرع الكاتب في تصوير "اغتراب البطل" داخل مكانه الأليف، وهو أقسى أنواع ا لاغتراب (أن تكون غريباً في بيتك).

المحور الثالث: سيسيولوجيا الواقع وتشريح المجتمع

تنتقل الدراسة هنا لرصد التغيرات الاجتماعية والسياسية كما عكسها النص:

1. من "المجتمع" إلى "الجمهور": ترصد الرواية انتقال القرية من مفهوم "الجماعة المترابطة" (Community) التي تحكمها القيم، إلى "مجتمع المصالح" (Society) الذي تحكمه المادة. يتجلى ذلك في تغير سلوكيات الفلاحين، وأنماط الاستهلاك، وحتى اللغة المستخدمة.

2. التعرية السياسية والأخلاقية: تقدم الرواية نقداً لاذعاً لاستغلال الدين والسياسة في تفتيت اللحمة الاجتماعية. يتجسد ذلك في شخصيات (باهر، السعدني، ومحمد مرعي).

مشهد "لندن" ولقاء تنظيم الإخوان يمثل ذروة المكاشفة؛ حيث يربط السرد بذكاء بين "الفساد المحلي" و"التمويل الخارجي".

يُظهر النص كيف أن هذا التيار لم يسرق فقط مقدرات الوطن، بل حاول سرقة "الوعي" وتزييف "الهوية"، مما يجعل معركة البطل معركة وجودية ضد التزييف.

Edit with WPS Office

المحور الرابع: التحليل النفسي (النوستالجيا كآلية دفاع)

خلافاً للمفهوم التقليدي للنوستالجيا كحالة مرضية، تطرح الدراسة رؤية مغايرة للنوستالجيا في هذه الرواية:

الملاذ الآمن: يلوذ (رشدي أيوب) بالماضي ليس هروباً من المسؤولية، بل لحماية "توازنه النفسي" أمام صدمة الواقع.

صراع الأجيال: تعكس الرواية "القلق الوجودي" لدى جيل الآباء تجاه جيل الأبناء المنغمس في التكنولوجيا. هذا القلق يتجلى في المونولوجات الداخلية للبطل، وفي وصاياه المتكررة، خوفاً من "انقطاع السلسلة" التاريخية.

خامسًا : المحور النفسي والرمزي للشخصيات والمكان

"جدلية الروح والجسد في الفضاء الروائي"

تتجاوز رواية "الوقوف على عتبات الأمس" السرد الخارجي للأحداث لتغوص في البنية العميقة للنفس البشرية وعلاقتها بالمحيط. يعتمد الكاتب أحمد طايل على تكثيف الرمز وتحميل الشخصيات والأماكن دلالات نفسية مركبة يمكن تفكيكها كالتالي:

أولا ً: سيكولوجية المكان (من الجغرافيا إلى الرمز)

المكان في الرواية ليس حاوية للأحداث، بل هو "شخصية اعتبارية" ومرآة عاكسة للحالة النفسية للأبطال:

1. القرية (الفردوس المفقود vs الديستوبيا):

الرمزية: تمثل القرية في ذاكرة البطل "الرحم" (Womb) الذي يمنح الأمان والهوية. إنها رمز "البراءة الأولى" والنقاء الفطري.

التحول النفسي: تحول القرية عمرانياً (المباني الخرسانية، ضجيج التكنولوجيا) هو معادل موضوعي لتشوّه "الروح الجمعية". فكلما زاد التلوث البصري والسمعي في المكان، زاد "التلوث الأخلاقي" في نفوس الساكنين.

المقابر (عتبة الوصل): زيارة البطل لمقابر العائلة ليست فعلا ً جنائزياً، بل هي طقس "استشفائي" نفسي. القبر هنا ليس رمزاً للموت، بل هو "الجذر" الحي. إنه المكان الوحيد الذي لم تطله يد العولمة، وبالتالي هو المكان الوحيد الذي يشعر فيه البطل باكتمال هويته.

2. البيت (الحصن الأخير):

يمثل بيت العائلة "الأنا" (Ego) المتماسكة وسط طوفان التغيير. ترميم البيت والحفاظ عليه هو رمز لترميم "الذات" وحمايتها من التصدع.

Edit with WPS Office

ثانياً: البناء النفسي والرمزي للشخصيات

يمكن قراءة الشخصيات وفق منهج التحليل النفسي (فرويد) وتوزيع الأدوار الرمزية:

1. البطل (رشدي أيوب / الراوي):

البعد النفسي: يعاني البطل من "اغتراب وجودي" (اغتراب وجودي). هو يعيش في زمانين ومكانين؛ جسده في الحاضر وروحه معلقة في الماضي. هذه الحالة ليست انفصاماً مرضياً، بل هي "يقظة ضمير" مؤلمة.

الدور الرمزي: يمثل البطل دور **"حارس المعبد"**. إنه الوعي الشقي الذي يرفض الاستسلا م لسيولة القيم. وقوفه على "العتبات" هو وقوف الحارس الذي يخشى أن يقتحم الغزاة (العولمة، الفساد) قدس الأقداس (الذاكرة والهوية).

2. الأب (الرمز الغائب/الحاضر - الأنا العليا):

البعد النفسي: رغم غياب الأب الفيزيائي، إلا أنه يمثل سلطة **"الأنا العليا" (الأنا العليا)**. هو الصوت الأخلاقي الذي يتردد في رأس البطل ويوجه سلوكه.

الرمزية: الأب هنا هو "المعيار" والمسطرة التي يقيس عليها البطل مدى انحراف الواقع. استحضار سيرته العطرة هو استحضار لمنظومة قيمية كاملة كانت سائدة وتلاشت.

3. الشخصيات الضد (محمد مرعي، باهر، السعدني):

البعد النفسي (الشيزوفرينيا الأخلاقية): يرسم الكاتب ببراعة التشوه النفسي لهذه الشخصيات. هم يعانون من فصام قيمي حاد؛ يرفعون شعارات الدين والفضيلة (في العلن)، بينما يمارسون الانتهازية والفساد (في الخفاء، ومشهد لندن خير دليل).

الرمزية: يرمز هؤلاء إلى **"المسخ"** (Metamorphosis) الناتج عن التزاوج غير الشرعي بين "التدين الشكلي" و"الرأسمالية المتوحشة". إنهم نتاج العولمة التي شوهت الفطرة، فصاروا كائنات هجينة بلا جذور.

ثالثاً: الصراع الرمزي (جدلية الطمس والإحياء)

يدور الصراع الدرامي والنفسي في الرواية حول محورين:

محاولة الطمس: التي يمارسها تيار العولمة والفساد (طمس التاريخ، تغيير ملامح القرية ، تزييف الوعي).

محاولة الإحياء: التي يقودها البطل (ترميم الذاكرة، استعادة جماليات المكان، توريث القيم للأحداث).

إن البناء النفسي للشخصيات في "الوقوف على عتبات الأمس" ليس معزولاً عن المكان؛ فالشخوص تشبه أماكنها. البطل يشبه "البيت القديم" في أصالته

Edit with WPS Office

وصموده، والشخصيات الانتهازية تشبه "المباني العشوائية" في قبحها وتطفلها. ومن هنا تأتي عبقرية الكاتب في جعل "ترميم المكان" مدخلا ً ل- "شفاء النفس".

فالمنحى النفسي والرمزي للشخصيات والمكان يعد ا ترجمان النص السردي "جدلية الروح والجسد في الفضاء الروائي"

تتجاوز رواية "الوقوف على عتبات الأمس" السرد الخارجي للأحداث لتغوص في البنية العميقة للنفس البشرية وعلاقتها بالمحيط. يعتمد الكاتب أحمد طايل على تكثيف الرمز وتحميل الشخصيات والأماكن دلالات نفسية مركبة يمكن تفكيكها كالتالي:

أولا ً: سيكولوجية المكان (من الجغرافيا إلى الرمز)

المكان في الرواية ليس حاوية للأحداث، بل هو "شخصية اعتبارية" ومرآة عاكسة للحالة النفسية للأبطال:

1. القرية (الفردوس المفقود vs الديستوبيا):

الرمزية: تمثل القرية في ذاكرة البطل "الرحم" (Womb) الذي يمنح الأمان والهوية. إنها رمز "البراءة الأولى" والنقاء الفطري.

التحول النفسي: تحول القرية عمرانياً (المباني الخرسانية، ضجيج التكنولوجيا) هو معادل موضوعي لتشوّه "الروح الجمعية". فكلما زاد التلوث البصري والسمعي في المكان، زاد "التلوث الأخلاقي" في نفوس الساكنين.

المقابر (عتبة الوصل): زيارة البطل لمقابر العائلة ليست فعلا ً جنائزياً، بل هي طقس "استشفائي" نفسي. القبر هنا ليس رمزاً للموت، بل هو "الجذر" الحي. إنه المكان الوحيد الذي لم تطله يد العولمة، وبالتالي هو المكان الوحيد الذي يشعر فيه البطل باكتمال هويته.

2. البيت (الحصن الأخير):

يمثل بيت العائلة "الأنا" (Ego) المتماسكة وسط طوفان التغيير. ترميم البيت والحفاظ عليه هو رمز لترميم "الذات" وحمايتها من التصدع.

ثانياً: البناء النفسي والرمزي للشخصيات

يمكن قراءة الشخصيات وفق منهج التحليل النفسي (فرويد) وتوزيع الأدوار الرمزية:

1. البطل (رشدي أيوب / الراوي):

البعد النفسي: يعاني البطل من "اغتراب وجودي" (اغتراب وجودي). هو يعيش في

Edit with WPS Office

زمانين ومكانين؛ جسده في الحاضر وروحه معلقة في الماضي. هذه الحالة ليست انفصاماً مرضياً، بل هي "يقظة ضمير" مؤلمة.

الدور الرمزي: يمثل البطل دور **"حارس المعبد"**. إنه الوعي الشقي الذي يرفض الاستسلا م لسيولة القيم. وقوفه على "العتبات" هو وقوف الحارس الذي يخشى أن يقتحم الغزاة (العولمة، الفساد) قدس الأقداس (الذاكرة والهوية).

2. الأب (الرمز الغائب/الحاضر - الأنا العليا):

البعد النفسي: رغم غياب الأب الفيزيائي، إلا أنه يمثل سلطة **"الأنا العليا" (الأنا العليا)**. هو الصوت الأخلاقي الذي يتردد في رأس البطل ويوجه سلوكه.

الرمزية: الأب هنا هو "المعيار" والمسطرة التي يقيس عليها البطل مدى انحراف الواقع. استحضار سيرته العطرة هو استحضار لمنظومة قيمية كاملة كانت سائدة وتلاشت.

3. الشخصيات الضد (محمد مرعي، باهر، السعدني):

البعد النفسي (الشيزوفرينيا الأخلاقية): يرسم الكاتب ببراعة التشوه النفسي لهذه الشخصيات. هم يعانون من فصام قيمي حاد؛ يرفعون شعارات الدين والفضيلة (في العلن)، بينما يمارسون الانتهازية والفساد (في الخفاء، ومشهد لندن خير دليل).

الرمزية: يرمز هؤلاء إلى **"المسخ"** (Metamorphosis) الناتج عن التزاوج غير الشرعي بين "التدين الشكلي" و"الرأسمالية المتوحشة". إنهم نتاج العولمة التي شوهت الفطرة، فصاروا كائنات هجينة بلا جذور.

ثالثا: الصراع الرمزي (جدلية الطمس والإحياء)

يدور الصراع الدرامي والنفسي في الرواية حول محورين:

محاولة الطمس: التي يمارسها تيار العولمة والفساد (طمس التاريخ، تغيير ملامح القرية ، تزييف الوعي).

محاولة الإحياء: التي يقودها البطل (ترميم الذاكرة، استعادة جماليات المكان، توريث القيم للأحداث).

الخلاصة الجزئية لهذا المحور: إن البناء النفسي للشخصيات في "الوقوف على عتبات الأمس" ليس معزولا ً عن المكان؛ فالشخوص تشبه أماكنها. البطل يشبه "البيت القديم" في أصالته وصموده، والشخصيات الانتهازية تشبه "المباني العشوائية" في قبحها وتطفلها. ومن هنا تأتي عبقرية الكاتب في جعل "ترميم المكان" مدخلا ً ل- "شفاء النفس".

المحور السادس: جماليات القفلة واستشراف المستقبل

تحلل الدراسة الخاتمة بوصفها "لحظة التنوير" (Epiphany). لم يشأ الكاتب أن ينهي

Edit with WPS Office

نصه بالبكاء على الأطلال، بل حول المسار نحو **"الفعل البنائي"**.

رسالة "الترميم": عودة القرية لجمالها البكر بجهود البطل وأسرته هي رمز لـ "إمكانية ا لإصلاح".

الوصية: الخطاب الموجه للأبناء (ص 221) "لا تسمحوا بطمس التاريخ"، والخطاب الموجه للأب الغائب "ها أنا عدت وسرت على دربك"، يمثلان تسليم "الشعلة". النهاية هنا مفتوحة على الأمل، مغلقة على المبدأ.

وتأسيساً على ما سبق، تخلص هذه الدراسة التكاملية إلى أن رواية **"الوقوف على عتبات الأمس"** تتجاوز كونها نصاً سردياً ممتعاً، لتصبح "مشروعاً ثقافياً" متكاملا ً يدق ناقوس الخطر.

لقد نجح **أحمد طايل** في صهر الهم الخاص (ذكريات الطفولة) في الهم العام (هوية الوطن)، مقدماً معادلة صعبة لكنها ضرورية: **"المعاصرة لا تعني انسلاخاً، والأصالة لا تعني جموداً"**. إن الرواية، ببنائها الفني المحكم ووعيها السيسيولوجي الحاد، تؤكد أن العولمة قد تستطيع تغيير شكل المباني وملابس البشر، لكنها يجب ألا تطال "الروح" و "الجذور". ومثلما وقف البطل على عتبات الأمس، يقف هذا النص الأدبي كحارس أمين على ذاكرة الأمة، مانحاً القارئ "مناعة ثقافية" ضد محاولات التجريف والتشويه.

Edit with WPS Office